Columbia University
in the City of New York

THE LIBRARIES

Ṣawn al-Manṭūq al-Kilām ʿan Fann al-Manṭiq wa'l-Kalām.

by

Jalāl ad-Dīn as-Suyūṭī

along with

as-Suyūṭī's Précis of the work - Naṣīḥat Ahl al-Īmān fi'r-Radd ʿalā Manṭiq al-Yūnān - by Taqī ad-Dīn Ibn Taimiyyah.

edited by

ʿAlī Sāmī an-Nashshār.

Cairo 1366. AH. 1947 A.D.

53169 B

7991

صون المنطق والكلام

عن فن المنطق والكلام

لجلال الدين السيوطى

ويليه مختصر السيوطى لكتاب

نصيحة أهل الإيمان

فى الرد على منطق اليونان

لتقى الدين بن تيمية

نشره وعلق عليه

على سامى النشار

مدرس تاريخ الفلسفة بكلية الآداب

جامعة فاروق الأول

893.75u9
W

531698

الطبعة الاولى

بنفقة مكتبة الخانجى بمصر

حقوق الطبع محفوظة

لمحقق الكتابين

مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر

COLUMBIA
UNIVERSITY
LIBRARY

53/69 B Mgo 1-22-49

فهرست الموضوعات

تقديم لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر
الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الازهر

مقدمة ناشر النص (ا ـ ع
مصادر التحقيق (غ ـ ك

كتاب صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام (١ ـ ٢٠٠
لجلال الدين السيوطى

ذكر ابتداء وضع المنطق (٤ ـ ٦
ابتداء دخوله فى ملة الاسلام (٦ ـ ١٣
وابتداء من جمع كتب الاصول به (١٣
وابتداء فشوه فى المتأخرين (١٣ ـ ١٤

ذكر من صرح بذم المنطق أو تحريمه من أئمة الاسلام (١٤

ذكر النص الذى ورد عن الامام الشافعى (١٥
تحريم النظر فى متشابه القرآن خوف الزيغ والفتنة (قصة صبيغ) (١٦ ـ ١٩
فصل ... (سبب الابتداع الجهل بلسان العرب) ... (٢٢
كلام ابن قتيبة : فى كتابه « تأويل مشكل القرآن » (٢٣ ـ ٣٠
فصل ... (علة أخرى فى علم الكلام تأتي من المنطق) (٣٠
فصل ... (علة ثالثة فى علم الكلام تأتي من المنطق) (٣١
فصل ... (تحريم الكلام والمنطق) (٣٢ ـ ٣

نصوص الأئمة فى تحريم الكلام (٣٣ ـ ١٩٠

تلخيص مقاصد ـ كتاب ذم الكلام للهروى (٣٣ ـ ٨٢
باب البيان (٣٤ ـ ٣٩
باب ـ ذم اتباع متشابه القرآن والجدال (٣٩ ـ ٤٦
باب ـ ذكر اعلام المصطفى (صم) أمته كون المتكلمين ـ فيهم (٤٦ ـ ٤٨
باب ـ فى ذكر أشياء من هذا الباب ظهرت على عهد رسول الله (صم) (٤٨
باب ـ انكار أئمة الاسلام ما أحدثه المتكلمون فى الدين (٤٩
الطبعة الاولى (٤٩ ـ ٥٢
« الثانية (٥٢ ـ ٥٤
« الثالثة (٥٤ ـ ٥٦

الطبقة الرابعة (٥٦ـ٥٩)
« الخامسة (٥٩ـ٦٢)
« السادسة (٦٢ـ٦٩)
« السابعة (٦٩ـ٧٦)
« الثامنة (٧٦ـ٧٧)
« التاسعة (٧٧ـ٨٠)

باب كراهية أخذ العلم عن المتكلمين وأهل البدع (٨١
كلام الحارث المحاسبي فى كتاب الرعاية (٨٢ـ٨٥
باب الغرة بالجدال وحسن البصر بالاجتماع والرد على أهل الاديان (٨٢ـ٨٣
باب ما تنفى به الغرة بالجدل والحجاج (٨٣ـ٨٥
كلام البخارى فى كتاب خلق أفعال العباد (٨٦ـ٨٧
كلام الطبرى فى كتاب صريح السنة (٨٧ـ٩١
كلام الخطابى فى رسالته الغنية عن الكلام (١٩ـ١٠١
كلام اللالكائى فى كتابه أصول السنة (١٠١ـ١٢٠
كلام الآجرى فى كتابه الشريعة (١٢١ـ١٢٥
باب ذكر ذم الجدال والخصومات فى الدين (١٢١ـ١٢٣
باب تحذير النبى أمته الذين يجادلون بمتشابه القرآن (١٢٣ـ١٢٤
باب ذكر هجرة أهل البدع والاهواء (١٢٤
باب عقوبة الامام والامير لاهل الاهواء (١٢٤
كلام أبى طالب المكى فى قوت القلوب (١٢٥ـ١٣٢
باب ـ ذكر العلم ـ وطريقة السلف ـ وذم ما احدث المتأخرون من الكلام (١٢٥
كلام ابن عبد البر فى كتابه بيان العلم (١٣٣ـ١٤٢
كلام الخطيب البغدادى فى كتابه (شرف أصحاب الحديث) (١٤٢ـ١٤٧
كلام ابن السمعانى فى كتابه (الانتصار لاهل الحديث) (١٤٧ـ١٨٣
كلام امام الحرمين (١٨٣ـ١٨٤
كلام الغزالى فى التفرقة بين الايمان والزندقة (١٨٤ـ١٨٨
كلام الغزالى فى الاحياء (١٨٨ـ١٩٠
مناظرة جرت بين متى بن يونس وأبى سعيد السيرافى (١٩٠ـ٢٠٠
ذكر انكار العلماء على من أدخل المنطق فى أصول الفقه (٢٠٠
ذكر الانكار على من ادخل المنطق فى علم النحو (٢٠٠

كتاب جهد القريحة فى تجريد النصيحة (٣٠١-٣٤٣

مقدمة (٢٠٢-٢٠٣

المقام الأول : التصور لاينال إلا بالحد (٢٠٣-٢٠٦

« الثانى : الحد يفيد تصور الأشياء (٢٠٦-٢١٨

« الثالث : التصديق لاينال إلا بالقياس (٢١٩-٣٠٤

نسبية التصديقات (٢١٩-٢٢١

القضية الكلية (٢٢١-٢٣٠

مادة الاقيسة (٢٣٠-٢٣٢

مسمى القياس (٢٣٣-٢٣٦

البرهان لايفيد الا الكليات (٢٣٦-٢٥٢

الايات - وقياس الاولى (٢٥٢-٢٥٦

أقسام الدليل (٢٥٩-٢٦٤

الطريق عند نظار المسلمين (٢٦٤-٢٦٦

مقدمتا القياس (٢٦٦-٢٨٩

أصناف الحج (٢٨٩-٢٩٦

قياس الشمول والاستقراء (٢٩٦-٢٩٩

اليقين والظن (٢٩٩

المقام الرابع : البرهان يفيد العلم بالتصديقات (٣٠٤-٣٤٣

عود الى مقدمات الدليل (٣٠٧-٣٠٩

الدليل (٣٠٩-٣٢٤

رد اشكال القياس الى الشكل الاول (٣٢٥-٣٢٦

القضايا الكلية العامة (٣٢٧-٣٢٨

عود الى اليقين والظن (٣٢٨-٣٢٩

بديهية ثبوت بعض الاحكام لبعض الافراد (٣٢٩

التوصل إلى القضايا العامة - مقدمات القياس الكبرى (٣٣٠

قياس الشمول وقياس التمثيل متساويان (٣٣١-٣٣٥

المادة القياسيه واليقين (٣٣٦-٣٤٣

فهرست الاعلام (٣٨٧-٣٩١

فهرست الكتب (٣٩٢-٣٩٣

تقـــديم

لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر

الشيخ مصطفى عبد الرازق شيخ الجامع الأزهر

لم تنل دراسة تاريخ المنطق عند الإسلاميين حقها من عناية الباحثين . وإذا كان الرأى السائد أن منطق أرسطاليس نقل إلى العربية فيما نقل من فلسفة يونان ـ فظل على مر الأيام منطقا أرسطاليسيا فى أصوله وقواعده ، وفى جملته وتفصيله ، فان هذا الرأى السائد ليس وليد بحث عميق ولا اطلاع واسع على الاتجاهات المختلفة للمنطق فى ألوان الثقافات الإسلامية . كأبحاث أصول العقائد وأبحاث أصول الأحكام .

ولقد كنت أيام اشتغالى بتدريس المنطق فى الجامعة المصرية معنيا بأن أوجه الهمم إلى دراسة تاريخ المنطق فى الثقافة الاسلامية وتتبع أطواره ومذاهبه ، وأعرف أن ذلك يحتاج إلى تقصى المراجع فى مظانها وفى غير مظانها أحيانا ، وإلى التماس المؤلفات النافعة فى هذا الباب بين المخطوطات التى لم تتناولها الأيدى .

وكنت عثرت فى دار الكتب الأزهرية على مجموعة رسائل للسيوطى فى ضمنها كتاب « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » يتبعه كتاب « جهد القريحة فى تجريد النصيحة » الذى لخصه السيوطى من كتاب « نصيحة أهل الإيمان فى الرد على منطق اليونان » لتقى الدين بن تيمية . ووجدت فى الكتابين نفعا محققا فيما أحاوله ، فشرعت يومئذ فى تدارسهما مع بعض الطلاب ، غير أن ذلك لم يطل . فقد صرفتنى الأقدار عن حياة المنطق إلى حياة ليست بمنطقية .

ولئن كنت أسفت على مافاتنى من متابعة ما بدأته من الدرس ، فإنى جد مغتبط بأن أرى صفوة مختارة من أبنائنا يأخذون بقوة ، يسعدها شباب زاك ، ما كنا حاولناه بعزم تخلى عنه الشباب .

وهذا الأستاذ على سامى النشار ، تلميذى بالأمس ، وصديقى اليوم ، يوجه همته إلى متابعة البحث ويمهد السبيل للباحثين .

ولقد عانى الأستاذ النشار فى إعداد كتاب السيوطى للنشر مشقة « وأنفق جهدا يدركه تمام الإدراك من عانى نشر كتاب استنادا على مخطوط واحد » .

وهو يصف فى مقدمته طريقته فى تصحيح النص ومقارنة ما لخصه السيوطى من الكتب باصولها مطبوعة ومخطوطة . وقارن كتاب تجريد النصيحة فى كثير من مواضعه بما ورد فى كتب مختلفة لابن تيمية .

وإن مجهود الأستاذ على سامى النشار لجدير بالتنويه والشكر والثناء .

وإذا كان قد وقع فى بعض الصفحات أخطاء مطبعية وغيرها ـ فما كان ذلك ليغض من هذا العمل الجليل الممتاز الذى سيجد من كل معنى بالدراسات الإسلامية تقديرا عظيما .

وأسال الله أن ينفع الأستاذ بما علمه ، ويعلمه ماينفعه ، وأن يزيده علما .

القاهره فى ٢٥ صفر سنه ١٣٦٦
١٨ يناير سنه ١٩٤٧

مصطفى عبد الرازق

مقدمة الناشر

١ — فى مكتبة الأزهر مخطوط هام فى تاريخ الفكر الاسلامى اسمه « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام » وهذا المخطوط هو الرسالة الثانية فى مجموعة هناك برقم ٢٠٤ مجاميع تحتوى على ١٩ رسالة فى موضوعات مختلفة جد الاختلاف وكلها كما يبدو — مما كتب على ظاهر الغلاف — من تأليف الحافظ المشهور عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى عالم مصر فى العهد الأوسط من عهود المماليك . أما ما كتب على الغلاف فهو : « مجموع من مؤلفات السيوطى — نفعنا الله تعالى به — بخطه »

والخط الذى كتبت به المجموعة دقيق ولا يظهر فيه تفاوت ، والورق من صنف واحد ، والصفحات مملوءة بالكتابة ، تكاد تكون خالية من البياض ، وفى كل صفحة ٥٢ سطرا تقريبا .

وفى آخر الرسالة التاسعة ما نصه :

« تم من خط مصنفه بآخر يوم الاثنين الحادى والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ٨٨٩ . والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى جميع الأنبياء والمرسلين »

وفى آخر الرسالة التاسعة

« آخر الجزء ـ ألفته يوم السبت تاسع عشر من صفر سنة ثلاث وسبعين وثمانمائة أحسن الله عقباها »

وتنتهى الرسالة الحادية عشرة كما يأتى

« علقه مؤلفه يوم الأربعاء لعشر خلون من ذى القعدة سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة — وكتب سنة ٨٨٦ »

أما باقى الرسائل فليس فيه تاريخ .

لكن هل كتبت المجموعة حقا بخط السيوطى كما تذكر تلك العبارة

التى نقلناها من ظاهر الغلاف - يبدو أن ثمت أسبابا قوية تنفى نفيا باتا كتابة السيوطى للمجموعة التى بين أيدينا بخطه - وها كم الأسباب .

أولا : ما كتب فى الصحيفة الثالثة سطر ٣٥ « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للفقير الى عفو ربه عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى الشافعى غفر الله لنا وله » وقد كتبت هذه العبارة بخط لا يختلف بتاتا عن باقى خطوط المجموعة ، وهى تدل دلالة صريحة على أنها لم تكتب بخط السيوطى - وبالتالى لم تكتب المجموعة بخطه .

ثانيا : ما كتب فى آخر الرسالة السابعة « تم من خط مصنفه » أى تم نقله من نسخة بخط المؤلف .

ثالثا : فى المجموعة أخطاء نحوية متعددة - ولا يمكن على الاطلاق - أن يقع السيوطى - وهو عالم اللغة الممتاز فى أمثال تلك الأخطاء - أو أن يسهو فى الكتابة - فيفلت منه بعض منها - وقد لاحظت فى جميع ماترك من مجموعاته الخطية انه لايخطىء خطأ لغويا أو نحويا - ولم يؤد به النسيان أو السهو - وهو الحافظ المشهور - إلى أى خطأ من نوع تلك الأخطاء .

رابعا : وأخيرا نصل إلى رابع الاسباب وأقطعها - هو أن مجموعات السيوطى الخطية تسير على قاعدة لا تخلف عنها إطلاقا - وهى أنها « غير منقوطة » بينما المجموعة التى بين أيدينا منقوطة .

ومن هنا يتبين أن هذه المجموعة لم تكتب بخط السيوطى . ولكن اذا ما حاولنا أن نحدد العصر الذى كتبت فيه الرسائل ، لتوصلنا إلى أنه القرن العاشر الهجرى ، وهو القرن الذى مات السيوطى فى أول العقد الثانى منه . وأكاد أرجح أن هذه المجموعة نقلت مباشرة عن مجموعة بخط السيوطى نفسه وفى عصر قريب جدا منه .

والكتاب الذى نقوم بنشره الآن من هذه المجموعة هو كما قلت — الرسالة الثانية منها - وقد كتب اسم الكتاب على الهامش وبخط غير مشابه

نخط المتن « كتاب صون المنطق والكلام عن فن المنطق للجلال السيوطى » وكتب فى صدر المتن « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للفقير الى عفو ربه عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى الشافعى غفر الله لنا وله » ومن المؤكد أن هذا هو اسم الكتاب الحقيقى ـ أما ما كتب على الهامش فقد سها كاتبه عن كتابة لفظ الكلام فى المقطع الثانى من العبارة ـ وليس ثمت فاصل فى الكتابة بين هذا الكتاب والرسالة السابقة لها وهى رسالة « ايمان أم النبى »

أما آخر الكتاب فقد كتب فيه « تم كتاب صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام للجلال السيوطى »

ثم كتب بخط مغاير لخط المتن « الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ـ وبعد فقد طالعه العبد الفقير اليه سبحانه أحمد بن عبد الحى الحسينى القدسى داعيا لمالكه بحسن الختام ولجميع المسلمين » ويوجد فاصل كبير بين نهاية رسالة صون المنطق والرسالة الثالثة ، ولا نعرف على وجه اليقين من هو أحمد بن عبد الحى الحسينى هذا ، ولعله أحد طلبة العلم من أهل القدس كما هو ظاهر من الأسم ، كما اننا لم نصل الى تاريخ المخطوط ، من امتلكه من الناس ، ومن هو مالكه الذى يشير اليه القدسى ، على أننا نستطيع أن نؤكد أن أيدى قليلة جدا تناولت هذا الكتاب ، إذ أن هوامشها قليلة ، والورق على العموم نظيف وليس هناك تعليقات فى نهاية الكتاب ولا فى أوله ولا أسماء من تناولوه أو قرأوه سوى الحسينى القدسى المذكور . والكتاب فى ٣٥ صحيفة من القطع المتوسط ـ وصحائفه مملوءة بالكتابة الدقيقة الواضحة ـ وقد ذكرت أن عدد الأسطر فى كل صحيفة من المجموعة حوالى ٥٢ سطرا

٢ ـ هل الكتاب للسيوطى حقا ؟ هنا تقابلنا المشكلة الثانية فى بحث المخطوط . وقد رجعنا الى ترجمة السيوطى التى كتبها لنفسه ، فلم نعثر لهذا

الكتاب على ذكر (١) ولكن حاجى خليفة ذكره فقال « صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ـ مجلد للسيوطى ـ ذكره فى فهرست مؤلفاته فى فن الفقة (٢) »

فهل معنى هذا أن السيوطى ذكره فى كتاب آخر غير حسن المحاضرة ؟ قد رجعنا الى فهارست مؤلفاته فى كتبه المطبوعة ، فلم نجد لهذا الكتاب ذكرا أيضا . ولكن وجدت فى حسن المحاضرة ذكراً لرسالتين ثانيتين تتصلان أوثق صلة بموضوع كتابنا هذا ، وهما « القول المشرق فى تحريم الاشتغال بالمنطق ، وفصل الكلام فى ذم الكلام (٣) » .

وقد ذكر اسم الكتاب الأول فى الكتاب الذى بين أيدينا الآن « كنت قديما فى سنة سبع وثمان وستين وثمانمائة ألفت كتابا فى تحريم الاشتغال بفن المنطق سميته القول المشرق ضمنته نقول أئمة الاسلام فى ذمه وتحريمه (٤) »

وذكر أيضا اسم الكتاب الثانى « ولما شرعت فى ذلك ـ أى فى الكلام عن المنطق ـ ولزم منه الانجرار الى نقل نصوص الأئمة فى منع النظر فى علم الكلام ـ لما بينهما من التلازم ، سميت الكتاب صون المنطق والكلام (٥) »

فهل نستطيع أن نفهم من هذا أن كتاب صون المنطق والكلام ، هو مجموع هاتين الرسالتين ، أو أن السيوطى ضمن كتابه هذا هاتين الرسالتين

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ج ١ ص ١٥٣ ـ ١٥٩ .

(٢) حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون (طبعة دار السعادة) ج ٢ ص ٨٢

(٣) حسن المحاضرة .. ج ١ ص ١٥٧

(٤) صون المنطق .. ج ١

(٥) صون المنطق ... ص ٣ ـ ٤

مع نصوص أخرى أضافها ـ من المحتمل هذا كثيرا ، ومن المحتمل أيضا أن يكون كتاب صون المنطق تصنيفا مستقلا عن هذين الكتابين .

على أنه بالرغم من أن السيوطى لم يذكر اسم هذا الكتاب فى مؤلفاته التى بين أيدينا فانه من المحقق ـ استنادا على النقد الخارجى والداخلى للنص الذى بين أيدينا ـ أن كتاب صون المنطق والكلام له لأسباب متعددة : أهمها :

أولا : ما ذكره صاحب كشف الظنون ـ وهو ثبت ثقة فى تاريخ الكتاب الاسلامى .

ثانيها : أسلوب الجمع فى الكتاب ـ تسيطر على الكتاب الروح السيوطية فى التأليف جلية واضحة ـ روح الجمع وتلخيص الكتب وقد كان هذا أسلوب السيوطى وعمله الذى تميز به .

ثالثها : أسلوب أهل الحديث ـ ألف السيوطى صون المنطق والكلام على أسلوب المحدثين . وهذا ظاهر فى جميع أجزاء الكتاب .

رابعها : كان كتابة هذا الكتاب ضرورة قصوى اضطر اليها السيوطى وقد كانت تكتنف حياته الروحية عوامل غريبة ، فقد أدعى الرجل الاجتهاد سنة ٨٨٨ (٢) . ويبدو أن بعض أعدائه هاجموه بأنه لا يتقن المنطق ـ وهو شرط من شروط الاجتهاد منذ دعا الغزالى الى هذا ـ خاصة وأنه ذكر فى ترجمته لنفسه فى حسن المحاضرة انه لم يحب المنطق ولم يتمكن من اجادته «وقد كنت فى مبادىء الطلب قرأت شيئا فى علم المنطق ، ثم ألقى الله كراهته فى قلبى ، وسمعت أن ابن الصلاح أفتى بتحريمه ـ فتركته لذلك ـ فعوضنى الله

---

(١) السيوطى : صون . . . . ص ٣

(٢) المصدر نفسه . . . ص ٣

(٣) الغزالى المستصفى فى أصول الفقه : حـ ١ ص ١٠ .

تعالى عنه علم الحديث الذى هو أشرف العلوم ، (١) فاضطر الى أن يكتب كتابه هذا . يقول فى مقدمة كتابه « لما كان هذا العام - ومن المحتمل أن يكون عام ٨٨٧ أو ٨٨٨ - (٢) وتحدثت بما أنعم الله به على من الوصول الى رتبة الاجتهاد ذكرذا كرأن من شروط الاجتهاد معرفة فن المنطق يعنى وقد فقدهذا الشرط عندى بزعمه وما شعر المسكين أنى أحسنه أكثر ممن يدعيه ويناضل عليه ، وأعرف أصول قواعده وما بنيت عليه »

كل هذه الأسباب - التى لجأنا فيها إلى النقد الخارجى والداخلى للكتاب الذى بين أيدينا - تثبت اثباتا قاطعا صحة نسبة هذا الكتاب للسيوطى .

أما تاريخ كتابة صون المنطق والكلام فيبدو أنه سنة ٨٨٧ أو ٨٨٨ على أكثر تقدير - وهى السنة التى عيب عليه فيها عدم معرفته للمنطق .

٣ — كتاب ابن تيمية : ذكر السيوطى فى مقدمة كتابه أنه لخص كتاب ابن تيمية . يقول « تطلبت كتاب ابن تيمية حتى وقفت عليه فرأيته سماه نصيحة أهل الايمان فى الرد على منطق اليونان ، وأحسن فيه القول ماشاء من نقض قواعده - قاعدة، قاعدة وبيان فساد أصولها، فلخصته فى تأليف لطيف سميته ، جهد القريحة فى تجريد النصيحة (٣) .

ويفتتح كتاب جهد القريحة بما نصه « ذكر ما لخصته من كتاب ابن تيميه الذى ألفه فى نقض قواعد المنطق - كتاب جهد القريحة فى تجريد النصيحة للفقير الى عفو ربه عبد الرحمن بن أبى بكر السيوطى الشافعى لخصته من كتاب نصيحة أهل الايمان فى الرد على منطق اليونان للعلامة تقى الدين بن تيمية (٤) »

---

(١) السيوطى : حسن المحاضرة ج ١ ص ١٥٥
(٢) « صون . . . . ص ٣
(٣) المصدر نفسه . . . ص ٢
(٤) المصدر نفسه ص ٢٠١

ثم يبدأ الكتاب بالبسملة والحمدلة ـ ويذكر أن لابن تيمية كتابين أحدهما صغير والآخر كبيرهو « نصيحة . . . » ثم يذكر أنه سيقوم بتلخيصه وسيسميه « جهد القريحة . . . » ومع أن السيوطى لخص لنا فى « صون المنطق » كتبا كثيرة ، غير أنه لم يبدأها بالحمدلة ولا بالبسملة كما فعل فى هذا الكتاب ، فهل يعنى هذا أننا بصدد كتاب مستقل عن الكتاب الأصلى

إذا ما رجعنا الى ما كتب عن هذا الكتاب لم نجد له ذكرا فى حسن المحاضرة . أما صاحب كشف الظنون فقال « نصيحة أهل الايمان فى الرد على منطق اليونان لابن تيمية ـ اختصره السيوطى وسماه جهد القريحة فى تجريد النصيحة » ومن هذا النص يتبين لنا أن هذا الكتاب مستقل تمام الاستقلال عن كتاب صون المنطق والكلام وأنه ليس جزءا منه .

ودليل آخر — هو أنه يوجد مخطوط لمختصر السيوطى منفصل عن صون المنطق والكلام فى مكتبة ليدن فى مجموعة فارنر المشهورة ، وهذه المجموعة برقم ٤٧٤ ، وفيها كتب أخرى للسيوطى غير كتابنا هذا .

ودليل أخير ـ فقد ذكر السخاوى فى ترجمته للسيوطى « وأول ما أبرز جزء له فى تحريم المنطق جرده من مصنف لابن تيمية » (١) فنحن إذن أمام كتابين للسيوطى أحدهما كتابه الأصلى ، صون . . . والآخر مختصر لكتاب ابن تيمية ، أما عن كتاب ابن تيمية الأصلى ، فقد ذكره ابن عبد الهادى فى فى ترجمته المشهورة فقال « وله كتاب فى الرد على المنطق ، مجلد كبير وله مصنفان آخران فى الرد على المنطق نحو المجلد (٢) » وهذا ما ذكره أيضا ابن القيم الجوزية فى كتابه مفتاح دار السعادة (٣) كما ذكره

---

(١) السخاوى : الضوء اللامع لاهل القرن التاسع (طبعة القاهرة ١٣٥٤) ص ٦٥

(٢) ابن عبد الهادى : العقود الدرية فى مناقب شيخ الاسلام أحمد بن تيميه . (طبعة الاستاذ الشيخ محمد حامد الفقى ١٣٥٦هـ ـ ١٩٣٨ م)

(٣) ج ١ ص ١٦

صاحب كشف الظنون كما بينا من قبل .

والكتاب الأصلى موجود فى الهند ـ على ماذكر السيد سليمان ندوى فى بحث له هام (١)

ولكن يبدو أن المخطوط ردىء الخط مخروم فى كثير من أجزائه بحيث لم يتمكن من نشره بالرغم من أنه أعلن منذ مدة بعيدة أن دائرة المعارف النظامية بحيدرآباد الدكن ستقوم بطبعه .

فالسيوطى اذن قد قدم لنا فائدة علمية لا تقدر إذ أنه حفظ لنا صورة قريبة جدا من النص الأصلى لابن تيمية . كما حفظ لنا صورا لكتب أخرى مفقودة أو متعذر الوصول اليها ـ ولقد كانت هذه إحدى أيادى السيوطى السابغة على الفكر الاسلامى .

لكن ما الذى دعا السيوطى الى انتهاج هذا النهج فى كتبه . قد لايتضح هذا على أتم وجه إلا فى ضوء تحليل موجز لحياة الرجل .

∴

٤ ـ حياة السيوطى . عاش السيوطى فى عصر المماليك فى طوره الأوسط وفى عهد من عهود العلم الزاهرة لا من ناحية طرافة تراثها العلمى ـ انما من ناحية قدرة علماء هذا العصر ومفكريه على الجمع وتلخيص الكتب ـ كان العقل الاسلامى قدتوقف فى هذه الفترة عن الابداع ـ فى نطاق العلوم الفكرية وانتهى فيه عهد الاصالة المطلقه التى انبثقت آخر مرة ، وفى صورة زاهية لامعة فى تقى الدين بن تيمية . اتجه العلماء نحو كتب المفكرين الذين سبقوهم يتدارسونها ويلخصونها ، ويضفون عليها أحيانا بعض الابتكار غير الكثير

---

(١) Islamic Culture; 1927. P.II.

وأحيانا ينقلونها كما هى فى ملخصات تقترب كثيرا من النص الأصلى ، وكان السيوطى واحدا من هؤلاء الأخيرين ، خلت كتبه حقا من الطرافة والابداع ولكنها كانت حافظة ممتازة حوت نصوصا من مختلف العلوم والفنون لايعرفها العالم الاسلامى الآن عن غير طريقه ، هذا علاوة عن أهميتها الكبرى فى ملء فجوات فى تاريخ الفكر الاسلامى ، وقد أفرغ السيوطى جهده فى هذا العمل الشاق ـ وأرهفت حواسه له لكى يحقق تلك الأمنية الملحة التى ترددت فى نفسه ، والتى أعلنها فى فترات متعددة فى صور مختلفة حتى وصل اعلانه لها الى حد الجدال واللجاج وأنكرها عليه علماء عصره أشد انكار وحاربوه أشد محاربة ـ أما تلك الأمنية فهى كونه مجتهد الأمة الاسلامية ـ ثم مناداته بعد ذلك بأنه المبعوث من الله على رأس المائة التاسعة ليجدد شباب دينه . . .

أما اسم السيوطى الكامل ـ فهو أبو الفضل عبد الرحمن بن محمد بن أبى بكر جلال الدين الخضيرى السيوطى ، أما عن نسبته للخضيرية ـ فيقول هو فى ترجمته لنفسه فى حسن المحاضرة «وأما نسبتنا للخضيرى فلا أعلم ماتكون إليه هذه النسبة ، إلا الخضيرية محلة ببغداد» وقد نشأ السيوطى من أسرة فارسية من ناحية الأب ، عاشت فى بغداد ، أما أمه فكانت أمة تركية (١) ثم انتقلت أسرته من بغداد إلى أسيوط ، وبرز كثير من أفرادها على مايذكر هو أيضا لكن لم يشتغل بالعلم من أفرادها سوى والد السيوطى (٢). وقد ولد السيوطى ليلة الأحد مستهل رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة ـ (٣ أكتوبر ١٤٤٥) وتوفى والده وله من العمر خمس سنوات وسبعة أشهر (٣) فقام بأمره صوفى من أصدقاء والده ـ وختم القرآن وهو دون ثمان سنين ـ ثم بدأ فى دراساته على علماء عصره ـ حتى أجاد جميع فروع العلم الاسلامى . وقد تركت لنا المصادر المختلفة

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ج ٤ ص ٦٥ والعيدروسى : النور السافر ص ٥٤

(٢) السيوطى : حسن المحاضره ج ١ ص ٢٠٣ وأيضا السيوطى : نظم العقيان فى أعيان الاعيان (طبعة الدكتور حتى ١٩٣٢) ص ٩٥ ـ ٩٦

أسماء شيوخه الكثيرين : الجلال المحلى والزين العقبى والشمس السيرامى . والشمس المرزبانى والشهاب الشارمساحى والعلم البلقينى والشرف المناوى وعدد كبير من العلماء . يقول صاحب شذرات الذهب « وقد ذكر تلميذه الداودى فى ترجمته أسماء شيوخه إجازة وقراءة وسماعا مرتبين على حروف المعجم فبلغت عدتهم أحداً وخمسين نفسا (١) » .

وقد أجيز السيوطى بتدريس العربية سنة ٨٦٦ . وذلك بعد عودته من زيارة لبعض مدن مصر والحج إلى مكة . وقد بدأ التأليف فى هذه السنة (٢) وفى سنة ٨٧٢ تولى بواسطة أستاذه علم الدين البلقينى التدريس فى الشيخونية مكان والده وفى سنة (٨٩١ هـ — ١٤٨٦ م) قرر للتدريس فى البيبرسية يقول ابن اياس «قرر شيخنا السيوطى فى مشيخة البيبرسية عوضا عن الجلال البكرى بحكم وفاته وكان الساعى له السيد الخليفة عبد العزيز» (٣) وبعد أن صلته بالخليفة العباسى فى القاهرة المتوكل على الله عبد العزيز كانت صلة طيبة إذ أن السيوطى أوحى إليه فى سنة ٩٠٢هـ = ١٤٦٦ م «أن يجعله قاضياً كبيرا على القضاة يولى منهم من يشاء ويعزل منهم من يشاء مطلقا فى سائر ممالك الاسلام وهذه الوظيفة لم يلها قط سوى القاضى تاج الدين بن بنت الأعز فى دولة بنى أيوب »

علم القضاة بالأمر «فثاروا واستخفوا عقل الخليفة فى ذلك . وقالوا ليس للخليفة مع وجود السلطان حل ولا ربط ولا ولاية ولا عزل ولكن الخليفة استخف السلطان لكونه صغيرا » وعلم الخليفة بثورة القضاة وخشى مغبة الأمر فتراجع وأعلن أن السيوطى خدعه — ثم رجع عن عهده — وبعث من يأخذ العهد الذى كتبه للشيخ

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب حـ ٨ ص ٥١٨

(٢) حسن المحاضرة حـ ١ ص ١٥٣ — ١٥٤

(٣) ابن اياس : تاريخ مصر (المطبعة الاميرية — ١٣١١ هـ) حـ ٣ ص ٢٣٦

يقول ابن اياس « وكادت أن تكون فتنة بسبب ذلك ووقعت أمور يطول شرحها . ثم سكن الحال بعد مدة ».(١)

وفى سنة ٩٠٦ قامت ضجة أخرى ضد السيوطى إذ أنه تلاعب بأموال الصوفية الخانقاه البيبرسية ـ وقد رمى المؤرخون السيوطى بالطمع ـ فثاروا عليه وكادوا أن يقتلوه ثم حملوه بأثوابه ورموه فى الفسقية .(٢)

عزل السيوطى من وظيفته — ورأى الدنيا قد أدبرت عنه وجمع من معاصريه يهاجمونه بكل الوسائل. فاعتكف فى جزيرة الروضة . يقول صاحب شذرات الذهب «أخذ فى التجرد للعبادة والانقطاع لله تعالى والاشتغال به صرفا والاعراض عن الدنيا وأهلها كأنه لم يعرف أحدا منهم»

« وكان الأمراء والاغنياء يأتون إلى زيارته ويعرضون عليه الاموال نفيسة فيردها . وأهدى إليه الغورى هدايا لم يقبلها . وطلبه مراراً فلم يحضر اليه » .(٣)

وفى سحر ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الاول (١٧ أكتوبر سنة ١٥٠٥) توفى جلال الدين السيوطى عن إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوما ودفن فى حوش قوصون خارج باب القرافة . ومازال قبره فى مكانه إلى الآن . وقد حقق وجوده العالم المشهور تيمور باشا فى بحث لطيف له .

إن مايستخلصه الانسان من حياة السيوطى فى فتراته المتعددة هو أنه كان رجلا من العلماء ، حاول أن يصل بكل مالديه من وسائل إلى أوج المجد سواء كان علميا أو ماديا ـ فاتصل بالخليفة والسلطان وكبراء عصره وكانت له صلات

---

(١) المصدر عينه : حـ ٢ ص٣٠٧

(٢) المصدر عينه ـ حـ ٢ ص ٣٢٩

(٣) شذرات الذهب حـ ٨ ص ٥٢

طيبة بهم ، حتى عهد اليه الخليفة بالمنصب الذى ذكرنا ، ولكن القضاة ثاروا عليه وفوتوا عليه غرضه .

أما عن مجده العلمى - فقد أدعى السيوطى أنه مجتهد الامة الاسلامية وأنه أحاط بعلوم عصره جميعها . يقول فى حسن المحاضرة « رزقت التبحر فى سبعة علوم : التفسير والحديث والفقه والنحو والمعانى والبيان والبديع على طريقة العرب والبلغاء لا على طريقة العجم وأهل الفاسفة . والذى أعتقده أن الذى وصلت إليه من هذه العلوم الستة ، سوى الفقه والنقول التى اطلعت عليها منها ، لم يصل اليه ولا وقف عليه أحد من الاشخاص . فضلا عمن هو دونهم .

وأما علم الحساب فهو أعسر شىء على وأبعده عن ذهنى وإذا نظرت فى مسألة تتعلق به فكأنما أحاول جبلا أحمله ، وقد كملت عندى آلات الجهاد(١) »

وقد أفاض فى هذا فى كثير من كتبه الاخرى

ولم يسلم له علماء عصره بهذا وساعدهم على ذلك حدة أخلاقه وغروره فى بعض الاحيان . فهاجموه وانتقصوا من قدره وقدر مؤلفاته . هاجمه السخاوى فى الضوء اللامع هجوما عنيفا(٢) كما حدثت بينه وبين معاصريه ابن ظهيره(٣) والقاضى برهان الدين محمود محدث دمشق(٤) والقسطلانى(٥) عداوات ومنازعات

ولكن برغم هذا كله ، بقى السيوطى كاتب العربيه الكبير وأحد حفاظ العلم الاسلامى فى مختلف فروعه . وكانت كتبه معينا لاينضب للباحثين وقد احتوت الثقافة الاسلامية المتعددة النواحى ، بالرغم من خلوها من الابتكار

وقد اختلف الباحثون فى عدد هذه الكتب . فذهب فلوجل إلى أنها تبلغ ٥٦١ كتابا أما بروكلمن فقد عد له ٤١٥ كتابا ويقول العيدروسى « ولكن

---

(١) السيوطى : حـ ١ ص ١٥٣ - ١٥٩ حسن المحاضرة

(٢) الضوء اللامع ٤ ص ٦ وما بعدها

(٣) السيوطى قلائد العقيان ص ٢٠

(٤) المصدر نفسه ص ٢٢

(٥) حاجى خليفة ، كشف الظنون حـ ٢ ص ٣١٥

كثيرا من مؤلفاته هذه المذكورة صغيرة وبعضها فى كراس وكراسين » (١) .

وقد ذكر الباحثون قوائم باسماء كتبه — وبقى معظم تلك الكتب — وما زال لها فى العالم الاسلامى أكبر اعتبار . ونحن لا نجد على سبيل المثال كتابا يضارع « الاتقان فى علوم القرآن » فى شهرته عند الناس واحاطته بالموضوع الذى حرر فيه . ومن كتبه الهامة أيضا ، لباب النقول فى أسباب النزول . ومن المعروف أن الجلال المحلى (المتوفى سنة ٨٦٤ = ١٤٥٩) كان قد بدأ هذا الكتاب ثم توفى فأتمه السيوطى وسمى هذا الكتاب تفسير الجلالين ، وهو كتاب له شهرة هامة فى العالم الاسلامى وغير هذين الكتابين من كتب هامة ذكرها السيوطى فى حسن المحاضرة ، (٢) كما ذكرها صاحب النور السافر (٣) والداودى تلميذه فى بحث لم ينشر بعد عن حياة استاذه ومؤلفاته .

٥ — وأما عن الكتاب الذى تقوم بنشره الآن فهو وثيقة فريدة فى التراث العربى ، حوت نصوصا كثيرة غير معروفة عن موقف علماء المسلمين من الكلام والمنطق ، وحاولت تتبع تلك المدرسة التى حاربت البحث النظرى فى العقائد من ناحية وانكرت المنطق اليونانى — العنصر المميز للفتنة اليونانية فى العالم الاسلامى — من ناحية أخرى . ونحن لا نجد فى تاريخ العصور الوسطى محاولة لنقد المنطق الأرسطالى ، فالمسلمون إذن هم أصحاب تلك المحاولة الفريدة فى العصور الوسطى — وقد سبقوا بهذا Roger Bacon, Ramus وقد أتى هذان الأولان فى أعقاب العصور الوسطى و Francis Bac on وغيرهم من مفكرى أوربة المحدثين — وقد صور السيوطى نزعة النقد عند طائفة من علماء المسلمين — الفقهاء — وإن كان هذا النقد يبدو فى صورة

---

(١) العيدروسى : النور السافر ص ٥٦

(٢) السيوطى : حسن المحاضرة ص ١٥٥ — ١٥٨

(٣) العيدروسى النور السافر — ص ٥٥ — ٥٦

ساذجة أحيانا ـ غير أنه كان فى كثير من الأحيان على جانب من الطرافة ـ ولن نحاول نحن هنا تحليل عناصر هذا الكلام ، فان هذا جزء من محاولة كبرى قمت بها فى بحث هام تحت الطبع هو : نقد مفكرى الأسلام للمنطق الارسطاطالى . يتناول موقف المسلمين عامة ـ من فلاسفة ومتكلمين وأصوليين وفقهاء وصوفيه ـ من المنطق الأرسطاطاليسى ومحاولتهم هدمه ، وإقامة منطق جديد يتفق مع روح الحضارة الاسلامية . ولقد ذهب الباحثون إلى مختلف الآراء والنظريات فى بحث هذا الروح وحاولوا ـ بطرائقهم المختلفة من فيلولوجية وروحية وغيرها ـ اكتناه العنصر المميز لهذه الحضارة . ولكنهم لم يصلوا ـ فيما اعتقد ـ الى رأى راجح فى حل المشكلة ، وبقيت معلقة إلى أكبر حد .

وإنى لاعتقد أن بحثى الذى ذكرت ، قد يلقى شعاعا جديدا على هذه المشكلة العميقة .

وأيا ما كان الأمر ـ فان كتاب السيوطى « صون المنطق والكلام » وتلخيصه لكتاب ابن تيمية « نصيحة أهل الايمان » يعاونان الباحثين فى تاريخ الحضارة الاسلامية ـ على اختلاف طرقهم وغاياتهم معاونة كبيرة ـ على الكشف عن العبقرية الاسلامية فى أرفع مظاهرها العقلية .

٦ ـ طريقة نشر المخطوط : كانت بيدى نسخة واحدة هى نسخة المجموعة الأزهرية التى ذكرتها آنفا وهى النسخة الوحيدة الموجودة من هذا الكتاب فى مكتبات العالم ـ وقد عثر على هذه النسخة منذ سنوات مضت استاذى الجليل الاستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبدالرازق شيخ الجامع الأزهر وسيد الباحثين المعاصرين فى الفلسفة الاسلامية وقد قرأت عليه كتاب ذم الكلام للهروى الذى أورده السيوطى فى مقدمة كتابه .

ثم بدأنا العمل فى إعداد المخطوط للطبع ولكن فضيلته تولى الوزارة بعدئذ وحالت اعمالها دون إشرافه على العمل فى إخراج الكتاب كله فقمت بالعمل بمفردى .

وقد اتجهت أولا الى محاولة تقديم النص سليما من الأخطاء ، كاملا غير

منقوص . وقد تبين لى أن بالنسخة أغلاطا لغوية ونحوية كثيرة ، وعبارات كثيرة ساقطة وأخرى غير مفهومة ، وقطعا كبيرا .

أما الاغلاط اللغوية والنحوية فقد أصلحتها ، وهى فى غالب الاحيان سهو من الناسخ . ثم اجتهدت فى اضافة عبارات مكان السقط والجمل المحذوفة . ووضعت هـذه العبارات بين معقوفتين دلالة على إضافتها من الناشر وعلى أنها لم تكن فى صلب المتن ، ثم حذفت بعض العبارات غير المفهومة إذا تعذر على فهمها أصلا ـ وأبقيت البعض فى المتن اذا ما شككت فى المعنى ، غير أننى فى كل تلك الحالات أثبت فى الهوامش او فى نهاية الكتاب ما قمت به من تصحيح لخطأ أو إضافة أو حذف لحرف أو لكلمة أو لعبارة ، ثم أكملت القطع الكبير فى المخطوط .

ولقد عانيت فى هذا العمل كثيرا ، وأنفقت جهدا يدركه تمام الادراك من عانى نشر كتاب استنادا على مخطوط واحد . وحين انتهيت من تصحيح النص ، بدأت فى عمل آخر لا يقل عناءا عن العمل السابق ، فقد نقل السيوطى أو لخص لنا فى كتابه الاول « صون المنطق » كتبا كثيرة بعضها موجود وبعضها مفقود والموجود منها بعضه مطبوع والبعض الآخر مخطوط فرجعت إلى جميع ما ذكر من كتب موجودة مطبوعة وبحثت عن الفقرات التى ذكرها وقمت بمقارنة دقيقة بين هذه الفقرات من كتابه وبينها فى كتبها المنشور ونصصت على ما قد يوجد من اختلافات بينها فى حواشى الكتاب وقد كان عدد هـذه الكتب كبيرا ، ولكننى لم آل جهدا فى حصرها وتوصلت فى حالات كثيرة الى تصحيح نص السيوطى فى ضوء النص المنشور .

أما عن الكتاب الثانى ـ وهو تلخيص السيوطى لكتاب ابن تيمية ـ فقد لجأت الى طريقة أخرى فى تخريجه . فقد قمت بمقارنة كثير من المواضع التى ذكرها ابن تيمية فى كتابه بما يشبهها فى كتبه الأخرى ، فهو على سبيل المثال يتكلم فى الكتاب الذى بين أيدينا عن قياس التمثيل وقياس الشمول ص ٣٠٢ ـ فأشرت الى أنه يتكلم عن نفس الموضوع فى كتابه

« شرح العقيدة الاصفهانية » ص ٣٠٢ ـ وهكذا . . . وقد اضطررت الى قراءة التراث النيمى كله الذى بين أيدينا ، حتى تمكنت من ايراد المواضع المتشابهة بين كتابنا هذا وبين كتبه الأخرى .

ولما تم لى هذا العمل المقارن فى الكتابين، بدأت بمراجعة الآيات القرآنية على المصحف الشريف ، وعينت مواضعها آية وسورة . ثم أرخت لكثير من الأعلام فى الكتاب الأول ، ولسائرها فى الكتاب الثانى ولسائر الكتب فى الكتابين .

* * *

ويؤسفنى بعد ذلك أن بعض الأخطاء المطبعية قد حدثت ، لأسباب خارجة عن إرادتى ، وقد أثبتنا فى آخر الكتاب أغلب هذا الخطأ غير المقصود .

وإنى لأشكر من عاونونى على نشر هذا الكتاب وطبعه ، وأخص بالذكر والدى رحمة الله عليه ـ فقد عاوننى معاونة جليلة فى مراجعة النص، رحمه الله رحمة واسعة . وأجزل له عنى خير الجزاء . ثم أشكر صديقى العزيز الاستاذ مصطفى طريح شرف ، على اشرافه على طبع جزء من الكتاب أثناء تغيبى فى الاسكندرية ـ ثم أشكر السيد محمد نجيب أمين الخانجى على قيامه بطبع الكتاب على نفقته .

الاسكندرية فى ٢٩ محرم ١٣٦٦ هـ
و ٢٣ ديسمبر ١٩٤٦م

على سامى النشار
مدرس تاريخ الفلسفة بكلية الآداب
جامعة فاروق الاول

مصادر التحقيق

ا ـ الكتب العربية

الاسفرايينى : التبصير فى الدين (طبعة الشيخ الكوثرى ١٣٥٩ هـ)

ابن أبى أصيبعة : عيون الانباء فى طبقات الاطباء (مصر ١٨٨١م)

الآلوسى : جلاء العينين (طبعة بولاق سنة ١٢٩٨ هـ)

البيهقى : تتمة صيوان الحكمة (طبعة الهند ١٣٥١)

التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون (طبعة استامبول ١٣١٧ هـ ـ ١٣١٨ هـ)

ابن تيمية : منهاج السنة (المطبعة الاميرية سنة ١٣٢١ هـ)

« « موافقة صريح المعقول لصريح المنقول (على هامش الكتاب السابق)

« « كتاب تفسير سورة الاخلاص (المطبعة الحسينية المصرية ١٣٢٣)

« « مجموعة الرسائل والمسائل (مطبعة المنار ١٣٤٩ هـ)

« « شرح العقيدة الاصفهانية (الجزء الخامس من الفتاوى)

« « السبعينية (نفس الجزء السابق والطبعة)

الجاحظ : أدب الجاحظ (طبع السندوبى)

ابن الجوزى : تلبيس ابليس (طبعة الخانجى سنة ١٣٤٠ هـ)

حاجى خليفه : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون (طبع دار السعاده وطبع القاهرة)

الحارث المحاسبى : الرعاية (طبعة لندن)

ابن حجر : تهذيب التهذيب (« حيدر أباد سنه ١٣٢٧)

حسن صديق خان : أبجد العلوم (« الهند ١٢٩٦)

أبوحيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة (« السندوبى ـ القاهرة ١٩٣٩)

« « المقابسات (« السندوبى ـ القاهره ١٩٣٠)

ابن خلكان : وفيات الاعيان (« باريس ١٨٣٨ هـ)

الدارمي : مقدمة الدارمي هامش المنتقى من أخبار المصطفى (الطبعة الهندية)

الذهبى : ميزان الاعتدال (طبعة الخانجى)

« تذكرة الحفاظ (طبعة الهند)

الخزرجى : خلاصه تذهيب تهذيب الكمال (طبعة بولاق سنه ١٣٠١ هـ)

(ف)

الرازى : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (طبعة الشار ١٩٣٨)
« محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (« الخانجى)
ابن سعد : الطبقات الكبير (« ليدن)
السبكى : طبقات الشافعية الكبرى (الطبعة الاولى)
السيوطى : حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة (بدون ذكر تاريخ الطبعة)
« طبقات المفسرين (طبعة ليدن ١٨٣٩ م)
« بغية الوعاة من طبقات اللغويين والنحاة (« الخانجى ١٣٢٦)
الشهرزورى : نزهة الارواح وروضة الافراح من تاريخ حكماء المتقدمين والمتأخرين
(مصور مكتبة جامعة فؤاد)
الشهرستانى : الملل والنحل (طبع المطبعة الادبية سنة ١٣٢٠ هـ)
الصلاح الصفدى : شرح لامية العجم (طبعة المطبعة الازهرية المصرية ١٣٠٥ هـ)
ابن الصلاح : فتاوى ابن الصلاح فى التفسير والحديث والاصول والعقائد
(طبع القاهره سنة ١٣٤٨ هـ)
طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة (طبعة حيدر آباد)
أبو طالب المكى : قوت القلوب (المطبعة المصرية ١٣٥١)
ابن عبد البر : جامع بيان العلم وفضله (المطبعه المنيرية سنة ١٣٤٦)
ابن عبدالهادى : العقود الدرية فى مناقب شيخ الاسلام أحمد بن تيمية
(طبعة القاهره ١٣٥٦ - ١٩٣٨)
ابن عساكر : تبيين كذب المفترى فيما نسب الى الاشعرى (طبعة الشام ١٣٤٧)
عبد الرازق الرسعنى : مختصر الفرق بين الفرق (طبعه الدكتور حق)
على سامى النشار : نقد مفكرى الاسلام المنطق الارسطاطاليسى (تحت الطبع)
الغزالى : فيصل التفرقة بين الايمان والزندقة (طبعة الخانجى سنة ١٣٤٣)
« احياء علوم الدين (المطبعة الازهرية المصرية ١٣٠٢)
فلوجل : نجوم الفرقان فى أطراف القرآن (طبعه ١٨٤٢)
ابن قيم الجوزية : مفتاح دار السعادة (طبعه الخانجى)
الاستاذ محمد فؤاد عبد الباقى : المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم
(طبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م)
ابن مطرف الكنانى : القرطين (طبعة الخانجى ١٣٥٥)

ابن النديم : الفهرست (طبعه ليبزج)
ياقوت : معجم الادباء (طبعه مرجليوث)
وكتب أخرى : كلسان العرب ، والقاموس المحيط (المطبعه المينيه سنة ١٣١٩)

ب ـ الكتب الأوروبية

Massignon, Recieul des textes Concernant L. histoire de La mystique en pays d' Islam.

Ine. of Islam, art Suyuti.

Brocklemann : Geschichte Arabischen Literatur

ج ـ مصادر عن حياة السيوطى ومؤلفاته

السيوطى : مجموع مؤلفاته ـ حسن المحاضرة ـ وبغية الوعاة ـ وطبقات الحفاظ وطبقات المفسرين ، وصون المنطق والكلام ، ونظم العقيان فى أعيان الاعيان .

ابن اياس : تاريخ مصر (المطبعة الاميرية ١٣١١ هـ)

السخاوى : الضوء اللامع فى أخبار القرن التاسع (طبعة القاهرة ١٣٥٤)

عبد القادر الشهير بالعيدروس : النور السافر عن أخبار القرن العاشر (طبعة بغداد ١٣٥٣ هـ)

محمد الشلش اليمانى : السنا الباهر بتكميل النور السافر

الخوانسارى : روضات الجنات ـ وذيل طبقات الشعرانى

ابن العماد : شذرات الذهب فى أخبار من ذهب (طبعة القدسى)

وقد نقل ابن العماد عن ابن الداودى تلميذ السيوطى ، وقد ترجم ابن الداودى لشيخه ترجمة طويلة ـ وما زالت هذه الترجمة مخطوطة .

وهناك مصادر أخرى ذكرت فى الحواشى .

د ـ خط المؤلف

هناك صور منه فى المخطوطات الاتية (١) .

(١) ألفية السيوطى فى مصطلح الحديث . عليها اجازات بخط المؤلف لناسخ النسخة لتلميذه الامير جرامرد الناصرى

وانظر أيضا خطه على الحواشى بالصفحات : ٥ ، ١٦ ، ٢٠ ، ٣١ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٦

مصطلح الحديث ـ خزانة تيمور ٢١٥

(٢) جياد المسلسلات للسيوطى . واسم الكتاب فى أوله بخطه ـ وتحته شهادة لاحد العلماء أنه خط المؤلف ـ رقم ٣٢٣ حديث خزانة تيمور باشا .

(٣) مجموعة نفيسة للسيوطى . غالبها كتب فى عصره ـ وطرف الرسالة الاولى بخط المؤلف رقم ٢٠٢ مجاميع خزانة تيمور باشا .

---

(١) دلنى على هذه المواضع الاخ فؤاد أفندى السيد الموظف بدار الكتب المصرية ، فله الشكر على ذلك .

بسم الله الرحمن الرحيم

« صون المنطق والكلام »

عن فن المنطق والكلام

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . « وبعد » فقد كنت قديما فى سنة سبع أو ثمان وستين وثمانمائة ألفت كتابا فى تحريم الاشتغال بفن المنطق سميته « القول المشرق [1] » ضمنته نقول أئمة الاسلام فى ذمه وتحريمه . وذكرت فيه أن شيخ الاسلام أحد المجتهدين تقى الدين بن تيمية [2] ألف كتابا فى نقض قواعده ولم أكن إذ ذاك وقفت عليه ومضى على ذلك عشرون سنة فلما كان فى هذا العام وتحدثت بما أنعم الله به علىّ من الوصول إلى رتبة الاجتهاد ، ذكر ذاكر أن من شروط الاجتهاد معرفة فن المنطق [3] يعنى وقد فقد هذا الشرط عندى بزعمه . وما شعر المسكين أنى أحسنه أكثر ممن يدعيه ويناضل عليه . وأعرف أصول قواعده وما بنيت عليه وما يتولد منها معرفة ما وصل إليها شيوخ المناطقة الآن

---

(١) ذكره السيوطى فى ترجمته لنفسه تحت اسم « القول المشرق فى تحريم الاشتغال بالمنطق » حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة ـ فن الفقه ـ الاجزاء المفردة ج ١ ص ١٥٧ .

(٢) ابن تيمية : تقى الدين أبو العباس أحمد توفى بدمشق لعشرين من ذى القعدة سنة ٧٢٨ هـ : أواخر سبتمبر ١٣٢٨ م .

(٣) أول من نادى بهذا — فيما يرجح — الغزالى — مقدمة المستصفى فى أصول الفقه ج ١ ص ١٠

— إلا شيخنا العلامة محيي الدين الكافيجى [١] فقط — فتطلبت كتاب ابن تيمية ، حتى وقفت عليه فرأيته سماه (نصيحة أهل الايمان فى الرد على منطق اليونان [٢]) . وأحسن فيه القول ما شاء من نقض قواعده قاعدة قاعدة وبيان فساد أصولها فلخصته فى تأليف لطيف سميته « جهد القريحة فى تجريد النصيحة [٣] » ثم إن كثيراً من المخبطين ، الذين هم عن تحقيق العلم بمعزل ، لهجوا بأن يقولوا ما الدليل على تحريمه ؟ وما مستند ابن الصلاح [٤] فى إفتائه بذلك ؟ ونحو ذلك من العبارات . والعجب أنهم يناضلون عن المنطق ولا يتقنونه ، ويدأبون فيه وفى أبحاثهم لا يستعملونه ، فيخبطون فيه خبط عشواء ولا يهتدون عند المناظرة والاستدلال إلا إلى عمياء . ولقد اجتمع بى بعض من قطع عمره فى المنطق فرأى قول ابن الصلاح فى فتاويه — وليس بالاشتغال بتعلمه وتعليمه مما أباحه الشارع

---

(١) محيى الدين أبو عبد الله الكافيجى الحنفى : محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومى البرغمى — لقب بالكافيجى لكثرة اشتغاله بكتاب الكافيه فى النحو . وهو أستاذ السيوطى . ولد سنة ٧٨٨ هـ — وتوفى رابع جمادى الأول سنة ٨٧٩ هـ كان إماما كبيرا فى المعقولات كلها الكلام والجدل والمنطق والفلسفة والهيئة ... ترجمته فى بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ص ٤٨ .

(٢) انظر المقدمة

(٣) لم يرد ذكر هذا الكتاب فى حسن المحاضرة — ولكن حاجى خليفة ذكره فقال : نصيحة أهل الايمان فى الرد على منطق اليونان لابن تيمية — اختصره السيوطى وسماه جهد القريحة فى تجريد النصيحة : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (طبعة دار السعاده سنة ١٣١٠ هـ) ص ٦٠٣ ج ٢

(٤) ابن الصلاح : أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن تقى الدين الشافعى — الامام المحدث المشهور — وصاحب الفتوى المشهوره فى تحريم المنطق — توفى فى ٢٤ ربيع الآخر سنة ٦٤٣ هـ — سبتمبر ١٢٤٥ م

ولا استباحه أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين والسلف الصالحين [١] فقال : هـذه شهادة على نفى فلا تقبل . فقلت يا سبحان الله لاطريق أهل الشرع سلكتم ولاطريق أهل المنطق اعتمدتم أما أهل الشرع فيقولون : إن النفى إذا كان من أهل الاستقراء التام فانه يقبل ويعتمد . وقد جرى على ذلك أهل الحديث وأهل الفقه وأهل العربية ، لغة ونحواوتصريفاً ، وأهل البلاغة معانى وبياناوبديعاً ، وأهل العروض فى مسائل يطول سردها . وأما أهل المنطق فانهم يقولون : إن السالبة الكلية إنما تنقض بموجبة جزئية . وهو أن يقال بل أباحه فلان الصحابى أو التابعى أوالمجتهد يحصل بذلك نقض كلام ابن الصلاح ولاسبيل إلى وجود ذلك عن أحد من المذكورين حتى يلج الجمل فى سم الخياط . وأما الدفع بالصدر وهو أن يقال ماهو صحيح أومن أين له ذلك فماهو طريقة أحد [٢] لا متشرع ولا متفلسف .

وقد رأيت أن أصنف كتابا مبسوطا [فى تحريمه [٣]] على طريقة الاجتهاد والاستدلال جامعاً مانعاً وبالحق صادعاً ، أبين فيه صحة ما ادعاه ابن الصلاح من نسبة نفى الإباحة إلى المذكورين . ولما شرعت فى ذلك ولزم منه الانجرار إلى نقل نصوص الأئمة فى منع النظر فى علم الكلام [٤] ، لما بينهما من التلازم ، سميت

---

(١) انظر ابن الصلاح : فتاوى ابن الصلاح فى التفسير والحديث والاصول والعقائد (طبع القاهره سنة ١٣٤٨) ص ٤٣

(٢) هنا كلمة — وهو — ولعلها زائده

(٣) ها كلمة مقطوعة من الأصل ولعلها — فى تحريمه —

(٤) لعل هذا الجزء من الكتاب هو ماذكره السيوطى فى ترجمته لنفسه فى ثبت كتبه «فصل الكلام فى ذم الكلام» حسن المحاضرة — ج ١ ص ١٥٧ — انظر أيضا مقدمة الناشر.

الكتاب «صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام» والله الموفق للمرام

ذكر ابتداء وضع المنطق وابتداء دخوله فى ملة الإسلام وابتداء من جمع كتب الأصول به وابتداء فشوه فى المتأخرين

أول من وضع فن المنطق أرسطاطاليس من أهل اصطخر [١] فى عهد أزدشير ابن دارا [٢] ذكره الشهرستانى [٣] فى الملل والنحل ، وابن الصلاح والنووى [٤] فى الطبقات ، والكندى [٥] وابن زولاق [٦] فى تاريخ مصر وغيرهم ، وإليه

---

(١) أرسطاطاليس : هو ابن نيقوماخس الطبيب المشهور — توفى سنة ٣٢٢ ق . وكان من مدينة لليونانيين تسمى أسطاغاريا — الفهرست لابن النديم ص ٢٤٦ (طبعة ليبزج ١٨٧١) — « راى ارسطوطاليس بن نيقوماخوس من أهل اسطاخرا ، وهو المقدم المشهور والمعلم الاول والحكيم المطلق عندهم ، وانما ولد فى أول سنة من ملك أزدشير بن دارا : الملل والنحل ج ٣ ص ٣٧ (طبع المطبعة الأدبية سنة ١٣٢٠) تلك هى صورة لما كتبه المسلمون عن موطن أرسطو استاجيرا — ويبدو أن السيوطى أخطأ فى نسبة أرسطو الى اصطخر — فاصطخر — على ما يذكر ياقوت — كورة وبلدة ببلاد فارس —

(٢) ازدشير بن دارا — هكذا فى بعض الكتب العربية ، وهى تصحيف اردشير . اردشير — ذكر ابن الاثير أنها من المدن التى بناها اردشير بن بابك بناها فى غرب المدائن على شاطىء الفرات بمقابلة ميسور التى في الشرق (دائرة المعارف الاسلامية ودائرة معارف البستانى) .

(٣) الشهرستانى : أبو الفتح محمد بن أبى القاسم توفى سنة ٥٤٨ هـ — ١١٥٣ م

(٤) النووى أو النواوى — أبوزكريا الحورانى — محى الدين النووى الشافعى توفى ٦٧٧ هـ — ١٢٧٨ م

أما عن طبقاته — فقد ذكر صاحب كشف الظنون أن ابن الصلاح ألف كتابا فى الطبقات ولكن المنية حالت بينه وبين إتمامه — فأخذه الامام أبو زكريا محى بن شرف النووى وزاد فيه أسامى قليلة جدا كشف الظنون ج ١ ص ٩٢

(٥) الكندى : هو المؤرخ المشهور — أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب كان فى زمن كافور المصرى التجيبى ، توفى بمصر سنة ٣٥٠ هـ — ٩٦١ م

(٦) ابن زولاق : أبو محمد الحسن المؤرخ توفى فى ذى القعدة ٣٨٧ هـ = ٩٩٧ م .

الإشارة بقول من قال :

قطعنا الأخوة من معشر بهم مرض من كتاب الشفا
فماتوا على دين رسطاطليس[1] ومتنا على ملة المصطفى

وقال ابن تيميه فى كتابه المذكور وقول الآخر :

إذا شوركت فى أمر بدون فلا يلحقك عار أو نفور
ففى الحيوان يشترك اضطراراً أرسطاليس والكلب العقور

خص أرسطاليس بالذكر لكونه واضع المنطق الذى قرر فيه أن فى كل نوع حصة من جنسه ، وأن الانسان يشاركه الكلب وغيره من الحيوانات فى الحيوانية .

وقال ابن تيمية فى كتابه المذكور : واضع المنطق أرسطوطاليس رجل من اليونان وهو أول من قال بقدم العالم . قال : وكان اليونان مشركين كفارا يعبدون الكواكب والأصنام شراً من اليهود والنصارى بعد النسخ والتبديل بكثير ، وكانوا قبل المسيح بأكثر من ثلاثمائة سنة . ثم لما بعث المسيح تمسكوا بدينه ، ثم لما غيرت ملة المسيح صاروا فى دين مركب من حنيفية وشرك بعضه حق وبعضه باطل ، وهو خير من الدين الذى كان عليه أسلافهم . انتهى . وقال فى موضع آخر من هذا الكتاب : كانت اليونان من المشركين يعبدون الأوثان ويعانون السحر كما ذكروا ذلك عن أرسطو[2] وغيره ، وكانت الشياطين تضلهم وبهم يتم سحرهم ولا يعرفون هم أن ذلك من الشياطين ، وقد لا يقرون بالشياطين بل يفتون أن ذلك كله من قوة النفس أو من أمور طبيعية أومن قوة فلكية ، فان

---

(١) فى الاصل : رسطاليس ، ولا يستقيم الوزن بهذا ، فلعلها رسطاطليس
(٢) فى الاصل أرسطوا . وهو سهو من المؤلف

هذه الثلاثة هى أسباب عجائب العالم عندهم [وعند][1] ابن سينا وموافقيه وهم جاهلون بما سوى ذلك من أفعال الشياطين الذين هم أعظم تأثيراً فى العالم فى الشر من هذا كله . وقال فى موضع آخر : كان مبدأ وضع المنطق من الهندسة فجعلوه أشكالا كالأشكال الهندسية ، وسموه حدودا لحدود تلك الأشكال ، لينتقلوا من الشكل المحسوس إلى الشكل المعقول . قال وهذا لضعف عقولهم وتعذر المعرفة عليهم إلا بالطريق البعيدة ، والله تعالى يسّر للمسلمين من العلم والبيان والعمل الصالح والإيمان ما برزوا به على كل نوع من أنواع جنس الإنسان والحمد لله رب العالمين .. انتهى[2] .

وأما ابتداء دخوله فى ملة الإسلام ، فقال الشيخ نصر المقدسى[3] : من أئمة أصحابنا فى كتابه « الحجة على تارك المحجة[4] » أنبأنى أبو محمد عبد الله بن الوليد بن سعد الأنصارى[5] قال سمعت أبا محمد عبد الله بن أبى زيد[6] الفقيه المالكى بالقيروان يقول : رحم الله بنى أمية لم يكن فيهم قط خليفة ابتدع فى الاسلام بدعة . وكان أكثر عمالهم وأصحاب ولا يتهم العرب ، فلما زالت الخلافة

---

(١) وعند : غير موجودة فى الاصل ، وقد أضفتها ليستقيم المعنى .

(٢) هذه النصوص سيذكرها السيوطى بعد فى تلخيصه لكتاب ابن تيمية

(٣) نصر المقدسى : أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسى شيخ الشافعية بالشام . توفى فى ٩ محرم سنة ٤٩٠ هـ = ١٠٦٧ م .

(٤) يذكر صاحب كشف الظنون أن فى شرح الأربعين لمولانا اللارى ـ كتاب الحجة لتارك المحجة ـ تتضمن ذكر أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة ـ قال : وهو للشيخ أبى الفتح نصر بن ابراهيم الشافعى الفقيه الزاهد نزيل دمشق وأفصح بعض الشارحين أنه للحافظ أبى القاسم اسمعيل بن محمد بن الفضل الاصبهانى . وهو خطأ ج ١ ص ٤٢٠

(٥) القيروانى المتوفى سنة ٣٨٩ هـ

عنهم . ودارت إلى بنى العباس قامت دولتهم بالفرس . وكانت الرياسة فيهم ، وفى قلوب أكثر الرؤساء منهم الكفر والبغض للعرب ودولة الإسلام . فأحدثوا فى الاسلام الحوادث التى تؤذن بهلاك الإسلام . ولولا أن الله تبارك وتعالى وعد نبيه صلى الله عليه وسلم أن ملته وأهلها هم الظاهرون إلى يوم القيامة لأبطلوا الإسلام ولكنهم قد ثلموه ، وعوروا أركانه ، والله منجز وعده إن شاء الله . فأول الحوادث التى أحدثوها إخراج كتب اليونانية إلى أرض الإسلام فترجمت بالعربية وشاعت فى أيدى المسلمين . وسبب خروجها من أرض الروم إلى بلاد الاسلام يحيي بن خالد بن برمك (١) . وذلك أن كتب اليونانية كانت ببلد الروم وكان ملك الروم خاف على الروم إن نظروا فى كتب اليونانية أن يتركوا دين النصرانية ويرجعوا إلى دين اليونانية وتتشتت كلمتهم وتتفرق جماعتهم . فجمع الكتب فى موضع وبنى عليها بناء مطمسا بالحجر والجص حتى لا يوصل إليها . فلما أفضت (٢) رياسة دولة بنى العباس إلى يحيي بن خالد ، وكان زنديقاً ، بلغه خبر الكتب التى فى البناء ببلد الروم فصانع ملك الروم الذى كان فى وقته بالهدايا ولا يلتمس منه حاجة . فلما أكثر عليه جمع الملك بطارقته وقال لهم إن هذا الرجل خادم العربى قد أكثر علىّ من هداياه ولا يطلب منى حاجة وما أراه إلا يلتمس (٣) حاجة وأخاف أن تكون حاجته تشق علىّ . وقد شغل بالى : فلما جاءه

---

(١) القابسى — وممن روى عنه أبو محمد عبدالله بن الوليد بن سعد الانصارى شيخ الرازى — تذكرة الحفاظ جـ ٣ — ص ٢٦٤

(٢) يحى بن خالد بن برمك : أبو الفضل الوزير ١٩٠ هـ = ٨٠٥ م

(٣) فى الاصل : أنقضت — ولعلها افضت .

(٤) فى الاصل : يلتمس الاحاجة — ولعلها الا يلتمس حاجة .

رسول يحيي قال له قل لصاحبك إن كانت له حاجة فليذكرها فلما أخبر الرسول يحيي رده إليه وقال له : حاجتي الكتب التي تحت البناء يرسلها إليّ أخرج منها بعض ما أحتاج وأردها إليه فلما قرأ الرومي كتابه استطار فرحاً وجمع البطارقة والأساقفة والرهبان وقال لهم : قد كنت ذكرت لكم عن خادم العربي أنه لا يخلو من حاجة وقد أفصح بحاجته وهي أخف الحوائج عليّ . وقد رأيت رأيا فاسمعوه فان رضيتموه أمضيته ، وإن رأيتم خلافه ، تشاورنا في ذلك حتى تتفق كلمتنا . فقالوا : وما هو قال : حاجته الكتب اليونانية يستخرج منها ما أحب ويردها . قالوا فما رأيك ؟ قال قد علمت أنه ما بني عليها من كان قبلنا إلا أنه خاف إن وقعت في أيدي النصارى وقرأوها كان سبباً لهلاك دينهم وتبديد جماعتهم وأنا أرى أن أبعث بها إليه وأسأله أن لا يردها ، يبتلون بها ، ونسلم نحن من شرها ، فاني لا آمن أن يكون بعدي من يجترىء على إخراجها إلى الناس فيقعوا فيما خيف عليهم . فقالوا : نعم الرأي رأيت أيها الملك فأمضه . فبعث بالكتب إلى يحيي بن خالد فلما وصلت إليه جمع عليها كل زنديق وفيلسوف فما أخرج منها كتاب حد المنطق . قال أبو محمد بن أبي زيد : وقلّ من أنعم النظر في هذا الكتاب وسلم من زندقة . قال ثم جعل يحيي المناظرة في داره والجدال فيما لا ينبغي فيتكلم كل ذي دين في دينه ويجادل عليه آمنا على نفسه . قلت مقتضى هذا الكلام أن ذلك حدث في خلافة الرشيد (١) فان البرمكي كان وزيرا له ، ثم أنه نكب في أيامه وقتل في سنة سبع وثمانين ومائة . وقال الصلاح الصفدي (٢) في شرح لامية العجم : حكي أن

---

(١) الرشيد : هرون الرشيد بن المهدي العباسي توفي ١٩٣ هـ — ٨٠٩ م

(٢) الصلاح الصفدي : صلاح الدين أبو الصفا خليل بن أيبك الصفدي الشافعي . توفي سنة ٧٤٦ هـ — ١٣٤٥ م

المأمون [١] لما هادن بعض ملوك النصارى — أظنه صاحب جزيرة قبرص — كتب يطلب منه خزانة كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة فى بيت لا يظهر عليه أحد . فجمع الملك خواصه من ذوى الرأى واستشارهم فى ذلك فكلهم أشار عليه بعدم تجهيزها إليه ، إلا بطراق واحد ، فانه قال جهزها إليهم ، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها وأوقعت بين علمائها . حدثنى من أثق به أن الشيخ تقى بن أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى كان يقول : ما أظن أن الله يغفل عن المأمون ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من إدخاله هذه العلوم الفلسفية بين أهلها أو كما قال ثم قال الصفدى إن المأمون لم يبتكر النقل والتعريب بل نقل قبله كثير فان يحيي بن خالد بن برمك عرب كثيراً من كتب الفرس مثل كليلة ودمنة وعرب لأجله كتاب المجسطى من كتب اليونان والمشهور أن أول من عرب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية [٢] لما أولع بكتب الكيما . وللتراجمة [٣] فى النقل طريقان أحدهما طريق يوحنا بن البطريق [٤] وابن الناعمة الحمصى [٥] وغيرهما وهو أن ينظر إلى [كل [٦]] كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتى بكلمة مفردة من الكلمات العربية ترادفها فى الدلالة على ذلك

---

(١) المأمون : عبد الله المأمون — ٢١٨هـ = ٨٣٣ م

(٢) خالد بن يزيد بن معاوية توفى ٨٥ هـ = ٧٠٤م

(٣) فى الاصل : والتراجمة ولعلها وللتراجمة .

(٤) يوحنا بن البطريق ، ويقال له يحيي — ويدعى الترجمان وقد عاصر المأمون وترجم له .

(٥) ابن الناعمة الحمصى : عبد المسيح بن ناعمة الحمصى . كان من التراجمة المشهورين فى العصر العباسى توفى ٢٢٠ هـ — ٨٣٥ م

(٦) غير موجودة بالأصل

المعنى فيبينها وينتقل إلى الكلمة الأخرى كذلك حتى يأتى على جملة مايريد تعريبه وهذه الطريقة رديئة لوجهين : أحدهما أنه لا يوجد فى الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية ، ولهذا وقع فى خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها . والثانى أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائما وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات وهى كثير فى جميع اللغات .

﴿ الطريق الثانى فى التعريب ﴾ طريق حنين بن إسحاق [١] والجوهرى [٢] وغيرهما وهو أن يأتى إلى الجملة فيحصل معناها فى ذهنه ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها سواء ساوت الألفاظ الألفاظ أم خالفتها وهذه الطريق أجود ، ولهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلا فى العلوم الرياضية لأنه لم يكن قيما بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعى والإلهى فان ماعربه منها لم يحتج إلى إصلاح ، فأما أوقليدس [٣] فقد هذبه ثابت بن قرة [٤] الحرانى ، وكذلك

---

(١) حنين بن اسحق أبوزيد المتوفى ٢٦٠ هـ = ٨٧٣ م ، وقيل ٢٦٤ هـ = ٨٧٧ م وهو رأس مدرسة الترجمة المشهورة . ولبرجستر آسر بحث طريف عنه وعن مدرسته

(٢) الجوهرى : ولم أعثر على تاريخ وفاته . وانما ذكر هو العباس بن سعيد الجوهرى كان فلكيا منجما عالما بالارصاد وآلاتها . وكان فى صحبة المأمون وهو مولاه . وهو الذى ندبه المأمون فى جماعة من أصحابه لاجراء الرصد . وله فى ذلك زيج مشهور . وكان من أكابر المهندسين والحساب . أدب الجاحظ (طبع السندوبى ص ٧٤ . تعليق رقم ٢) وفى عيون الانباء لابن أبى أصيبعة « ولشاناق (أحد المشهورين من أطباء الهند) من الكتب : كتاب السموم خمس مقالات فسره من اللسان الهندى إلى لفارسى منكه الهندى . وكان المتولى لنقله بالخط الفارسي رجل يعرف بأبى حاتم البلخى . فسره ليحيى بن خالد بن برمك . ثم نقل للمأمون على يد العباس بن سعيد الجوهرى مولاه ... ج ٢ ص ٢٣

(٣) أوقليدس : كشف الظنون ج ١ ص ١٣٠

(٤) ثابت بن قره الحرانى : أبو الحسن ٢٨٨ هـ = ٩٠١ م

المجصطى [١] والمتوسطات بينهما . ثم قال والخلاف ما زال فى هذه الأمة منذ توفى رسول الله ﷺ فى موته ودفنه وأمر الخلافة بعده وأمر ميراثه وأمر قتال مانعى الزكاة إلى غير ذلك ، بل فى نفس مرضه ﷺ لما قال : ائتونى بدواة وقرطاس أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعدى - على ماهو مذكور فى مواطنه . وقد روى أنس بن مالك [٢] أنه عليه السلام قال إن بنى إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة وإن أمتى ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وهى الجماعة [٣] وهو ﷺ الصادق المصدوق الذى ماينطق عن الهوى قد أخبر أن الأمة ستفترق ومتى افترقت خالف بعضها بعضاً ومتى خالفت تمسكت بشبه وحجج ، وناظرت كل فرقة من تخالفها ، فانفتح باب الجدل واحتاج كل أحد إلى ترجيح مذهبه ، وقوله بحجة عقلية أو نقلية أو مركبة منهما ، فهذا الأمر كان غير مأمون قبل المأمون ، نعم زاد الشر شرا ، والضر ضرا ، وقويت به حجج المعتزلة وغيرهم ، وأخذ أصحاب الأهواء مخالفو السنة مقدمات عقلية من الفلاسفة فأدخلوها فى مباحثهم وفرجوا بها مضايق جدالهم وبنوا عليها قواعد بدعهم فاتسع الخرق على الراقع وكاد منار الحق الواحد يشتبه بالثلاث الأثافى والرسوم البلاقع . انتهى كلام الصفدى [٤] .

---

(١) المجصطى : كشف : ج ٢ ص ٣٨٨

(٢) أنس بن مالك : أبو حمزه . أنس بن مالك الانصارى النجارى خادم رسول الله توفى سنة ٩٣ هـ

(٣) عن هذا الحديث ارجع إلى : اعتقادات فرق المسلمين والمشركين . ص ٧٥ تعليق ٢ (طبعة الفشار) وانظر أيضا مختصر الفرق بين الفرق لعبد الرازق الرسعنى (طبعة الدكتور حتى)

(٤) ذكر شرح لامية العجم صاحب كشف الظنون ج ٢ ص ٣٤٨ ، وانظر شرح لامية العجم (طبع المطبعة الازهرية المصرية ١٣٠٥ هـ) الطريق الثانى فى التعريب : طريق حنين بن اسحق والجوهرى وغيرهما وهو أن يأتى إلى الجملة فيحصل معناها فى ذهنه . ويعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها ... ص ٤٦

وفى تاريخ ابن كثير [١] فى ترجمة خالد بن يزيد بن أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان أنه كان عالما شاعراً وينسب إليه شىء من علم الكيمياء وأنه كانت له معرفة بشىء من علوم الطبيعة ، وأنه مات سنة تسعين من الهجرة فالحاصل من هذا كله أن علوم الأوائل دخلت إلى المسلمين فى القرن الأول لما فتحوا بلاد الأعاجم لكنها لم تكثر فيهم ولم تشتهر بينهم لما كان السلف يمنعون من الخوض فيها ، ثم اشتهرت فى زمن البرمكى ، ثم قوى انتشارها فى زمن المأمون لما أثاره من البدع وحث عليه من الاشتغال بعلوم الأوائل وإخماد السنة . وفى تاريخ الذهبي [٢] أن أول من أدخل الفلسفة الأندلس أمير الأندلس عبد الرحمن [٣] ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان الأموى ، وأنه كان يشبه بالمأمون العباسى فى طلب الكتب الفلسفية وبالوليد ابن عبد الملك [٤] فى جبروتيته ، وأنه أول من فخم الملك بالأندلس من الأموية وكساه أبهة الجلالة ، وأحدث بالأندلس لبس الطرز وضرب الدراهم ولم يكن فيها دار ضرب منذ فتحها العرب . وكانت وفاته سنة ٢٣٩ . وقال الغزالى [٥] فى

---

(١) تاريخ ابن كثير : يذكر صاحب كشف الظنون أنه البداية والنهاية .. اعتمد فى نقله على النص من الكتاب والسنة فى وقائع الالوف السالفة وميز بين الصحيح والسقيم والخبر الاسرائيلى وغيره ، ورتب مابعد الهجرة على السنوات إلى آخر عصره ص ٢١٦ ج ١

(٢) عبد الرحمن بن الحكم ، أمير الاندلس بن هشام الاموى أبو المطرف عبد الرحمن الثانى . ويقال له عبد الرحمن الاوسط توفى ٢٣٩ هـ — ٨٥٣ م .

(٣) الذهبي : شمس الدين أبو عبدالله توفى سنة ٧٤٨هـ = ١٣٤٧ م . وهو الامام المؤرخ العظيم وله تاريخ كبير، تاريخ الاسلام، ولم يطبع هذا التاريخ بعد .

(٤) توفى ٩٦ هـ = ٧١٤م

(٥) أبو حامد الغزالى : محمد بن محمد توفى يوم الاثنين ١٤ جمادى الاخرة سنة ٥٠٥ هـ ديسمبر ١١١١ م . وهو عالم الاسلام العظيم . ولسنا فى مقام ترجمته . وللاحياء نسخ عدة مطبوعة .

الاحياء : وأما الفلسفة فليست علما برأسها ، بل هى أربعة أجزاء أحدها الهندسة والحساب والثانى المنطق والثالث الالهيات والرابع الطبيعيات ، وسيأتى سوق عبارته بحروفها .

وأما أول من مزج كتب الأصول به ، فقال ابن تيمية فى كتابه : لم يكن أحد من نظار المسلمين يلتفتون إلى طريق المنطقيين ، بل الأشعرية والمعتزلة والكرامية والشيعة وسائر الطوائف كانوا يعيبونها ويثبتون فسادها ، وأول من خلط المنطق بأصول المسلمين أبو حامد الغزالى وتكلم فيه علماء المسلمين بما يطول ذكره . وأما ابتداء فشوه فى المتأخرين ، فقال الحافظ عماد الدين بن كثير فى تاريخه سنة ٦٨٧ : بعد أخذ التتار بغداد سنة عمل الخواجا نصير الطوسى [١] ، الرصد ، وعمل دار حكمة فيها فلاسفة ، لكل واحد فى اليوم ثلاثة دراهم ، ودار طب فيها للحكيم درهمان ، وصرف لأهل دار الحديث لكل محدث نصف درهم فى اليوم . ومن ثم فشا الاشتغال بالعلوم الفلسفية وظهر . ولم يكن الناس يشتغلون بها إلا الآحاد فى خفية وبدلت بغداد بعد تلاوة القرآن بالنغمات والألحان وإنشاد الأشعار ، وكان وكان ، وبعد سماع الأحاديث النبوية ، بدرس الفلسفة اليونانية ، والمناهج الكلامية ، والتأويلات القرمطية ، وبعد العلماء بالحكماء ، و بعد الخليفة العباسى بشر الولاة من الأناسى وبعد الرياسة والنباهة بالخساسة والسفاهة ، وبعد الطلبة المشتغلين بالظامة والعيارين [٢] ، وبعد الاشتغال بفنون العلم من التفسير والحديث

---

(١) الخواجا نصير الدين بن محمد الطوسي الفيلسوف . توفى عام ٦٧٢ هـ — ١٢٧٤ م.

(٢) عار الفرس يعير من باب سار عيارا — أفلت وذهب على وجهه — ورجل عيار كثير التطواف . وقال ابن الانبارى : العيار من الرجال : الذي يخلى نفسه وهواها لا يردها ولا يزجرها [المصباح] .

والفقه وتعبير الرؤيا بالزجل والموشح ودوبيت ومواليا ، وما أصابهم ذلك إلا ببعض ذنوبهم « وما ربك بظلام للعبيد [١] » هذا كلام ابن كثير [٢] .

ذكر من صرح
بذم المنطق أو تحريمه من أئمة الإسلام

لا شك أن المجتهد يحرم عليه إحداث قول لم يقل به أحد ، واختراع رأى لم يسبق إليه ، ولهذا كان من شروط الاجتهاد معرفة أقوال العلماء من الصحابة فمن بعدهم إجماعا واختلافا لئلا يخرق الاجماع فيما يختاره . فوجب ذكر أقوال العلماء فى هذه المسألة قبل إقامة الدليل لكون الكتاب مؤلفا على طريقة الاجتهاد .

فأقول : أما الصحابة رضى الله عنهم والتابعون وأتباعهم فلم يرد عنهم فيه التصريح بشىء لكونه لم يكن موجوداً فى زمنهم وإنما حدث فى أواخر القرن الثانى كما تقدم . وكان الامام الشافعى رضى الله عنه حيا [٣] إذ ذاك فتكلم فيه . وهو أقدم من رأيته حط عليه [٤] .

---

(١) ٤١ فصلت ٤٦

(٢) ابن كثير : أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشى الدمشقى . توفى سنة ٧٤٤ هـ وقد طبع ٥ أجزاء من البداية والنهاية (القاهرة ١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م) .

(٣) الشافعى : محمد بن إدريس أبو عبد الله توفى ٢٠٤ هـ - ٨١٩ م

(٤) حطط ... حططت الرجل وغيره حطا : أنزلته من علو إلى سفل ، وحططت من الدين أسقطت ، والحطيطة فعيلة بمعنى مفعولة ، واستحطه من الثمن كذا [فحطه له] وانحط السعر : نقص .

ذكر النص الذى ورد عن الإمام الشافعى

فى ذلك قال أبو الحسن بن مهدى : حدثنا محمد بن هارون ثنا هميم بن همام ثنا حرمله [١] قال : سمعت الشافعى يقول : ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطاطاليس. أورد هذا النص من هذا الطريق قاضى المسلمين الحافظ عز الدين عبد العزيز بن قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة فى تذكرته [٢] . وأشار الشافعى بذلك إلى ما حدث فى زمن المأمون من القول بخلق القرآن ونفى الرؤية وغير ذلك من البدع وأن سببها الجهل بالعربية والبلاغة الموضوعة [٣] فيها من المعانى والبيان والبديع الجامع لجميع ذلك قوله لسان العرب الجارى عليه نصوص القرآن والسنة وتخريج ماورد فيها على لسان يونان ومنطق ارسطاطاليس الذى هو فى حيز ولسان العرب فى حيز ولم ينزل القرآن ولا أتت السنة إلا على مصطلح العرب ومذاهبهم فى المحاورة والتخاطب والاحتجاج والاستدلال لا على مصطلح يونان ولكل قوم لغة واصطلاح . وقد قال تعالى «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم [٤]» فمن عدل عن لسان الشرع لى لسان غيره وخرج

---

(١) حرملة : التيجيبي نسبة الى تجيب ، وتجيب قبيلة ، وهو أبو تجيب حرملة ابن يحيى ابن عبدالله بن حرملة المصري فقيه ومحدث توفى فى شوال ٢٤٣ هـ ٨٥٧ م . انظر طبقات الفقهاء للشيرازى .

(٢) الحافظ عز الدين بن عبد العزيز ابن قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ولد سنة ٦٩٤ توفى ٧٦٧ هـ .

(٣) فى الاصل الموضوع ، ولعلها الموضوعة .

(٤) ١٤ إبراهيم ٢٤ .

الوارد من نصوص الشرع عليه جهل وضل ولم يصب القصد . ولهذا نرى كثيراً من أهل المنطق إذا تكلم فى مسألة فقهية وأراد تخريجها على قواعد علمه أخطأ ولم يصب ما قالته الفقهاء ولا جرى على قواعدهم . وقد علم الناس ما كان يقع بين شيخنا المذكور (١) فى الخطبة وبين فقهاء الحنفية من كثرة التنازع والاختلاف فى الفتاوى الفقهية ، ونسبتهم إياه إلى أنها غير جارية على قوانين الفقه ، وما ذاك إلا لكونه كان يخرجها على قواعد الاستدلال المنطقى . وللشريعة قواعد أخرى لا يخرج الفقه إلا عليها . فمن تركها وخرج على غيرها لم يدرك غرض الفقه ، والشيخ رحمه الله ، أستاذى ونعله تاج رأسى ، ولكن هذا هو الحق الذى لا بد منه . وقد أراد منى مرات أن أوافقه فى فتاوى تتعلق بالأوقاف . ولم أوافقه على شىء منها ، والغرض بهذا الكلام شرح قول الشافعى رضى الله عنه وأنه من أراد تخريج القرآن والسنة والشريعة على مقتضى قواعد المنطق لم يصب غرض الشرع ألبتة ، فان كان فى الفروع نسب إلى الخطأ ، وإن كان فى الأصول نسب إلى البدعة . وهذا أعظم دليل على تحريم هذا الفن فانه سبب للاحداث والابتداع ومخالفة السنة ومخالفة غرض الشارع وكفى بهذا دليلا وهو مستنبط من كلام الشافعى رضى الله عنه . ونظيره تحريم النظر فى متشابه القرآن خوف الزيغ والفتنة . أخرج الشيخان وغيرهما عن عائشة قالت : « تلا رسول الله ﷺ هذه الآية « هو الذى أنزل عليك الكتاب إلى قوله أولوا الألباب (٢) قال : فاذا رأيت الذين يتبعون

---

(١) أى الكافيجى .

(٢) ٣ سورة آل عمران . آية ٧

ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم » وأخرج الطبرانى فى الكبير عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع رسول الله صم يقول « لا أخاف على أمتى إلا ثلاث خلال ، أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا (١) وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغى تأويله وما يعلم تأويله إلا الله » . وأخرج الدارمى (٢) فى مسنده عن سليمان بن يسار أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل اليه عمر وقد أعد له عراجين النخل فقال: من أنت قال: أنا عبدالله صبيغ ، فأخذ عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى دمى رأسه ، وفى رواية عنه، فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبره ثم تركه حتى برىء ثم عاد له ثم تركه حتى برأ فدعا به ليعود فقال: إن كنت تريد قتلى فاقتلنى قتلا جميلا، فأذن له إلى أرضه وكتب إلى [أبى (٣)] موسى الأشعرى أن لا يجالسه أحد من المسلمين . وأخرج ابن عساكر فى تاريخه عن أنس أن عمر بن الخطاب جلد صبيغا (٤) الكوفى فى مسألة عن حرف من القرآن حتى اطردت الدماء فى ظهره . وأخرج نصر المقدسى فى الحجة وابن عساكر عن السائب بن يزيد

---

(١) فى الاصل فيقتلوا . ولعلها فيقتتلوا

(٢) ولد سنة ١٨١ هـ ـ ومات ٢٥٥ هـ

(٣) فى الاصل ـ كلمة أبى غير موجودة .

(٤) لم أعثر على صبيغ فى الميزان وتهذيب التهذيب ، ولكنى وجدت النص نفسه مع بعض اختلافات بسيطة فى مقدمة الدارمى باب ١٨ ص ٢١ (الطبعة الهندية هامش المنتقى من أخبار المصطفى) .

وفى القاموس المحيط : صبيغ كأمير بن عسيل كان يعنت الناس بالغوامض والسؤالات ، اقتفاه عمر الى البصرة ـ مادة صبغ «القاموس المحيط » (طبعة ١٣١٩ ـ المطبعة اليمنية) ج ٣ ص ١١٣

أن رجلا قال لعمر: إنى مررت برجل يسأل عن [بعض[١]] مشكل القرآن، فقال عمر اللهم أمكنى منه، فدخل الرجل يوماً على عمر فسأله، فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ثم قال ألبسوه تباناً[٢] واحملوه على قتب وابلغوا به حيه، ثم ليقم خطيب فليقل: إن صبيغاً طلب العلم فأخطاه فلم يزل وضيعاً فى قومه، بعد أن كان سيداً فيهم. وأخرج نصر المقدسى وابن عساكر عن أبى عثمان النهدى أن عمر كتب إلى أهل البصرة أن لايجالسوا صبيغاً، قال فلو جاء ونحن مائة لتفرقنا. واخرج ابن عساكر عن محمد بن سيرين، قال كتب عمر ابن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى أن لايجالس صبيغ، وأن يحرم عطاؤه ورزقه. وأخرج نصر فى الحجة وابن عساكر عن زرعة، قال: رأيت صبيغ بن عسل بالبصرة كأنه بعير أجرب يجىء إلى الحلقة ويجلس وهم لايعرفونه فتناديهم الحلقة الأخرى: عزمة أمير المؤمنين عمر، فيقومون ويدعونه. وأخرج الشيخ نصر المقدسى فى الحجة عن أبى اسحق أن عمر كتب إلى أبى موسى الأشعرى: أما بعد فان الأصبغ تكلف ما كنى وضيع ماولى فاذا جاء كتابى هذا فلا تبايعوه وان مرض فلا تعودوه، وان مات فلا تشهدوه. وأخرج نصر أيضاً عن أبى هريرة قال: كنا عند عمر بن الخطاب إذ جاءه رجل يساله عن القرآن، أمخلوق هو أو غير مخلوق؟ فقال على: هذه كلمة وسيكون لها ثمرة، ولو وليت من الأمر ما وليت ضربت عنقه، ولهذه العلة بعينها حرم الشافعى رضى الله عنه النظر فى علم الكلام. أخرج الهروى[٣] فى كتاب ذم الكلام[٤] بسنده عن الشافعى، قال: حكمى

---

(١) بين عن ومشكل — كلمه غير ظاهرة لتقطعها — وربما كانت «بعض» أو نحو ذلك.

(٢) تبان: سروال صغير يستر العورة المغلظة.

(٣) الهروى: هو أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الانصارى الهروى المعروف بشيخ الاسلام. توفى سنه ٤٨١ هـ.

(٤) كتاب ذم الكلام: ذكره صاحب كشف الظنون ج ١

فى أهل الكلام حكم عمر فى صبيغ ، دل ذلك منه على أن العلة عنده فى تحريم النظر فى علم الكلام ما يخشى منه من إثارة الشبه والانجرار الى البدع ، فحرمه قياساً على تحريم النظر فى المتشابه ، وهذا قياس صحيح ، وهذه العلة بعينها موجودة فى المنطق ، كما ذكره الشافعى ، فيكون الدليل على تحريم النظر فيه القياس على الأصل المقيس عليه علم الكلام ، وهو المتشابه المنصوص على تحريم النظر فيه ، وهذا قياس صحيح لا يتطرق اليه قدح بنقض (١) ولا معارضة (٢) ـ نعم قد يمنع الخصم وجود العلة المذكورة فى المنطق ، لكن منعه هذا مكابرة (٣) فلا يسمع لأن المشاهدة والاستقراء تكذبه . قال الذهبي فى الميزان فى ترجمة أبى الحسن ابن الزاغونى الفقيه الحنبلى ، له تصانيف فيها أشياء من بحوث المعتزلة بدعوه بها لكونه نصرها ، وماهذا من خصائصه ، بل قل من أمعن النظر فى علم الكلام ، إلا وأداه اجتهاده الى القول بما يخالف محط السنة ، ولهذا ذم علماء السلف النظر فى علم الاوائل ، فان علم الكلام مولد من علم الحكماء الدهرية ، فمن أراد الجمع بين علم الأنبياء وبين علم الفلاسفة بذكائه ، لابد وأن يخالف هؤلاء وهؤلاء ، ومن كف (٤) ومشى خلف ماجاءت به الرسل من اطلاق ماأطلقوا ، ولم يتحذلق ولا عمق ، فانهم صلوات الله عليهم أطلقوا وماعمقوا ، فقد سلك طريق السلف الصالح ، وسلم له دينه ويقينه ، نسأل الله السلامة فى الدين انتهى .

وقد يدعى دخول هذه الصورة بخصوصها ـ أعنى تحريم النظر فى المنطق ـ

---

(١) كشاف اصطلاحات الفنون : ج ٢ ص ١٣١١
(٢) « « « : ج ٢ ص ٩٩١
(٣) كشاف اصطلاحات الفنون : ج ٢ ص ١٢٤٧
(٤) فى الاصل ـ لف (٥) ٢١ أنبياء ٢٢

تحت عموم النصوص الدالة على تحريم كل ماجر إلى فساد ، أوخشى منه فتنة ، فيكون التحريم مستفاداً من عموم النصوص لا من خصوص القياس ، والمستدل أن يستعمل كلا من الأمرين ويكون دليلان تعاونا ، طابق خصوص القياس ، عموم النصوص .

تنبيه — يشهد لصحة ماأشار اليه الشافعى ماذكره بعض أئمة المعقولات عند قوله تعالى : « لوكان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » .(١) حيث قال هذا دليل اقناعى وذلك لأنه رام تخريجه على قواعد الاستدلال المنطقى ، والقرآن ورد على مذهب العرب واصطلاحهم فى الاحتجاج ، وقدأطبق أئمة البلاغة على إيراد هذه الآية فى النوع البديعى المسمى عند المتأخرين بالمذهب الكلامى وبالاحتجاج النظرى(٢) وأطبق العرب الذين نزل عليهم القرآن ، فمن بعدهم من المسلمين ، على أن هذه الآية من أعظم الأدلة على الوحدانية ، فاذا استحيا الانسان من الله لم يقل فيها مثل هذا الكلام ، وليس غرضى بهذا الحط على الرجل المذكور ، لكن بيان أن المنطق لايجر الى خير ، وأن من لاحظه كان بعيداً عن ادراك المقاصد الشرعية ، فان بينه وبين الشرعيات منافرة . ونظير ذلك ماوقع للرجل المذكور أيضا عند قوله تعالى « يسألونك عن الأهلة ... » الآية(٣) . قال : سألوا عن الهلال لم يبدو دقيقاً ثم يتزايد حتى يمتلئ ، فأجيبوا ببيان حكمة ذلك ، وعدل عن جواب ماسألوا عنه ، لانهم ليسوا ممن يطلعوا على دقائق الهيئة (٤) بسهولة ، وهذا الكلام منه خطأ

---

(١) ٢١ أنبياء ٢٢ (٢) كشاف اصطلاحات : ج١ ص ٥١١
(٣) ٢ سورة البقرة ١٨٩ (٤) فى الاصل : إلهية .

صراح . أما أولا ، فلأن أسباب النزول دل على أنهم سألوا عن الحكمة لا عن ماذكره أما ثانياً ، فلا يليق أن يظن بالصحابة رضى الله عنهم الذين هم أدق فهماً من جميع العجم ومن كل الأمة ، أنهم ليسوا ممن يطلع على دقائق الهيئة بسهولة وقد اطلع عليها آحاد العجم المتأخرين . وأما ثالثاً : ما لم يكن فى القدرة الالهية توصيل ذلك الى أذهانهم بعبارة يفهمونها . وأما رابعاً : فقد اطلع الصحابة رضوان الله عليهم على دقائق جمة من الفقه ، وعويص الفرائض وأعمال القلوب ، فأى شئ علم الهيئة بالنسبة الى ذلك ، هو أخس وأحقر ، لو كان له أصل معتبر ، فكيف وأكثره فاسد لا دليل عليه ، بل قامت الادلة من الاحاديث والآثار ، على خلافه ، كما أفردته فى تأليف مستقل . والذى جرأ صاحب هذه المقالة عليها وعلى مثلها الانهماك فى العلوم الفلسفية والاعجاب بالدقائق العقلية حتى ظن أنه لا يسهل إلا عليه وعلى نظرائه ، واستبعد أن يصل اليها أحد بسهولة ، حتى الصحابة ، فانا لله وإنا اليه راجعون .

وقد سأل القطب الرازى (١) الشيخ تقى الدين السبكى (٢) عن حديث « كل مولود على الفطرة » ، وأورد عليه تشكيكات منطقية ، فأجاب الشيخ تقى الدين بأن المحمول فيه مساو للموضوع لا أخص منه ، [واستدل] (٣) على مساواته بنور إلهى من المؤيد بالنبوة ؛ ثم ساق كلاماً طويلا وقال فى آخره : هذا لا يمكن حمل الحديث عليه ، لكن لو جاء فى كلام غير النبي صلى الله عليه وسلم أمكن حمله ، فأعاد

---

(١) القطب الرازى : المعرف بالتحتانى — توفى سادس ذى القعده سنة ٧٦٦ ، وقد ذكر السبكى فى طبقات الشافعية أنه ورد إلى دمشق سنة ٧٦٣ — وبحث معه ج ٦ ص ٢١

(٢) تقى الدين السبكى : الامام المشهور شيخ الشافعية ومؤرخها توفى ٧١١ هـ .

(٣) غير موجودة بالاصل — وبها يستقيم المعنى

له القطب الرازى الكلام ، وقال فيه : إنك نفيت امكان حمل الحديث عليه ، وأثبت امكان حمل كلام آخر عليه ، فما الفرق ؟ فأجابه السبكى بأن قائل (١) هذا إما مجنون وإما مطبوع على قلبه حتى لا يفرق بين كلام النبوة وغيره .

فصـــل

وقد وجدت السلف قبل الشافعى أشاروا الى ما أشار اليه من أن سبب الابتداع الجهل بلسان العرب . وأخرج البيهقى (٢) فى البعث عن الأصمعى (٣) ، قال : جاء عمرو بن عبيد (٤) الى أبى عمرو بن العلاء يناظره فى وجوب عذاب الفاسق ، فقال له يا أبا عمرو . آلله يخلف وعده ؟ فقال لن يخلف الله وعده ، فقال عمرو ، فقد قال : وذكر آية وعيد ، فقال أبو عبيد : من العجمة أتيت ، الوعيد غير الايعاد ، ثم أنشد :

وإنى وان أوعدته أو وعدته لمخلف إيعادى ومنجز موعدى (٥)

وأخرج البخارى فى تاريخه الكبير (٦) عن الحسن البصرى (٧) ، قال إنما

---

(١) فى الاصل : قال — ولعل الصواب قائل .

(٢) البيهقى : أبو بكر البيهقى النيسابورى الخسروجردى توفى سنة ٤٥٨ هـ

(٣) الاصمعى : عبد الملك بن قريب عاصم الباهلى مات بالبصره سنة ٢١٣ هـ . وقيل أكثر .

(٤) عمرو بن عبيد بن باب ، وباب من سبى كابل من ثغور بلخ — ويكنى بأبى عثمان — ترجمته الكاملة — المنية والأمل لابن المرتضى ص ٢٢ طبعة الهند (١٣١٦ هـ)

(٥) فى الاصل ..... مأخلف إيعادى وأنجزه وعدى

(٦) البخارى : هو الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسماعيل الجعفى صاحب الصحيح ولد فى ١٣ شوال سنة ١١٤ توفى ليلة السبت سنه ٢٥٦ هـ . أما تاريخه فهو تاريخ كبير جمع فيه الثقاة والضعفاء من رواة الاحاديث ، ويقال أنه ثلاثه كبير ووسط وصغير والكبير هو الذى صنفه عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم فى الليالى المقمرة — ميزان الاعتدال ج . ص .

(٧) الحسن البصرى : الحسن بن أبي الحسن البصرى المتوفى سنه ١١٠ هـ

أهلكتهم العجمة .

وقال ابن قتيبة [١] فى كتابه « تأويل مشكل القرآن [٢] » إنما يعرف فضل القرآن من كثر نظره ، واتسع علمه ، وفهم مذاهب العرب ، وافتنانها فى الأساليب وماخص الله به لغتها [٣] دون جميع اللغات ؛ فانه ليس فى جميع الأمم أمة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجال ما أوتيته العرب خصيصاً من الله لما أرهصه فى الرسول صم [٤] وأراده [٥] من إقامة الدليل على نبوته بالكتاب فجعله علمه كما جعل علم كل نبي من المرسلين من أشبه الأمور لما [٦] فى زمانه المنبعث فيه فكان لموسى صم فلق البحر واليد والعصا وتفجر البحر [٧] فى التيه بالماء الرواء إلى سائر أعلامه زمن السحر ، وكان لعيسى عيم إحياء الموتى وخلق الطير من الطين وإبراء الأكمه والأبرص الى سائر أعلامه زمن الطب ، وكان لمحمد صم الكتاب الذى لو اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثله [٨] لم يأتوا بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا الى سائر أعلامه زمن البيان .

---

(١) ابن قتيبه : الامام عبد الله بن مسلم بن قتيبه الدينورى توفى سنه ٢٧٦ هـ

(٢) كتاب ـ تأول مشكل القرآن ـ نشر هو وكتاب غريب القرآن تحت اسم القرطين لابن مطرف الكناني المتوفى سنه ٤٥٤ ـ وانظر ترجمته وترجمه ابن قتيبه في مقدمه طبعه هذا الكتاب (نشر الخانجى سنه ١٣٥٠ هـ) وقد عثرت على الفقرة التى أوردها السيوطى من كتاب ابن قتيبه ـ ج ٣ ١٥٧ ـ ١٦١ ـ مع بعض تغييرات غير ذات بال ـ أوردتها فى مواضعها . ورمزت إلى كتاب القرطين بالحرف ق .

(٣) فى القرطين : لغتنا .
(٤) ق ـ زيادة ـ الكريم .
(٥) ق ـ أراد
(٦) ق . بما
(٧) ق . الحجر .
(٨) ق . به .

كان الخطيب [١] من العرب إذا ارتجل كلاماً فى نكاح أو تحضيض أو صلح أو ما أشبه ذلك لم يأت به من واد واحد ، بل يفتن فيختصر تارة ارادة التخفيف ويطيل تارة ارادة الافهام ويكرر تارة إرادة التوكيد ويخفى [٢] بعض معانيه حتى تغمض على أكثر السامعين ويكشف بعضها حتى يفهمه [٣] بعض الأعاجم ويشير الى الشئ ويكنى عن الشئ وتكون عنايته بالكلام على حسب الحال وقدر الحفل وكثرة الحشد وجلالة المقام ، ثم لا يأتى بالكلام كله مهذباً كل التهذيب ومصفى كل التصفية ، بل تجده [٤] يمزج ويشوب ، ليدل بالناقص على الوافر ، وبالغث على الثمين ، ونوجعله كله بحراً واحداً لبخسه بهاءه ولسلبه [٥] ماءه . ومثل ذلك الشهاب من القبس تبرزه للمشعل والكوكبان يقتربان [٦] فينقص النوران والسحاب ينظم بالياقوت والمرجان والعقيق والعقيان ولا يجعل كله جنساً واحداً من الرفيع الثمين ولا النفيس المصون

وألفاظ العرب مبنية على ٢٨ حرفا — وهى أقصى طرف اللسان ، وألفاظ جميع الأمم قاصرة عن ثمانية وعشرين حرفا — [٧] ؛ ولست واجداً فى شئ من كلامهم حرفاً ليس فى حروفنا إلا معدولا مخرجه [٨] شيئا مثل الحرف

---

(١) فى القرطين — قال فالخطب . وفى الاصل كالخطيب ، ولعل الصواب هو ما ذكرته كان الخطيب .

(٢) فى الاصل — ويخفف — وفى ق . ويخفى — وهو الصواب .

(٣) ق . يفقهه . (٤) ق . نجده . (٥) ق . وسلبه .

(٦) ق . يقتربان . (٧) هذه العبارة محذوفة فى ق .

(٨) ق . عن مخرجه .

المتوسط مخرجى القاف والكاف والحرف المتوسط مخرجى الباء والفاء ، فهذه حال العرب فى مبانى ألفاظها ، ولها الاعراب الذى جعله الله وسيلة [١] لكلامها وحلية لنظامها وفارقاً فى بعض الأحوال بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين كالفاعل والمفعول . لايفرق بينهما اذا تساوت [٢] حالاهما فى إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا بالاعراب ، ولوأن قائلا قال هذا قاتل أخى بالتنوين ، وقال آخر هذا قاتل أخى بالاضافة ، لدل التنوين على أنه لم يقتله ودل حذف التنوين على أنه قتله . ولوأن قارئاً قرأ : « فلا [٣] يحزنك قولهم إنا نعلم مايسرون ومايعلنون » بالفتح وترك طريق الابتداء بأنا وأعمل القول فيها بالنصب على مذهب من ينصب ألف ان [٤] بالقول كما ينصبها بالظن لقلب المعنى عن جهته وأزاله عن طريقته ، وجعل النبي صم محزوناً لقولهم إن الله يعلم مايسرون ومايعلنون ، وهذا كفر ممن تعمده وضرب من اللحن لاتجوز الصلاة به ، ولايجوز للمؤمنين أن يتجوزوا فيه وقد [٥] قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يقتل قريشى صبراً بعد اليوم » فمن رواه جزماً أوجب ظاهر الكلام للقرشى أن لايقتل إن ارتد ولا يقتص منه إن قتل ، ومن رواه رفعاً انصرف التأويل الى الخبرعن قريش أنه لايرتد منها [٦] أحد عن الاسلام فيستحق القتل ، أفما ترى أن الإعراب كيف فرق [٧] بين هذين المعنيين ، وقد يفرقون بحركة البناء فى الحرف

---

(١) ق . وشيا .
(٢) ق . استوت .
(٣) فى الاصل ولا : وهو خطأ والصواب — فلا — وهو كذلك فى ق .
(٤) آلف ان — محذوف فى ق .
(٥) ق . محذوفة .
(٦) ق . منهم .
(٧) فى الاصل : فرقا . وهو خطأ — والصواب فرق — كذا فى ق .

الواحد بين المعنيين فيقولون رجل لعنة إذا كان يلعنه الناس ، فان كان هو يلعن الناس قالوا هو رجل لُعَنَه فحركوا العين بالفتح ، ورجل سبه اذا سبه الناس ، واذا كان هو يسب قالوا رجل سُبَبَه وكذلك هُزَأه وهزأه وسخرة وسُخرة وضحكة وضُحكة وخدعة وخِدعة ، وقد يفرقون بين المعنيين المتقاربين بتغيير حرف فى الكلمة حتى يكون تقارب مابين اللفظين كتقارب [١] مابين المعنيين ، كقولهم للماء الملح الذى لا يشرب إلا عند الضرورة شروب [٢] ولما كان دونه مما قد يتجوز فيه شريب ، وكقولهم لما ارتض على الثوب من البول اذا كان مثل رءوس الابر نضح ورش الماء عليه يجزى من الغسل [٣] فاذا زاد على ذلك قيل له نضح ولم يجزئ [٤] منه إلا الغسل ، وكقولهم للقبض بأطراف الأصابع قبص وبالكف قبض ، وللأكل بأطراف الأسنان قضم وبالفم خضم ، ولما ارتفع من الأرض حزن فان [٥] زاد قليلا قيل حزم ، وللذى يجد البرد خصر ، فان كان مع ذلك جوع [٦] خرص وللنار إذا طفئت هامدة فان سكن اللهب وبقى من جمرها [٧] شئ قيل خامدة ، وللقائم من الخيل صائم ، فان كان ذلك من حفى [٨] أووجا [٩] قيل صافن [١٠] ،

---

(١) ق . لتقارب

(٢) شروب — ماء شروب — يصلح للشرب مع بعض كراهة . وفى لسان العرب ج ١ ص ٤٧٢ الماء الشريب الذى ليس فيه عذوبة وقد يشربه الناس على مافيه — والشروب — دونه فى العذوبة — وليس يشربه الناس إلا عند الضرورة .

(٣) ق . الغسل عند بعض أهل العلم .

(٤) ق . يجز .

(٥) ق . فاذا .

(٦) ق . جوع — قيل

(٧) ق . حرها .

(٨) حفى : حفى الفرس حفا — انسحج حافره .

(٩) وجا : المانى إذا حفى — وهو أن يرق القدم أو الفرس أو الحافر وينسحج

(١٠) ق . صائن .

وللعطاء ابتداء [١] شكل [٢] ، فان كان مكافأة قيل شكم ، وللخطأ من غير تعمد غلط ، فان كان فى الحساب قيل غلت ، وللضيق فى العين خوص — يقال خوصت عينه تخوص خوصاً ، ورجل أخوص وامرأة خوصاء . ويقال مثل ذلك كله فى الحوص أيضاً وأصل الحوص من الحوص وهو حياطة العين [٣] — فان كان ذلك فى مؤخرها قيل حوص . وقد يكتنف [٤] الشىء معان [٥] فيشتق لكل معنى منها اسم من اسم ذلك الشىء كاشتقاقهم من البطن الخميص مبطن ، وللعظيم البطن إذا كان خلقة بطين ، فاذا كان من كثرة الأكل قيل مبطان ، وللمنهوم بطن [٦] وللعليل البطن مبطون . ويقولون وجدت الضالة ووجدت فى الغضب ووجدت فى الحزن ووجدت فى الاستغناء كله بالفتح [٧] ثم يجعلون الاسم فى الضالة وجوداً ووجداناً ، وفى الحزن وجداً ، وفى الغضب موجدة ، وفى الاستغناء وجداً إلى أشياء كثيرة [٨] وللعرب المجازات فيه الكلام ومعناها طرق القول ومأخذه فمنها الاستعارة والتمثيل والقلب والتقديم والتأخير والحذف والتكرار والاخفاء والإظهار والتعريض والافصاح والكناية والايضاح ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع والجميع خطاب الواحد والواحد والجميع [٩] خطاب لاثنين والقصد بلفظ

---

(١) ق . محذوفة .
(٢) ق . شكر وفى الاصل شكل — ولعل الصواب هو شكر .
(٣) ق مابين القوسين محذوف . (٤) ق . يكشف
(٥) ق . معانى . (٦) ق . محذوفة — وللمنهوم بطن —
(٧) ق . كله بالفتح — محذوفة .
(٨) ق . فى أشباه لهذا كثيرة .
(٩) ق . محذوفة .

الخصوص لمعنى العموم وبلفظ العموم لمعنى الخصوص مع أشياء كثيرة ستراها فى باب المجاز إن شاء الله . وبكل هذه المذهب نزل القرآن . فلذلك لا يقدر أحد من التراجمة[١] على أن ينقله إلى شىء من الألسنة كما نقل الانجيل عن السريانية الى الحبشية والرومية وترجمت التوراة والزبور وسائر كتب الله عزوجل بالعربية لأن العجم لم تتسع فى المجاز اتساع العرب ، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله : « وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء[٢] » لم تستطع أن تأتى بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذى أودعته حتى تبسط مجموعها وتصل مقطوعها وتظهر مستورها[٣] فتقول إن كان بينك و بين قوم هدنة وعهد فخفت منهم خيانة ونقضاً فأعلمهم أنك قد نقضت ماشرطت لهم وأذنهم بالحرب لتكون أنت وهم فى العلم بالنقض على سواء[٤] وكذلك قوله : « فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا[٥] » ، إن أردت أن تنقله بلفظه لم يفهمه المنقول اليه ، وإن قلت أمتناهم سنين[٦] عددا كنت مترجماً للمعنى دون اللفظ ، وكذلك قوله عزوجل : « والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا[٧] » إن ترجمته بمثل لفظه[٨] استغلق ، وان قلت لم يتغافلوا أديت المعنى بلفظ آخر . وقد اعترض كتاب الله[٩] بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء[١٠] الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة

---

(١) ق . من ذوى التراجم .
(٢) ٨ الانفال ٥٨ .
(٣) ق . مستودعها .
(٤) ق . استواء .
(٥) ١٨ الكهف ١١ .
(٦) ق . أعمناهم .
(٧) ٢٥ الفرقان ٧٢ .
(٨) ق . كلفظه .
(٩) ق . العزيز .
(١٠) ق — ابتغاء تأويله — محذوف .

وأبصار عليلة ونظر مدخول ، فحرفوا الكلم عن مواضعه ، وعدلوه عن سبله ، ثم قضوا عليه بالتناقض والاستحالة واللحن وفساد النظم والاختلاف [١] وأدلوا فى ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف العمر ، والحدث الغر ، واعترضت بالشبهة فى القلوب وقدحت بالشكوك [٢] فى الصدور ، ولو كان مانحوا اليه على تقديرهم وتأويلهم لسبق الى الطعن به من لم يزل رسول الله ﷺ يحتج بالقرآن عليه ، ويجعله العلم لنبوته ، والدليل على صدقه ، ويتحداه فى موطن بعد موطن على أن أتى بسورة من مثله وهم الفصحاء والبلغاء والخطباء والشعراء والمخصوصون من بين جميع الأنام بالألسنة الحداد ، واللدد فى الخصام مع اللب والنهى وإصابة الرأى [٣] وقد وصفهم الله [٤] بذلك فى غير موضع من الكتاب [٥] وكانوا يقولون مرة هو سحر ، ومرة هو شعر ، ومرة هو قول الكهنة ، ومرة أساطير الاولين ، ولم يحك [٦] القرآن عنهم ، ولا بلغنا فى شىء من الروايات أنهم جذبوه من الجهة التى جذبه منها الطاعنون ، فأحببت أن أنصح عن كتاب الله وأرمى من ورائه بالحجج النيرة والبراهين البينة وأكشف للناس ما يلمسون ، فألفت هذا الكتاب جامعاً لتأويل مشكل القرآن ، مستنبطاً ذلك من التفسير بزيادة فى الشرح والايضاح

---

(١) ق . الاختلاق .

(٢) فى الاصل : السكون — وق . بالشكوك : وهو الاصح .

(٣) ق . وإصالة الرأى واصابة المفصل .

(٤) ق . عز وجل .

(٥) ق . الكتاب العزيز .

(٦) فى الاصل — ولم يحل — وهو خطأ — وصوابه ولم يحك . وكذلك فى ق : ولم يحك الله سبحانه .

وحاملا مالم أعلم فيه مقالا لامام متبع على لغات العرب.. لأرى فيه المعاند موضع المجاز وطريق الامكان من غير أن أحكم برأى أو أقضى عليه بتأويل .

فصل

وقد أشار الشافعى إلى علة أخرى فى علم الكلام . تأتى فى المنطق . فأخرج النووى فى ذم الكلام من طريق الكرابيسى [1] . قال : شهدت الشافعى ودخل عليه بشر المريسى [2] . فقال لبشر : أخبرنى عما تدعو إليه . أكتاب ناطق ، وفرض مفترض ، وسنة قائمة ، ووجدت عن السلف البحث فيه والسؤال ، فقال بشر : لا إلا أنه لا يسعنا خلافه . فقال الشافعى : أقررت بنفسك على الخطأ . فأين أنت من الكلام فى الفقه والأخبار ، فلما أخرج قال الشافعى : لا يفلح . دل هذا النص على أن من العلة فى تحريم النظر فى علم الكلام كونه لم يرد الامر به فى كتاب ولا سنة ، ولا وجد عن السلف البحث فيه . وهذا بعينه موجود فى المنطق فانه لم يرد الأمر به فى كتاب ولا سنة ولا يوجد عن السلف البحث فيه بخلاف العربية فانه ورد الامر بها فى الحديث ، ووجد عن السلف البحث فيها . وهذه العلة هى التى اعتمدها ابن الصلاح حيث أفتى بتحريم المنطق حيث قال : ولبس الاشتغال بتعلمه وتعليمه مما أباحه الشارع ، ولا استباحة أحد من الصحابة والتابعين والأئمة المجتهدين . وكأن ابن الصلاح استنبط هذه العلة من تعليل الشافعى لعلم الكلام .

---

(١) الكرابيسى : الحسين بن على بن يزيد الكرابيسى البغدادى الفقيه صاحب الشافعى مات سنة ٢٤٥ هـ أو ٢٤٨ هـ

(٢) بشر المريسى : بشر بن غياث المريسى مات سنة ٢١٨ وقيل — ٢٢٨ هـ —

فصل

وقد أشار الشافعى إلى علة ثالثة فى علم الكلام تأتى فى المنطق فأخرج الهروى أيضاً من طريق أبى ثور [١] قال سمعت الشافعى يقول : حكمى فى أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الابل ويطاف بهم فى العشائر والقبائل وينادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام. وأخرج من طريق آخر عن الشافعى قال: مذهبى فى أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط وتشريدهم من البلاد . دل نصه على أن مما يعلل به تحريم النظر فى علم الكلام كونه أسلوبا مخالفاً لأسلوب الكتاب والسنة أو كونه سبباً لترك الكتاب والسنة ونسيانهما [٢] ، وذلك جار فى المنطق أيضاً [٣]

إشارة إلى تحريم العلوم الفلسفية .قال الهروى فى ذم الكلام : أنا غالب بن على. أنا محمد بن الحسين [٤] أنا الحسن بن رشيق [٥] ثنا سعيد بن احمد بن زكريا اللخمى ثنا يونس بن عبد الاعلا [٦] قال سمعت الشافعى يقول : إذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى والشى غير المشىء فاشهد عليه بالزندقة .

---

(١) أبو ثور : إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي الفقيه صاحب الشافعى توفى سنه ٢٤٠ هـ .

(٢) فى الاصل ونسيانها — والصواب نسيانهما .

(٣) هنا أكثر من سطر فى طرف صحيفه الاصل متآكل .

(٤) محمد بن الحسين : لعله هو محمد بن الحسين أبو الفتح بن يزيد الازدى الموصلى الحافظ مات سنه ٣٧٤ هـ .

(٥) الحسن بن رشيق : الامام أبو بكر محمد العسكرى المصرى مات سنه ٣٧٠ هـ

(٦) يونس بن عبد الاعلا : بن ميسرة الصدفى أبو موسى البصرى توفى سنه ٢٦٤ هـ

ذكر نص عن أبى حنيفة [١] رضى الله عنه صريح فى ذم العلوم الفلسفية .
قال الهروى فى ذم الكلام : أخبرنى طيب بن احمد . أنا محمد بن الحسين . أنا أبو القاسم بن متوية ثنا حامد بن رستم ثنا الحسن بن المطيع ثنا ابراهيم بن رستم [٢] عن [٣] ... قال قلت لأبى حنيفة ماتقول فيما أحدث الناس من الكلام فى الأعراض والأجسام ؟ فقال : مقالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة . أخرجه أبو المظفر بن السمعانى [٤] ، فى كتاب الانتصار قال أخبرنا الثقة من أصحابنا . أخبرنا الشيخ أبو عبدالرحمن السلمى [٥] أنا أبو القاسم بن متوية به .

فصل

والذى يخرج على أصول بقية أرباب المذاهب المتبوعة تحريم المنطق فانهم نصوا على تحريم علم الكلام ، وعللوه بما هو موجود فى المنطق ، ولهذا صرح المتأخرون من أصحابهم بتحريمه تخريجاً على أصولهم . أخرج الهروى من طريق عبدالرحمن بن مهدى [٦] قال دخلت على مالك [٧] وعنده رجل يسأله فقال : لعلك من

---

(١) أبو حنيفه ـ النعمان بن ثابت الكوفى ـ الامام الاعظم توفى ١٥٠ هـ .
(٢) ابراهيم بن رستم ـ أبو بكر الفقيه المروزى مات سنه ٢١١
(٣) كلمه لم يمكن قراءتها .
(٤) أبو المظفر السمعاني : هو عبد الرحيم بن أبي سعد الحافظ عبد الكريم مات سنة ٦١٧ أو بعدها .
(٥) أبو عبد الرحمن السلمى : عبد الله بن ربيعة الكوفى المقرىء مات بعد ١٧٠ هـ .
(٦) عبد الرحمن بن مهدى : بن حسان الحنبلى أبو سعيد البصرى مات سنة ١٩٨ هـ .
(٧) مالك بن أنس ـ أبو عبد الله ـ امام دار الهجرة مات سنة ١٧٩ هـ .

أصحاب عمرو بن عبيد لعن الله عمرا فانه ابتدع هذه البدع من الكلام . ولو كان الكلام علما لتكلم فيه الصحابة والتابعون كما تكلموا فى الأحكام والشرائع . هذا النص من مالك يصرح بالعلة فى تحريم الكلام كما تقدم عن الشافعى واعتمدها ابن الصلاح فى المنطق ، وكذا سائر أئمة المسلمين ، الذين نصوا على تحريم علم الكلام علاوه بكون السلف لم يتكلموا فيه ، فيخرج على أصولهم ، تحريم المنطق لوجود هذه العلة فيه . وقد تعين بسبب ذلك أن نسوق نصوص الأئمة فى تحريم الكلام وألفاظهم فى ذلك ثم نعقبه بما نحن بصدده .

نصوص الأئمة فى تحريم الكلام

تلخيص مقاصد كتاب ذم الكلام

لشيخ الاسلام اسماعيل الهروى

اعلم أن أئمة أهل السنة ما زالوا يصنفون الكتب فى ذم علم الكلام والانكار على متعاطيه . وأجل كتاب ألف فى ذلك كتاب ذم الكلام وأهله لشيخ الاسلام أبى اسماعيل الهروى ، وهو مجلد كله مخرج بالأسانيد وأنا ألخص هنا جميع مقاصده تلخيصاً حسناً .

قال : أما بعد فان هذه الأمة لم يؤتوا فى دينها من شىء ما أوتوا فيه من قبل التكلف والجدال وهما داء الأمم السالفة ولم يأتيا بخير قط وكتاب الله أنهى شىء عنهما والرسول المصطفى « علم » أكره الخلق لهما وأن الله لم يقبض اليه رسوله حتى خار له وأغنى به وأكمل له الدين وأتم به النعمة فترك الأمة على

واضحة لیلها کنهارها ، وما من طائر یقلب جناحیه إلا وعندها فیه من نبیها علم فکان من أواخر ما أنزل علی نبیه « الیوم أکملت لکم دینکم [١] الآیة ، سمعت احمد بن المحسن بن محمد البزاز الفقیه الحنبلی الرازی [٢] یقول کل ما أحدث بعد نزول هذه الآیة فهو فضل وزیادة وبدعة ، فضل أی فضول مذموم . ثم أخرج حدیثا [٣] عن عبد الله بن عمر [٤] قال قال رسول الله صم العلم ثلاثة فما سوی ذلك فهوفضل : آیة محکمة أوسنة قائمة أوفریضة عادلة . أخرجه أبوداود [٥] قال عبد الله بن عروة [٦] : الفریضة العادلة ما اتفق علیه المسلمون ، وسمعت علی بن بشری [٧] وغیره یقولون سمعنا عبد الله بن عدی الصابونی یقول الکتاب والسنة والاجماع أوالزنار والغل [٨] والجزیة ، ثم أخرج حدیث عائشة قالت قال رسول الله صم من أحدث فی أمرنا هذا ما لیس منه فهو رد أخرجه الشیخان قال أبو مروان العثمانی [٩] یعنی البدع . وقال أبو عبید : [١٠] جمع النبی صم جمیع أمر الآخرة فی کلمة ، من أحدث فی أمرنا ما لیس منه فهو رد . وجمیع أمر الدنیا فی کلمة إنما الأعمال بالنیات یدخلان فی کل باب . ثم قال باب البیان : ان الأمم السالفة انما استقاموا علی الطریقة ما اعتصموا بالتسلیم والاتباع وأنهم لما

---

(١) السورة الخامسة ـ آیة ٣ ـ ٥ المائدة مدنیة (٢) فی الاصل الراوی ـ ولعلها الرازی

(٣) فی الأصل حدیث . (٤) عبد الله بن عمر بن الخطاب مات سنة ٦٣ ﻫ

(٥) أحد رجال السنن المشهورین (٦) عبدالله بن عروة : بن الزبیر بن العوام أبوبکر بقی الی أواخر دولة بنی أمیة ـ وکان مولده سنة ٤٥ ﻫ

(٧) علی بن بشری : الدمشقی العطاری توفی سنة ٤١ ﻫ (٨) فی الاصل العسل

(٩) أبو مروان العثمانی : محمد بن عثمان بن خالد الأموی مات سنة ١٤١ ﻫ

(١٠) أبو عبید . مولی النبی

تكلفوا وخاصموا اختلفوا [١] وهلكوا ، وأخرج من حديث أبى هريرة [٢] مرفوعاً : انما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم . وأخرج عن طريق أبى عمران الجونى [٣] عن أبى فراس ، رجل من أسلم قال قال رسول الله صم : إياى والبدع والذى نفسى بيده ، ما ابتدع رجل فى الاسلام شيئا ، ليس فى كتاب الله منزلا ، إلا لما خلف خير له مما ابتدع ، إن أملك الا عمال خواتيمها ومن شق شق عليه ، فدعونى ماودعتكم انما هلكت الأمم باختلافهم على أنبيائهم . وأخرج عن أبى أمامة عن النبى صم قال ماضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل ثم تلا رسول الله صم « ماضربوه لك الا جدلا بل هم قوم خصمون » أخرجه [٤] وأخرج من طريق عمرو بن شعيب [٥] عن أبيه عن جده قال خرج رسول الله صم على أصحابه ذات يوم وهم يتراجعون فى القدر ، فخرج مغضباً ، حتى وقف عليهم ، فقال يا قوم بهذا ضلت الأمم قبلكم باختلافهم على أنبيائهم وضربهم الكتاب بعضه بعض وإن القرآن لم ينزل لتضرب بعضه بعض ولكن نزل القرآن فصدق بعضه بعضا ماعرفتم منه . فاعملوا به ، وما تشابه فآمنوا به ، وأخرج عن أبى هريرة قال خرج علينا رسول الله صم ونحن نتنازع فى القدر فغضب حتى احمر وجهه . ثم قال أبهذا أمرتم أم بهذا أرسلت اليكم إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا فى هذا الأمر ، عزمت عليكم أن لاتنازعوا . وأخرج عن أبى الدرداء [٦] وأبى أمامة وأنس بن مالك ووائلة بن

---

(١) فى الاصل خلوا — والصوب اختلفوا .

(٢) أبو هريرة : عبد الرحمن بن صخر الدوسى الصحابي . وقيل عبدالله بن عائذ . مات سنة ٥٧ ، أو ٥٨ ، أو ٥٩ .

(٣) هو عبد الملك بن حبيب البصرى الازدى أو الكندى أبو عمران الجونى مات سنة ١٢٨ وقيل بعدها (٤) بياض فى الاصل . أما الاية فهى ٤٣ الزخرف ٨

(٥) عمرو بن شعيب : بن محمد عبد الله بن عمرو بن العاص القرشى السهمى — أبو ابراهيم ويقال له أبو عبد الله المدنى — ويقال الطائفى — توفى سنة ١١٨ هـ

(٦) أبو الدرداء — عويمر بن مالك بن قيس بن أمية صحابي — توفى سنة ٣٥ هـ

الأسقع قالوا : خرج الينا رسول الله صم ونحن نتنازع فى شىء من الدين فغضب غضباً شديداً لم يغضب مثله ، ثم انتهرنا وقال . يا أمة محمد لا تهيجوا على أنفسكم وضح النهار ثم قال : أبهذا أمرتكم أو ليس عن هذا نهيتكم . إنما هلك من كان قبلكم بهذا ثم قال ذروا المراء لقلة خيره ، ذروا المراء فإن نفعه قليل ، ويهيج العداوة بين الاخوان . ذروا المراء ، فان المراء لا تؤمن فتنته . ذروا المراء فان المراء يورث الشك ، ويحبط العمل ، ذروا المراء ، فان المؤمن لا يمارى فكفى بك إثما أن لا تزال مماريا ، ذروا المراء فإن الممارى لا أشفع له يوم القيامة ذروا المراء ، فأنا زعيم بثلاثة أبيات فى الجنة فى وسطها وريا ضها وأعلاها لمن ترك المراء وهو صادق . ذروا المراء . فانه أول مانهانى الله عنه بعد عبادة الأوثان وشرب الخمر . ذروا المراء فان الشيطان قد يئس من أن يعبد ولكن رضى بالتحريش وهو المراء فى الدين . ذروا المراء فان بنى اسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة . والنصارى على اثنين وسبعين فرقة ، وأن أمتى ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلهم على الضلال إلا السواد الاعظم قالوا — يارسول الله — ومن السواد الأعظم ، قال من كان على ما أنا عليه وأصحابى . ثم قال إن الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا فطوبى للغرباء : قالوا : يارسول الله ، ومن الغرباء ؟ قال : الذين يصلحون إذا فسد الناس ولا يمارون فى دين الله ، وأخرج عن مرة الهمذانى أن أباقرة الكندى أتى ابن مسعود بكتاب فقال : انى قرأت هذا بالشام فأعجبنى ، فاذا هو كتاب من كتب أهل الكتاب . فقال ابن مسعود : إنما هلك من كان قبلكم باتباعهم الكتب وتركهم كتاب الله ، فدعا بطست وماء فوضعه فيه وأماثه بيده حتى رأيت سواد المداد . وأخرج عن زيد بن رفيع قال : بعث الله

نوحا وشرع له الدين فكان الناس فى شريعة نوح فما أطفأها إلا الزندقة، ثم بعث الله موسى وشرع له الدين فكان الناس فى شريعة موسى فما أطفأها إلا الزندقة، ثم بعث الله عيسى وشرع له الدين فما أطفأها إلا الزندقة . قال زيد بن رفيع ولا يخاف على هذا الدين إلا الزندقة . وأخرج عن منصور بن المعتمر (١) قال ما هلك [أهل] (٢) دين قط حتى يخلف فيهم الزنادقة، وأخرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صم : إنما هلكت بنو إسرائيل حين حدث فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم فوضعوا الرأى فضلوا . وأخرج عن عروة : أن بنى إسرائيل لم يزل أمرهم معتمدا حتى نشأ فيهم المولدون أبناء سبايا الأمم فأخذوهم بالرأى فهلكوا، وقال أخبرنا الحسن بن احمد بن محمد الفراش أنا شافع بن محمد أنا احمد بن محمد بن سلامه الطحاوى ثنا المزنى ثنا الشافعى سمعت عبد الله بن المؤمل المخزومى يحدث عن عمر بن عبد العزيز أنه قال : لم يزل أمر بنى إسرائيل مستقيما حتى حدث فيهم المولودون أبناء سبايا الأمم فقالوا فيهم بالرأى فضلوا وأضلوا وأخرج عن ابراهيم النخعى فى قوله تعالى «فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء» (٣). قال أغرى بعضهم بعض فى الجدال فى الدين أخرجه سعيد بن منصور فى سننه، وأخرج عن عمر بن الخطاب قال أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله وأخرج عن ابن سيرين قال : كانوا يرون أن بنى إسرائيل إنما ضلوا بكتب قرأوها، وأخرج عن ابن عمرو قال : لتركبن سنة من كان قبلكم حلوها ومرها، ثم قال « باب » شدة ما كان رسول الله صم يخاف

---

(١) منصور بن المعتمر بن عبد الله أبو عتاب السلمى الكوفى من كبار التابعين توفى سنة ١٣٢ هـ (٢) لعل هنا سقطا ـ وصوابه ـ أهل دين
(٣) ٥ المائدة ـ ١٤

على هذه الأمة من الأئمة المضلين والمجادلين فى الدين وأخرج فيه عن أبى جعفر قال قال رسول صم : إنما يهلكون بعد البينات بالمحدثات المخالفات وتزيين الضالات المضلات وبالأهواء المغريات وتحريف المحكمات وأخرج عن ابن عمرو قال قال رسول الله صم : أشد ما أتخوف على أمتى ثلاث زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تقطع أعناقكم فاخشوها على أنفسكم . وأخرج عن معاذ بن جبل سمعت رسول الله صم يقول : انى أخاف عليكم ثلاثا وهى كائنة زلة عالم وجدال منافق بالقرآن ودنيا تعم عليكم . وأخرج عن عمر بن الخطاب قال يهدم الإسلام ثلاث زلة عالم وجدال منافق بالقرآن وأئمة مضلون . وأخرج عن عثمان بن أبى شيبة قال فساق أصحاب الحديث خير من عباد غيرهم . ثم قال « باب كراهية » تشقيق الخطب وتدقيق الكلام والتكلم بالأغاليط . وأخرج فيه عن أبى ذر[1] قال قال رسول الله صم : انكم اليوم فى زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه ويأتى من بعد زمان كثير خطباؤه قليل علماؤه . وأخرج عن مجاهد أن رسول الله صم قال : ان الله لم يبعث نبياً إلا مبلغاً وأن تشقيق الكلام من الشيطان . واخرج عن معاوية قال : لعن رسول الله صم الذين يشققون الكلام تشقيق الشعر . واخرج عن فاطمة الزهراء قالت قال رسول الله صم : شرار أمتى الذين يتشدقون فى الكلام وأخرج عن سعد بن أبى وقاص قال سمعت رسول الله صم يقول فى هذه الأمة أقوام يتخللون الكلام كما تتخلل الناقرة الخلا بألسنتها . وخرج عن أبى هريرة رفعه . قال : ألا أخبركم بشراركم هذه الأمة الثرثارون المتشدقون المتفيهقون . وأخرج عن ابراهيم النخعى قال : كانوا يكرهون غريب الكلام وغريب الحديث وأخرج

---

(١) أبو ذر الغفارى — جندب بن جنادة ابن عبيد الغفارى . صحابى توفى سنة ٣٢ هـ

عن الأوزاعى (١) قال : عليك بآثار (٢) السلف وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوها بالقول. ثم قال « باب ذم الجدال والتغليظ فيه وذكر شؤمه » وأخرج فيه حديث عائشة مرفوعاً ، أبغض الرجال الى الله الألد الخصم ، أخرجه البخارى وحديث علىّ أن النبي صم طرقة وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان ؟ قال فقلنا يارسول الله إنما أنفسنا بيد الله فاذا شاء أن يبعثنا بعثنا فولى - وهو يضرب فخذه - ويقول : وكان الانسان أكثر شيء جدلا (٣) أخرجه . وحديث أنس وكعب وابن عمر وجابر أن رسول الله صم قال : من طلب العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء أو يصرف به وجوه الناس اليه أدخله الله النار . وأخرج عن ابن مسعود قال لا تعلموا العلم لثلاثة لتماروا به العلماء أو تجادلوا به السفهاء أو تصرفوا به وجوه الناس اليكم .

ثم قال « باب » ذم اتباع متشابه القرآن والجدال به. وأخرج فيه عن عائشة قالت تلا رسول الله صم هذه الآية هو الذى أنزل عليك الكتاب فقال إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه ، فأولئك الذين سمى الله ، فاحذروهم ، وأخرج عن ابن عباس فى قوله : فأما الذين فى قلوبهم زيغ قال هم أصحاب الخصومات والمراء فى دين الله وأخرج عن أبى . قال : ما استبان لك فاعمل به وانتفع به وما شبه عليك فآمن به وكله إلى عالمه . وأخرج عن عثمان بن حاضر قال سألت ابن عباس عن شيء فقال عليك بالاستقامة واتباع الأثر وإياك والبدع . وأخرج من

---

(١) الاوزاعى : عبد الرحمن بن عمرو الاوزاعى أبو عمرو الفقيه وصاحب المذهب المشهور مات سنة ١٥٧ هـ

(٢) حذف الكلمة - من - ليستقيم الكلام (٣) ١٨ الكهف ٤٥

طريق عطاء عن ابن عباس قال : لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض فان ذلك يوقع الشك فى قلوبكم قلت هذه العلة التى علل بها ابن عباس منع النظر فى المتشابه بها علل النووى فى شرح المهذب منع النظر من علم الكلام وهو أنه يثير الشكوك وها قد سبقه الى ذلك هذا المؤلف . وأخرج عن جبير بن نعير عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تجادلوا بالقرآن ولا تكذبوا كتاب الله بعضه ببعض فوالله أن المؤمن ليجادل به فيغلب . وأخرج عن اياس بن عامر أن على بن أبى طالب قال: إنك ان بقيت فسترى القرآن على ثلاثة أصناف صنف لله وصنف للدنيا وصنف للجدال ، وأخرج عن حميد الاعرج قال سمع أنس بن مالك ابنه عبد الله يخاصم الأشتر فقال لا تخاصم بالقرآن وخاصم بالسنة . وأخرج عن عمر ابن الخطاب قال انه سيأتى قوم يجادلونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فان أصحاب السنن أعلم بكتاب الله . وأخرج عن مسروق قال: ما أحد من أصحاب الأهواء إلا فى القرآن ما يرد عليهم ولكنا لا نهتدى له . ثم قال « باب » الوقوف عند السنة وذم الرأى والبدعة والتعمق فى الدين . وأخرج عن أبى قلابة قال إذا حدثت الرجل بالسنة فقال : دع هذا وهات كتاب الله . فاعلم انه ضال . وأخرج عن قتادة فى قوله من قبل أن يقضى اليك وحيه قال يبين لك بيانه . وأخرج عن حسان بن عطية قال كان جبريل عليه السلام ينزل بالسنة ويعلمه إياها كما يعلمه القرآن ، وأخرج عن اسماعيل بن عبيد الله قال ينبغى لنا أن نتحفظ ما جاء عن رسول الله صم فانه بمنزلة القرآن . وأخرج عن مجاهد : فى قوله فان تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول : قال الى كتاب الله وسنة رسوله وأخرج عن ابن عيينة قال أدب الله رسوله حتى إذا عقل عنه فوض اليه الأمر

فقال من يطع الرسول ، فقد أطاع الله . وأخرج عن المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي يقول : أحاديث النبي صم عندنا كالتنزيل وقال أنا عبد الواحد بن احمد أنا محمد بن عبد الله الحافظ قال سمعت أحمد بن اسحق بن أيوب الفقيه الصيفي يناظر رجلا فقال : ثنا فلان قال له الرجل : دعنا من حدثنا إلى متى حدثنا . فقال له الشيخ قم يا كافر فلا يحل لك أن تدخل داري بعد ، وأخرج عن احمد بن سنان قال ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث وإذا ابتدع الرجل بدعة نزعت حلاوة الحديث من قلبه . وقال أنا عبد الواحد بن احمد أنا محمد بن عبد الله سمعت أبا نصر احمد بن سهل الفقيه البخاري ، سمعت أبا نصر بن سلام البخاري الفقيه يقول : ليس شيء أثقل على أهل الالحاد ولا أبغض اليهم من سماع الحديث وروايته باسناده ، وقال أنا غالب بن علي أنا محمد بن الحسين أنا أبو محمد بن أبي حامد ثنا عبد الملك بن محمد بن عبد العزيز ثنا يوسف بن يعقوب ثنا الحسين بن حرب عن الحسين بن بشر الآدمي قال قال لي حسين : الذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا . ما هو بعد الكتاب قلت السنة قال صدقت كان جبريل يختلف الى رسول الله صم بالسنة كما يختلف اليه بالكتاب . وأخرج عن بن مسعود انه قال يا أيها الناس ان الله بعث محمداً بالحق وأنزل عليه الفرقان وفرض عليه الفرائض وأمره أن يعلم أمته فبلغ رسالته ونصح لأمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون وبين لهم ما يجهلون فاتبعوه ولا تبتدعوا فقد كفيتم . كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

وأخرج عن جابر بن عبد الله [1] قال كان القرآن ينزل على رسول الله صم

---

(١) جابر بن عبد الله : بن عمرو بن حرام صحابي — ابن صحابي — غزا تسع عشرة غزوة ومات بالمدينه بعد السبعين وهو ابن أربع وتسعين

ويبينه لنا كما أمره الله قال الله «فاذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم ان لمينا بيانه» وقال «وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم» وأخرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صم تعمل هذه الأمة برهة بكتاب الله ثم تعمل بعد ذلك برهة بسنة رسوله الله ثم تعمل بعد ذلك بالرأى . فاذا عملوا بالرأى فقد ضلوا . وأخرج عن أنس قال قال رسول الله صم من قال بالرأى فقد اتهمنى بالنبوة . وأخرج عن جابر بن عبدالله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من تكلم فى الدين برأيه فقد اتهمه . وأخرج عن ابن عمر قال قال رسول الله صم من قال فى ديننا برأية فاقتلوه . وأخرج عن سعيد بن المسيب (١) قال قام عمر بن الخطاب فى الناس فقال : أيها الناس الا أن أصحاب الرأى أعداء السنة أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها وتفلت منهم أن يعوها فعاندوا السنن برأيهم فضلوا وأضلوا كثيراً ، والذى نفس عمر بيده ما قبض الله نبيه . ولا رفع الوحى عنهم ، حتى أغناهم عن الرأى ولو كان الدين يؤخذ بالرأى ، لكان أسفل الخف أحق بالمسح من ظاهره فاياكم وإياهم ثم إياكم وإياهم . وأخرج عن عمر بن الخطاب قال لأن أسمع من ناحية المسجد بنار تشتعل أحب إلىَّ من ان أسمع فيه ببدعة ليس لها معين ، وأخرج عن سهل بن حنيف (٢) قال يا أيها الناس اتهموا رأيكم فلقد رأيتنا مع رسول الله « صم » يوم أبى جندل ولو نستطيع أن نرد على رسول الله « صم » أمره لرددناه . الحديث أخرجه البخارى . وأخرج عن عمر بن الخطاب قال يا أيها الناس اتهموا الرأى على

---

(١) سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عابد بن عمران بن مخزوم القرشى ـ مات بعد التسعين من الهجرة ـ وقد ناهز الثمانين

(٢) سهل بن حنيف بن واهب الانصاري الاوسى ـ صحابي من أهل بدر ـ استخلفه على على البصرة ـ ومات فى خلافته

الدين فلقد رأيتنى أرد أمر رسول الله « صم » برأيى اجتهاداً والله ما ألوا عن الحق وذلك يوم أبى جندل وأخرج عن ابن عباس قال : إياكم والرأى فان الله رد على الملائكة الرأى قال أنى أعلم ما لا تعلمون وقال لنبيه صم « لتحكم بين الناس بما أراك الله» ولم يقل بما رأيت . وأخرج عن بن عباس [١] قال من أخذ رأياً ليس فى كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله لم يدر على ما هو منته [٢] إذا لقى الله وأخرج عن ابن عمر قال قال رسول الله صم « كل بدعة ضلالة وان رآها الناس حسنة» وأخرج عن بلال بن سعد [٣] قال ثلاث لا يقبل معهن عمل الشرك والكفر والرأى . وأخرج عن سفيان الثورى قال : إنما الدين الآثار وأخرج عنه قال ينبغى للرجل أن لا يحك رأسه إلا بأثر . وأخرج عن العلاء بن المسيب عن أبيه قال ان نتبع ولا نبتدع ونقتدى ولا نقتدى ولن نضل ما تمسكنا بالآثار . وأخرج عن ابن سيرين [٤] قال كانوا يقولون ما دام على لأثر فهو على الطريق وأخرج عن جابر قال قال رسول الله صم « أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى محمد وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار » وأخرج عن أبى امامة [٥] قال قال رسول الله صم طوبى لمن وسعته السنة ولم يعدها إلى بدعة . وأخرج عن الحسن [٦] قال قال رسول

---

(١) ابن عباس : عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ـ مات سنة ثمان وستين

(٢) فى الاصل ـ منه (٣) بلال بن سعد بن تهيم الاشعرى أو الكندى أبوعمر أو أبو زرعه الدمشقى مات فى خلافة هشام

(٤) ابن سيرين ـ محمد الانصارى أبو بكر بن أبي عمرة البصرى ـ مات سنة عشر ومائة

(٥) أبو امامه : البلوى حليف بنى حارثة وقيل عبد الله بن ثعلبة ـ وقيل ثعلبة بن عبد الله بن سهل : صحابي وله أحاديث

(٦) الحسن بن على بن أبي طالب ـ مات سنة خمسين وقيل بعدها

الله صم « عمل قليل فى سنة خير من كثير فى بدعة » وأخرج عن ابن سيرين قال أول من قاس ابليس وما عبدت الشمس والقمر إلا بالمقاييس . وأخرج عن الحسن انه تلا «خلقتنى من نار وخلقته من طين » قال قاس ابليس وهو أول من قاس . وأخرج عن أحمد بن حنبل [١] قال سألت الشافعى عن القياس فقال عند الضرورات . وأخرج عن الربيع [٢] قال سمعت الشافعى يقول لولا المحابر لخطبت الزنادقة على المنابر . وأخرج عن أنس ان رسول الله صم قال من رغب عن سنتى فليس منى . وأخرج عن ابن عباس قال قال رسول الله صم : أبى الله أن يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته . وأخرج عن أبى هريرة عن النبي صم قال من تشبه بقوم فهو منهم. وأخرج عن سعيد بن جبير [٣] فى قوله « وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » قال لزم السنة ، وأخرج عن سليمان [٤] بن حرب قال من زاغ عن السنة شعرة فلا تعتدن به ، وأخرج عن سفيان قال وجدت الأمر الاتباع وأخرج عن الزهرى قال كان رجال من أهل العلم يقولون الاعتصام بالسنة نجاة . وأخرج عن زيد بن أرقم [٥] قال من تمسك بالسنة ثبت نجا ومن أفرط مرق ومن خالف هلك ، وأخرج عن ابن عباس قال من خالف السنة كفر ثم قال « باب » كراهية التنطع فى الدين والتكلف فيه والبحث عن الحقائق

---

(١) احمد بن حنبل ـ الشيباني الامام المشهور ـ توفى سنة ٢٤١ هـ

(٢) الربيع : بن سليمان بن داود الجيزى المرادى أبو محمد البصرى مات سنة ست وخمسين ومائتين

(٣) سعيد بن جبير : الاسدى الكوفى ـ قتل سنة ٩٥ هـ

(٤) سليمان بن حرب : الازدى الواشجى البصرى القاضى بمكة ـ مات سنة ٢٢٤ هـ

(٥) زيد بن أرقم : بن قيس الانصارى ـ الخزرجى ـ مات سنة ست أو ثمان وستين

وإيجاب التسليم ، وأخرج فيه عن قتادة [١] فى قوله تعالى « وأمرنا لنسلم لرب العالمين» قال: خصومة علمها الله محمداً صم وأصحابه يخاصمون بها أهل الضلال وأخرج عن أنس قال قال رسول الله صم إن الله قال « إن أمتك لايزالون يتساءلون ما كذا ما كذا حتى يقولوا الله خلق كل شيء فمن خلق الله » وأخرج عن أبى هريرة قال قال رسول الله صم لايزال الناس يتساءلون حتى يقول أحدهم هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله ،فان سئلتم فقولوا الله قبل كل شيء وهو كائن بعد كل شيء وهو خالق كل شيء . وأخرج عن مطرف قال عقول الناس على قدر زمانهم وأخرج عن أنس أن رجلا سأل عمر بن الخطاب عن قوله وأبا . ما الأب؟ فقال نهينا عن التعمق والتكلف . وأخرج عن ابن مسعود قال مارأيت أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله صم ولا من أبى بكر وعمر . وأخرج عن رجل من الصحابه قال : نهى رسول الله صم عن الأغلوطات قال الأوزاعى يعنى شرار المسائل. وأخرج عن ابن مسعود قال: إياكم وصعاب القول ، وأخرج عن الحسن قال: شرار عباد الله الذين يتبعون شرار المسائل يعمون بها عباد الله . وأخرج عن أنس قال قال رسول الله صم الاسلام ذلول لايركبه إلا ذلول ، وأخرج عن معاذ بن جبل قال : إياك والبدع والتبدع والتنطع وعليك بالأمر العتيق ، وأخرج عن ابن مسعود : انكم ستحدثون ويحدث لكم فاذا رأيتم محدثا فعليكم بالأمر الأول وأخرج عن كثير بن عبد الله [٢] عن أبيه عن جده عن النبى صم قال : انكم مااختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله وإلى محمد . ثم قال-باب- مخافة المصطفى صم

---

(١) قتادة - ابن النعمان بن زيد بن عامر الانصارى الظفرى مات سنة ثلاث وعشرين

(٢) كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى المدني

والسلف الصالح على من اشتغل بأقاويل أهل الكتاب ، وعلى من أكب على كتاب سوى كتاب الله تعالى علماً منه بما هو كائن منهم من الكتب المضلة بعده ، وأخرج فيه حديث عمر الآتى من كتاب الحجة لنصر المقدسى فى مجيئه بصحيفة من التوراة والآثار التى بعده ، وأخرج عن عمران بن حصين[١] أنه قال قال رسول الله صم : إن الحياء لا يأتى إلا بخير . فقال بشير بن كعب[٢] إنا نجد فى بعض الكتب أن منه سكينة ووقارا ومنه ضعفاً فغضب عمران حتى احمرت عيناه وقال أحدثك عن رسول الله وتحدثنى عن كتبك الخبيثة وأخرج عن حفصة أنها جاءت إلى النبى صم بكتاب من قصص يوسف فى كتف فجعلت تقرأ عليه والنبى صم يتلون وجهه فقال: والذى نفسى بيده لو أتاكم يوسف وأنا معكم فاتبعتموه وتركتمونى ضللتم . وأخرج عن ابن عمر أن رسول الله صم قال : من اقتراب الساعة أن ترفع الأشرار وتوضع الأخيار ويوضع فى القوم المثناة ليس أحد يغيرها قلت ما المثناة قال: كتاب كتب سوى كتاب الله عز وجل . وأخرج حديث العرباض[٣] بن سارية قال : وعظنا رسول الله صم الحديث وفيه ـ فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ـ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة .

ثم قال « باب » ذكر إعلام المصطفى صم أمته كون المتكلمين فيهم وأخرج فيه عن أبى الدرداء وأبى ذر قالا لقد تركنا رسول الله صم ومايقلب طير فى

---

(١) عمران بن حصين : بن عبيد الله بن خلف الخزاعى مات سنة ٥٢ هـ بالبصره

(٢) بشير بن كعب بن أبي الحيرى ـ العدوى أبو أيوب البصرى ـ ثقة مخضرم من الثانيه

(٣) فى الاصل ـ العرراض ـ والصواب العرباض بن سارية السلمى أبو نجيح ـ صحابي ـ من أهل الصفة نزل حمص ـ ومات بعد السبعين .

السماء جناحيه إلا ذكر لنا [١] منه علماً . وأخرج عن أبي هريرة قال قال رسول الله صم لا تقوم الساعة حتى يكفر بالله جهاراً وذلك عند كلامهم في ربهم وأخرج عن أبن هريرة قال قال رسول الله صم لا تقوم الساعة حتى تكون خصوماتهم في ربهم وأخرج عن محمد بن الحنيفة قال لا تهلك هذه الأمة حتى تتكلم في ربها وأخرج عن المقدام بن معد يكرب [٢] قال قال رسول الله صم إذا حدثتم الناس عن ربهم فلا تحدثوهم بالذي يفزعهم ويشق عليهم ، وأخرج عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صم ان من البيان سحرا وأن من الشعر حكما وأن من القول عيالا [٣] وأن من طلب العلم جهلا ، قال أبو منصور الأزهري في قوله وأن من طلب العلم جهلا معناه علم النجوم وعلم الكلام ، وأخرج عن الحكم بن عمير الثمالي قال سمعت النبي صم يقول : ان هذا القرآن صعب مستصعب لمن كرهه ميسر لمن تبعه وأن حديثي صعب مستصعب لمن كرهه ميسر لمن تبعه من سمع حديثي فحفظه ، وعمل به جاء يوم القيامة مغ القرآن ومن تهاون بحديثي فقد تهاون بالقرآن ومن تهاون بالقرآن خسر الدنيا والآخرة ، آمر أمتي أن خذوا بقولي وأطيعوا أمري واتبعوا سنتي لأن الله يقول وما آتاكم الرسول فخذوه . وأخرج عن ابن عمر قال قال رسول الله صم إياكم والركون إلى أصحاب الأهواء فانهم بطروا النعمة وأظهروا البدعة وخالفوا السنة ونطقوا بالشبهة وتابعوا [٤] الشيطان ، وأخرج عن محمد بن الحنيفة قال ان قوماً ممن كانوا قبلكم أوتوا علماً كانوا يكتفون به

---

(١) في الاصل — ذكرنا ولها ذكر لنا

(٢) المقدام بن معد بن يكرب عمرو الكندي — مات سنة سبع وثمانين

(٣) في الاصل عيالا — ولعل لا زائده (٤) في الاصل — واتبعوا —

فسألوا عما فوق السماء وما تحت الأرض فتاهوا فكان أحدهم إذا دعى من بين يديه أجاب من خلفه وإذا دعى من خلفه أجاب من بين يديه ، ثم قال (باب) فى ذكر أشياء من هذا الباب ظهرت على عهد رسول الله صم وأخرج فيه عن ابن عمر قال رأيت عبد الله بن أبى [1] يشتد قدام النبي صم . والحجارة تنكبه وهو يقول يا محمد انما كنا نخوض ونلعب والنبى صم يقول له « أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون » واخرج عن انس قال ارسل رسول الله صم مرة رجلا من اصحابه الى رأس من رؤس المشركين يدعوه الى الله فقال له المشرك هذا هذا الاله الذى تدعو اليه ماهو من ذهب هو أو فضة فأنزل الله صاعقة من السماء فأهلكته ، وأخرج عن مجاهد [2] قال جاء يهودى الى النبي صم فقال يا محمد من أى شىء ربك أمن لؤلؤ هو فأرسل الله عليه صاعقة فقتلته ونزلت « وهم يجادلون فى الله وهو شديد المحال » وأخرج عن أبى هريرة أنه قال : جاءوا الى النبى صم فسألوه عن شىء من أمر الرب فلعنهم وأخرج عن ابن عمر قال لنا عن رسول الله صم : فجاء رجل أقبح الناس ثيابا وأنتن الناس ريحاً فتخطى رقاب الناس حتى جلس بين يدى رسول الله صم فقال . من خلقك قال الله فمن خلق السماء قال الله فمن خلق الأرض قال الله فمن خلق الله فقال رسول الله صم سبحان الله سبحان الله وأمسك بجبهته . وقام الرجل فذهب فقال رسول صم على بالرجل فطلبناه فكأن لم يكن فقال رسول الله صم هذا إبليس جاء يريد أن يشككم فى دينكم .

---

(١) ابن سلول رأس المنافقين فى المدينه — مات قبل وفاة النبى

(٢) مجاهد: بن جبر أبو الحجاج المخزومى — مات سنة إحدى أو اثنين أو ثلاث أو أربع ومائة

قال المؤلف : ثم نحن الآن ذاكرون إنكار خيار هذه الأمة على طبقاتها طبقة طبقة من أهل العلم ، وإطباقهم على النكير ، وإجماعهم على المقت ، والرد على أهل الجدال والخصومات فى الدين والمتعلقين بالكلام المعرضين عن التسليم بالاشتغال بالتكلف بعد الأخبار المرفوعة إلى المصطفى «صم» التى قدمناها وأقاويل السلف الصالح التى أتبعناها . إذ الله تعالى لم يخل زماناً من قائم لله بنصر دينه ودفاع من يكيده عنه كما قال «صم» لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله ، قال على بن المدينى فى هذه الطائفة هم أصحاب الحديث وقال «صم» إن لله عند كل بدعة كيد الاسلام وأهله بها ولياً يذب عنه بعلاماته . وقال صم يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وقال «صم» رحمة الله على خلفائى قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها للناس ثم قال « باب » إنكار أئمة الاسلام ما أحدثه المتكلمون فى الدين من أصحاب الكلام والشبه والمجادلة على الطبقات . الطبقة الأولى من صحابة رسول الله صم ورضى عنهم وهم الذين قال الله « فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا » وأخرج فيه عن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى أبى موسى : ما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة . وأخرج عن عمر بن الخطاب قال إن حديثكم شر الحديث وان كلامكم شرار الكلام انكم قد حدثتم الناس حتى قيل قال فلان فترك كتاب الله فمن كان قائما فليقم فى كتاب الله وإلا فليجلس . ثم أخرج قصة صبيغ مع عمر . وأخرج عن على بن أبى طالب . قال يخرج فى آخر الزمان أقوام يتكلمون بكلام لا يعرفه أهل الاسلام ويدعون الناس الى كلامهم فمن لقيهم فليقاتلهم فإن قتلهم أجر عند الله وأخرج عن ابن عباس فى

فى قوله «وإذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا» . قال: هم أصحاب الخصومات والمراء فى دين الله . وأخرج عن ابن عباس قال إذا كانت سنة خمس وثلاثين ومائة خرج شياطين من البحر كان سليمان حبسها فى أشعار الناس وأبشارهم يحدثون الناس ليفتنوهم فاحذروهم ، وأخرج عن طاووس (١) قال إن مردة الشياطين مغللون فى جزائر البحور فإذا كان ثلاث وثلاثين ومائة سنة اطلقوا فى صور الإنس وأشعارهم وأبشارهم فجادلوا الناس بالقول . وأخرج من وجه آخر عن طاووس قال إذا مضت سنة ثلاث وثلاثين ومائة ظهرت شياطين جزائر البحور فتهيأوا بهيئة العلماء فلا تأخذوا العلم إلا ممن تعرفون ، وأخرج عن عكرمة (٢) أن نجدة (٣) قال لابن عباس كيف معرفتك بربك لأن من قبلنا اختلفوا علينا فقال إن من ينصب دينه للقياس لايزال الدهر فى التباس مائلا عن المنهاج طاعنا(٤) فى الاعوجاج اعرفه بما عرف به نفسه ، من غير روية وأصفه (٥) بما وصف نفسه . وأخرج عن وهبه بن منبه (٦) قال كنت أنا وعكرمة نقود ابن عباس بعد ما ذهب بصره حتى دخلنا المسجد الحرم فاذا قوم يمترون فى حلقة لهم فقال لنا : أمابى حلقة المراء . فانطلقنا به إليهم فوقف عليهم فقال : ماعلمتم أن لله عباداً أصمتهم خشيته من غير عى ولا بكم وأنهم لهم العلماء الفصحاء النبلاء الطلقاء غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله طاشت لذلك

---

(١) طاووس بن كيسان اليماني أبو عبد الرحمن الحميرى يقال اسمه ذكوان وطاووس لقب مات سنه ١٠٦ — وقيل بعد ذلك

(٢) عكرمه بن عبد الله مولى ابن عباس مات سنة ١٠٧ هـ وقيل بعد ذلك

(٣) نجدة : بن عامر الحرورى الحنفى رئيس الفرقه المسماة بالنجديه — قتل سنة ٦٨

(٤) فى الاصل — ظاعنا (٥) فى الاصل — اصفه

(٦) وهبه بن منبه مات سنة ١١٠ هـ = ٧٢٨ م

عقولهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم ، حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية فأين أنتم منهم . وأخرج عن معاوية أنه قام ، فقال : أما بعد فانه بلغنى أن رجالا منكم يتحدثون بأحاديث ليست فى كتاب الله ولا تعرف عن رسول الله « صم » أولئك جهالكم . وأخرج عن ابن مسعود قال : تعلموا العلم قبل أن يقبض وقبضه أن يذهب أهله وأنكم تجدون أقواما يقولون إنهم يدعونكم إلى كتاب الله وقد نبذوه وراء ظهورهم فعليكم بالعلم وإياكم والتبدع وإياكم والتنطع وإياكم والتعمق وعليكم بالعتيق . وأخرج عن ابن مسعود قال: لا تمكن صاحب هوى من أذنيه فيقذف فيهما داء لا شفاء له . وقال مصعب بن سعد : أما أن يمرض قلبك فتتابعه وإما أن يؤذيك قبل أن تفارقه . وأخرج عن عائشة قالت كان رسول الله « صم » إذا لم يعلم الشيء لم يقل فيه برأيه ولم يتكلفه ، وأخرج عن ابن مسعود أن رجلا سأله عن شيء فقال ما سألتمونا عن شيء من كتاب الله نعلمه أخبرناكم به أو سنة من نبي الله « صم » أخبرناكم ولا طاقة لنا بما أحدثتموه ، وأخرج عن النزال بن سبره أنه قال : يا أيها الناس إن الله قد أنزل أمره ونهيه وتبيانه فمن أتى الأمر من قبل وجهه فقد بين له ومن خالف فوالله ما نطيق خلافكم ، وأخرج عن أبى كعب (٥) قال ما استبان لك فاعمل به وانتفع به وما شبه عليك فآمن به وكله إلى عالمه ، وأخرج عن مجاهد قال قيل لابن عمران : نجدة يقول كذا وكذا فأدخل أصبعيه فى أذنيه مخافة أن يدخل قلبه منه شيء . وأخرج عن ابن عمر : قال ان القدرية حملوا ضعف رأيهم على مقدرة الله

---

(٥) أبى ابن كعب بن عبيد صحابى توفى سنة ٢١ هـ

وقالوا لم ولا ينبغي أن يقال لله لم لأنه لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وأخرج عن معاذ بن جبل قال: يفتح القرآن على الناس حتى تقرأه المرأة والصبي والرجل فيقول الرجل قد قرأت القرآن فلم اتبع والله لأقومن به فيهم لعلي أتبع فيقوم به فيهم فلا يتبع ، فيقول قد قرأت القرآن فلم أتبع وقمت به فيهم فلم أتبع لأحتظرن في بيتي مسجدا لعلي أتبع فيحتظر في بيته مسجدا فلا يتبع فيقول والله لآتينهم بحديث لا يجدونه في كتاب الله ولم يسمعوه عن رسول الله لعلي أتبع قال معاذ فاياكم وما جاء به ضلالة .

وأخرج عن معاذ قال : إعلم أن على الحق نوراوايا كم ومغمضات الأمور

وأخرج عن إبن مسعود قال : من كان منكم مؤتسياً فليأتس بأصحاب محمد « صم » فإنهم كانوا أبر قلوبا ، وأعمق علماً ، وأقل تكلفاً ، وأقوم هـــديا ، وأحسن أخلاقا ، اختارهم الله لصحبة نبيه ، وإقامة دينه ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم فانهم كانوا على هدى مستقيم . ثم قال الطبقة الثانية : وهم المتقدمون من فقهاء التابعين ، وأخرج فيه عن الحسن قال : لا تجالس أصحاب الأهواء وان ظننت أن عندك الجواب . وأخرج عن هشام قال : كان الحسن ومحمد يقولان : لا تجالسوا أصحاب الأهواء ولا تسمعوا منهم ولا تجادلوهم . وأخرج عن ابن سيرين قال : لو أردت المراء لأحسنته . وأخرج عن ابن سيرين أيضاً قال : ما أخذ رجل ببدعة فيراجع سنة . وأخرج عن ابن عون(١) في هذه الآية (فأعرض عنهم) قال كان رأى محمد بن سيرين انهم أصحاب الأهواء . وأخرج من طريق عبد الرازق (٢) أخبرنا معمر (٣) قال كان ابن طاووس جالساً فجاء

---

(١) ابن عون : لعله عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود توفي سنة ١١٥ هـ = ٧٣٣ م

(٢) عبد الرازق الصنعاني ٢١١ هـ = ٨٢٧ م

(٣) معمر بن راشد : ١٥٣ هـ = ٧٧٠ م

رجل من المعتزلة فجعل يتكلم ، فأدخل ابن طاووس أصبعيه فى أذنيه وقال لابنه أى بنى أدخل أصبعيك فى أذنك واسدد لاتسمع من كلامه شيئا ، قال معمر يعنى إن القلب ضعيف ـ قال عبد الرزاق وقال لى ابراهيم بن يحيى انى أرى المعتزلة عندكم كثيراً ، قال : قلت نعم ويزعمون أنك منهم قال أفلاتدخل معى هذا الحانوت حتى أكلمك ، قلت لا ، ثم قلت لأن القلب ضعيف ، وإن الدين ليس لمن غلب . وأخرج محمد بن الحنفية (١) قال : إن من قبلكم نقروا وبحثوا فتاهوا ، فجعل الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه وينادى من خلفه فيجيب من بين يديه . وأخرج عن ابن الحنفية » قال : لاتجالسوا أصحاب الخصومات فانهم يخوضون فى آيات الله . وأخرج عن عطاء بن أبى رباح (٢) فى قوله : إن الذين فارقوا دينهم ، قال هم أصحاب الخصومات والمراء فى دين الله . وأخرج عن مطرف (٣) قال : أكثر أتباع الدجال اليهود وأهل البدع . وأخرج عن مجاهد فى فى قوله تعالى : ولا تتبعوا السبل ، قال البدع والشبهات . وأخرج عن عطاء الخراسانى (٤) ، قال : ما يكاد الله يأذن لصاحب بدعة بتوبة . وأخرج عن عطاء ، قال : بلغنى أن فيما أنزل الله على موسى : لاتجالسوا أهل الأهواء فيحدثوا فى قلبك مالم يكن . وأخرج عن الحسن : أهل البدع بمنزلة اليهود والنصارى . وأخرج عن القاسم بن محمد (٥) إنه مر بقوم يذكرون القدر ، فقال تكلموا فيما سمعتم الله ذكر فى كتابه وكفوا

---

(١) محمد بن الحنفية : محمد بن على بن أبى طالب الهاشمى أبو القاسم بن الحنفية المدنى مات بعد الثمانين .

(٢) عطاء بن أبي رباح بن أسلم بن صفوان تابعى توفى سنة ١١٥ هـ = ٧٣٣ م

(٣) مطرف بن عبد الله بن السخير توفى سنة ٩٥ هـ

(٤) عطاء الخراسانى المعروف بالمقنع توفى سنة ١٦٣ هـ = ٧٨٠ م

(٥) القاسم بن محمد بن أبى بكر الصديق : توفى سنه ١٠٧ هـ = ٧٢٥ م

عما كف الله عنه . وأخرج ابن أبي العالية (١) إنه كان يقول تعلموا الاسلام فاذا تعلمتموه فتعلموا القرآن فإذا تعلمتموه فتعلموا السنة ، فإن سنة نبيكم صراط مستقيم وإياكم وهذه الاهواء المؤذية التي تلقي بين الناس العداوة وعليكم بالأمر الأول . وأخرج عن مصعب بن سعد قال : لاتجالس صاحب بدعة إما أن يمرض قلبك فتتابعه واما أن يؤذيك قبل أن تفارقه . وأخرج عن سعد بن جبير (٢) قال الجدال المراء وقال فى قوله (ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم) (٣) قال أهل الحرب ادعوهم فان أبوا فجادلوهم بالسيف ثم قال — الطبقة الثالثة — وأخرج فيه عن أبي الصلت (٤) شهاب بن خراش قال كتب عمر بن عبد العزيز الى رجل : سلام عليك أما بعد فانى أوصيك بتقوى الله والاقتصاد (٥) فى أمره واتباع سنة رسوله (ص) وترك ما أحدث المحدثون بعد ، فقد جرت سنته وكفوا مؤونته ثم أعلم أنها لم تكن بدعة قط إلا وقد مضى قبلها ماهو دليل عليها ، وعبرة فيها فعليك بلزوم السنة فانها لك باذن الله عصمة فان السنة سنها من قد علم ، وفى خلافها من الخطأ والزلل والتعمق والحمق فارض لنفسك مارضى به القوم لأنفسهم فانهم عن علم وقفوا وببصر نافذ كفوا ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى وبفضل فيه لو كان أحرى فانهم هم السابقون ولئن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه ولئن قلت حدث بعدهم حدث ما أحدثه إلا من أتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم . ولقد تكلموا فما دونهم مقصر وما فوقهم محسر

---

(١) أبو العاليه . هو الرياحى أبو العاليه رفيع بن مهران مات سنة ٢٩٠ وقتل ٢٩٣

(٢) سعيد بن جبير — لعله الاسدي قتله الحجاج سنه ٩٥ هـ

(٣) العنكبوت — سورة ٢٩ آية ٤٦

(٤) أبو الصلت شهاب به خراش بن حوشب الشيباني الواسطى توفى بعد المائتين ،

(٥) فى الاصل الاقتصار — ولعلها الاقتصاد .

لقد قصر دونهم أقوام فجفوا وطمح عنهم آخرون فغلوا وأنهم مع ذلك على صراط مستقيم . فلئن قلت فأين آية كذا ولم قال الله كذا وكذا لقد قرأوا منه ما قرأتم وعلموا من تأويله ما جهلتم ، ثم قالوا بعد ذلك كتاب بقدر . وأخرج عن جعفر بن برقان(١) ان عمر بن عبد العزيز قال لرجل وسأله عن شيء من الأهواء عليك بدين الصبي الذى فى الكتاب والاعراب واله عما سواهما . وأخرج عن عمر بن عبد العزيز أنه كتب إلى ابنه عبد الملك ليكن علمك علم الله الذى أنزله على نبيه ودل فيه على محابه ومكارهه وعرف الناس فيه أمره ودعاهم الى كتابه وهداهم الى كرامته ووقاهم به بأسه وأوجب لهم به رضوانه وأنزلهم به أفضل منازل خلقه هو العلم الذى لم يجهل من علمه ولم يعلم من جهله فآثره على ما سواه وانته عن زواجره فإن ذلك يحق على من علمه وأتبع طاعة الله فيما أوصى به ، هو نور الله الذى أنزل وهدى به أولياءه ، ومن لم يكن له حظ فيه ، لم ينتفع بشيء منه وكان فى ظلمة (ما بق فى دنياه . وأخرج عن عمر بن عبد العزيز قال إذا سمعت المراء فاقصر ، وأخرج عن مسلم بن يسار (٢) قال إياك والمراء فانها ساعة جهل العالم وبها يبتغى الشيطان زلته . وأخرج عن أبى قلابة (٣) قال لا تجالس أصحاب الاهواء فانى لا آمن عليك أن يغمسوك فى ضلالتهم ويلبسوا عليك ما كنت تعرف ، وأخرج عن ابراهيم النخعى فى قوله أفتمارونه قال أفتجادلون وفى قوله فأغرينا بينهما العداوة والبغضاء قال أغرى بينهم الجدال والخصومات فى الدين . وفى قوله

---

(١) جعفر بن برقان الكلابي أبو عبد الله الرقى مات سنة ٢٥٠ هـ .

(٢) مسلم بن يسار . أبو عبد الله — توفى سنة ١٠٨ هـ ٧٢٦ م

(٣) أبو قلابه الجرمى عبد الله بن زيد بن عمرو ١٠٤ هـ = ٧٢٢ م

فليغيرن خلق الله قال دين الله . وأخرج عن يحيى بن أبى كثير (١) قال . قال سليمان بن داود (٢) (علم) لابنه اياك والمراء فانه ليس فيه منفعة وهو مورث العداوة بين الاخوان ، وأخرج عن يحيى بن أبى كثير قال إذا رأيت المبتدع فى طريق فخذ فى غيره ، وأخرج عن يحيى بن أبى كثير قال : ولدالزنا لايكتب الحديث ، وأخرج عن يحيى بن سعيد أنه تلا يوما « وإن من شىء إلا عندنا خزائنه » فقال له جميل بن نباته العراقى يا أبا سعيد أرأيت السحر من خزائن الله فقال يحيى : مه ليس هذا من مسائل المسلمين ، فقال عبد الله بن أبى حبيبة ان أبا سعيد ليس من أصحاب الخصومة إنما هو امام من أئمة المسلمين أن السحر لايضر الا باذن الله فتقول أنت بغير ذلك . فسكت ، وأخرج عن هشام ابن عبد الملك (٣) أنه قال لبنيه اياكم وأصحاب الكلام فان أمرهم لايؤول إلى الرشاد ، وأخرج عن عمر بن قيس (٤) قال قلت للحكم ما اضطر المرجئة الى رأيهم ، قال الخصومات ثم قال « الطبقة الرابعة » وأخرج فيه عن إسحق بن عيسى (٥) قال سمعت مالك بن أنس يعيب الجدال ويقول كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أردنا أن نرد ماجئنا به نبينا «صم» عن جبريل عن الله . وأخرج عن أشهب (٦) قال سمعت مالكا يقول: كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا مانحن عليه إذا لانزال فى طلب الدين ، وأخرج عن مالك : قال إياكم والبدع قيل

---

(١) يحيى بن أبي كثير ، بن درهم العنبرى البصرى أبو غسان توفى سنة ١٠٦ هـ

(٢) سليمان بن داود أبو الربيع العتكى الزهرانى توفى سنة ٢٣٤ هـ = ٨٤٨ م

(٣) هشام بن عبد الملك الباهلى — أبو الوليد الطيالسى البصرى مات ١٢٧ .

(٤) عمرو بن قيس بن ثور بن مازن الكندى مات س ١٤٠ هـ

(٥) اسحق بن عيسى بن نجيح البغدادي أبو يعقوب بن الطباع مات بعد ٢١٤ هـ

(٦) أشهب بن عبد العزيز أبو عمرو المصرى — ويقال اسمه مسكين مات سنة ٢٠٤ هـ

يا أبا عبد الله وما البدع . قال أهل البدع الذين يتكلمون فى أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته . ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابه والتابعون لهم باحسان ، وأخرج عن مالك قال من طلب الدين بالكلام تزندق ، وأخرج عن عبد الرحمن بن مهدى(١) قال دخلت على مالك وعنده رجل يسأله عن القرآن فقال لعلك من أصحاب عمر بن عبيد لعن الله عمرا فانه ابتدع هذه البدع من الكلام . ولو كان الكلام علما لتكلم فيه والصحابة والتابعون كما تكلموا فى الأحكام والشرائع ولكنه باطل يدل على باطل . وأخرج عن مالك قال ماقلت الآثار فى قوم إلا ظهرت فيهم الاهواء ولا قلت العلماء إلا ظهر فى الناس الجفاء ، وأخرج عن مالك قال السنة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، وأخرج عن مالك قال لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب إلا جعلته نكالا . وأخرج عن جعفر بن محمد(٢) قال إذا بلغ الكلام الى الله فامسكوا ، وأخرج عنه قال تكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش فان قوما تكلموا فى الله فتاهوا ، وأخرج عنه قال لا تتجاوز ما فى القرآن . وأخرج عن سفيان الثورى أن رجلا قال له أوصنى فقال اياك والاهواء اياك والخصومة ، وأخرج عن عبد الله بن داوود الخريبى(٣) قال سألت سفيان الثورى عن الكلام فقال دع الباطل أين أنت عن الحق اتبع السنة ودع الباطل . وأخرج عن أبى إسحق الفزارى قال قال الأوزاعى إصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل فيما قالوا وكف عما كفوا .

---

(١) عبد الرحمن بن مهدى بن حسان الحنبلى أبو سعيد البصرى — مات س ١١٨ هـ

(٢) جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب أبو عبد الله المعروف بالصادق مات س ٢٤٨ هـ

(٣) عبد الله بن داوود الخريبى أبو عبد الرحمن مات س ٢٣٣ هـ

واسلك سبيل سلفك الصالح فانه يسعك مايسعهم ولو كان خيرا ماخصصتم به دون أسلافكم وأنه لم يدخر عنهم خير خبىء لكم دونهم لفضل عندكم وهم أصحاب محمد اختارهم الله وبعثه فيهم ، وأخرج عن حسان بن عطية(١) قال : ما ابتدع قوم فى دينهم بدعة إلا نزع الله مثلها من السنة . ثم لايردها عليهم إلى يوم القيامة ، وأخرج عن الأوزاعى قال بلغنى أن الله إذا أراد بقوم شرا فتح عليهم الجدل ومنعهم العمل ، وأخرج عن عائشة ومعاذ بن جبل وأبى سعيد الخدرى(٢) قالوا قال رسول الله «صم» من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام ، وأخرج عن الفضيل بن عياض(٣) قال من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله ، وأخرج نور الإسلام من قلبه . وأخرج عن محمد بن النضر الحارثى . قال كان يقال من أصغى إلى ذى بدعة خرج من عصمة الله . وأخرج عن أبى عمر قال قال رسول الله « صم » من أعرض بوجهه عن صاحب بدعة بغضا له ملأ الله قلبه أمنا وايمانا . ومن انتهر صاحب بدعة أمنه الله يوم الفزع الأكبر . ومن أعان على صاحب بدعة رفعه الله فى الجنة مائة درجة . ومن سلم على صاحب بدعة أو لقيه بالبشر أو استقبله بما يسره فقد استخف بما أنزل الله على محمد « صم » . وأخرج عن شعبة قال : كان سفيان الثورى يبغض أهل الأهواء وينهى عن مجالستهم أشد النهى . وكان يقول عليكم بالأثر وايا كم والكلام فى ذات الله وأخرج عن أنس عن النبى « صم » قال ان الله حجز التوبة عن كل صاحب

---

(١) حسان بن عطيه : المحاربى أبو بكر الدمشقى مات بعد ١٢٠ هـ

(٢) أبوسعيد الخدرى : هو سعد بن مالك بن سنان مات ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ وقيل ٦٤ هـ

(٣) الفضيل بن عياض بن مسعود توفى سنة ١٧٨ هـ — ٨٠٣ م

بدعة . وأخرج عن سعيد بن أبي مريم (١) قال سمعت الليث بن سعد (٢) يقول بلغت الثمانين وما نازعت صاحب هوى قط . وأخرج عن سلام بن أبي مطيع قال رأى أيوب (٣) رجلا من أصحاب الأهواء ، فقال لأعرف الذلة في وجهه . ثم قرأ « ان الذين اتخذوا العجل . . . الآية ٤) ثم قال هذه لكل مفتر . قال سلام ، وقال رجل من أصحاب الأهواء لأيوب : يا أبا بكر أسألك عن كلمة فولى أيوب وهو يقول : ولا نصف كلمة . وأخرج عن أحمد ابن مهدى (٥) قال سألت أبا جعفر النفيلى (٦) عن الخوض في الكلام ، فقال سئل الأوزاعي عنه ، فقال : اجتنب علما اذا بلغت فيه المنتهى نسبوك للزندقة عليك بالاقتداء والتقليد . وحكى عن يعقوب بن عبد الله الماجشون (٧) قال الكلام مخاطرة . وأخرج عن خصيب الجزرى (٨) قال : مكتوب في التوراة لا تجالس أهل الأهواء فيدخل في قلبك شيء من ذلك فيدخلك النار . ثم قال : « الطبقة الخامسة » وأخرج فيه عن نوح الجامع (٩) قال : قلت لأبي حنيفة

---

(١) سعيد بن أبي مريم: سعيد بن الحكم بن أبي مريم الجمحي بالولاء — ابو محمد البصرى مات سنة ٢٢٤ هـ

(٢) الليث بن سعد .

(٣) أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني أبو بكر . المصرى مات سنة ١٣١ هـ

(٤) سورة الاعراف ٧ الاية ٥٢ .

(٥) احمد بن مهدى : أبو جعفر أحمد بن مهدى بن رستم الاصبهاني توفى ٢٧٢ هـ = ٨٨٥ م

(٦) أبو جعفر النفيلى . عبد الله بن محمد بن على بن فضيل مات ١٣٤ هـ

(٧) يعقوب بن عبد الله الماجشون يعقوب بن أبى مسلمة التيمى أبو يوسف — مات ١٢٠ هـ

(٨) خصيب الجزرى بن عبد الرحمن الجزرى أبو عون رمى بالارجاء توفى ١٢٧ هـ

(٩) نوح الجامع . بن أبي مريم أبو عصمه المروزى القرشى مشهور بكنيته ويعرف بالجامع لجمعه للعلوم مات س ١٧٣ هـ

ماتقول فيما أحدث الناس من الكلام فى الأعراض والأجسام فقال: مقالات الفلاسفة عليك بالأثر وطريقة السلف . وإياك وكل محدثة فانها بدعة . وأخرج عن أبى يوسف القاضى قال : من طلب الدين بالكلام تزندق ، وأخرج عن أبى يوسف قال : العلم بالخصومة والكلام جهل ، والجهل بالخصومة والكلام علم ، وأخرج عن أبى عبد الرحمن الأعرج قال : قال لى سليمان الخواص مامن رجل أراه على حال [المراء (١)] إلا رجوته قبل أن يتعلم القرآن والسنة فاذا تعلم فلم ينزع عن ذلك المراء فلست أرجوه ، وأخرج عن ابن المبارك (٢) قال : الكذب للروافض والخصومة للمعتزلة والدين لأهل الحديث ، وأخرج عن ابن المبارك قال : صاحب البدعة على وجه غبار وإن ادهن فى اليوم ثلاثين مرة ، وأخرج عن ابن المبارك أنه أنشد :

أيها الطالب علما ... إيت حماد بن زيد (٣)
فخذ العلم بحلم ... ثم قيده بقيد
ودع البدعة من ... آثار عمرو بن عبيد(٤)

وأخرج عن محمد بن الحسن (٥) صاحب أبى حنيفة قال : قال أبو حنيفة لعن الله عمرو بن عبيد فانه فتح للناس الطريق الى الكلام فيما لا يعنيهم من الكلام . قال وكان أبو حنيفة يحثنا على الفقه وينهانا عن الكلام . وأخرج عن رسته (٦) قال كان لعبد الرحمن بن مهدى جارية فطلبها منه رجل فكان

---

(١) غير موجودة فى الاصل وقد أضفتها ليستقيم المعنى
(٢) ابن المبارك : عبد الله — المروزى مات ١٨١ ﻫ
(٣) حماد بن زيد بن درهم الازدى الجهضمى أبي اسماعيل مات سنة ١٧٩ ﻫ
(٤) فى الاصل زيد — وهو خطأ .
(٥) محمد بن الحسن بن واقد أبو عبد الله ١٨١ ﻫ = ٨٠٤ م
(٦) رسته . عبد الرحمن بن عمر بن يزيد الزهرى أبو الحسن الاصبهانى — لقبه رسته مات ٢٥٠

منه شبه العدة ، فلما عاد اليه قيل لعبد الرحمن هذا صاحب الخصومات، فقال له عبد الرحمن: بلغنى أنك تخاصم فى الدين ، فقال يا أبا سعيد انما نصنع عليهم(١) لنحاجهم بها ، فقال له عبد الرحمن : أتدفع الباطل بالباطل ، انما تدفع كلاما بكلام . قم عنى، والله لا بعتك جاريتى أبداً. وأخرج عن عبد الرحمن بن مهدى قال من طلب العربية فآخره مؤدب. ومن طلب الشعر فآخره شاعر يهجو أو يمدح بالباطل ومن طلب الكلام فآخر أمره الزندقة ، ومن طلب الحديث فان قام به كان إماما وان فرط فيه ثم أناب يوما يرجع اليه وقد عتبت وجادت ، وأخرج عن طلحة بن عمرو (٢) قال لا تجادلوا أهل الأهواء فان لهم عرة كعرة الجرب وأخرج عن الفضيل بن عياض قال لا تجلس مع صاحب هوى ، فانى أخاف عليك مقت الله . وأخرج عنه قال الحياة الطيبة الإسلام والسنة . وأخرج عنه لا يشم مبتدع رائحة الجنة أو يتوب ، وأخرج عنه قال آكل عند اليهودى والنصرانى أحب الى من أن آكل عند صاحب بدعة . وأخرج عن بسطام العسكرى أنه قيل له ما أشد حرصك على الحديث قال وما أحب أن أكون فى قطار إلى رسول الله «صم» . ثم روى حديث ابن عباس مرفوعا . كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة الا سببى ونسبى. وأخرج عن محمد بن السماك قال الأخذ بالأصول، وترك الفضول من أفعال ذوى العقول . وأخرج عن أبى عاصم (٣) قال اذا تبحر الرجل فى الحديث » فالناس عنده كالبقر . وأخرج عن أبى بكر بن عياش قال أهل السنة فى الاسلام مثل الاسلام فى سائر الأديان . وأخرج عن خالد بن الحارث الهجيمى (٤) قال إياكم وأصحاب الجدال والخصومات

---

(١) فى الاصل عليهم —

(٢) طلحة بن عمرو بن عثمان الحضرمى المكى مات ١٥٢ —

(٣) أبو عاصم : اسمه محمد بن أبي أيوب أبو عاصم الثقفى الكوفى توفى بعد المائة .

(٤) الهجيمى — خالد بن الحارث بن عبيد الهجيمى أبو عثمان البصرى مات ١٨٦ هـ

فانهم شرار أهل القبلة ، ثم قال(١) « الطبقة السادسة » . وأخرج فيه عن عثمان ابن سعيد الدارمى قال ذهبت يوما أحكى ليحيى بن يحيى(٢) بعض كلام الجهمية لاستخرج منه نقضا عليهم . وفى مجلسه يومئذ الحسين بن عيسى البسطامى(٣) وأحمد بن الحريش القاضى ومحمد بن رافع (٤) وأبو قدامة السرخسى(٥) وغيرهم من المشايخ فزبرنى يحيى بغضب ، وقال : اسكت ، وأنكر على المشايخ الذين فى مجلسه استعظاما أن أحكى كلامهم وإنكارا . ثم قال ـ ذكر شدة الشافعى على أهل الكلام وإنكاره . وأخرج من طريق الكرابيسى ، قال : قال الشافعى : كل متكلم على الكتاب والسنة فهو الجد . وما سواه فهو هذيان . وأخرج من طريق يونس بن عبد الأعلى قال قال الشافعى : لا يقال للأصل لم ولا كيف إنما هو التسليم له . وأخرج عن أبى القاسم عثمان بن سعيد (٦) الأنماطى قال سمعت المزنى (٧) يقول كنت أنظر فى الكلام قبل أن يقدم الشافعى ، فلما قدم الشافعى أتيته فسألته عن مسألة فى الكلام ، فقال لى تدرى أين أنت . قلت نعم أنا فى المسجد الجامع بالفسطاط ، فقال له أنت فى تاران قال أبو القاسم : وتاران موضع فى بحر القلزم لا تكاد تسلم منه سفينة ثم ألقى

---

(١) عثمان بن سعيد الدارمى بن خالد السجستانى توفى سنة ٢٨٠ هـ

(٢) يحيى بن يحيى بن بكير بن عبد الرحمن التميمى أبو زكريا النيسابورى توفى سنة ٢٢٦ هـ

(٣) الحسين بن عيسى البسطامى بن حمدان الطاق أبو على البسطامى القومسى نزيل نيسابور مات سنة ٢٤٧ هـ

(٤) محمد بن رافع : القشيرى النيسابورى مات سنة ٢٤٥ هـ

(٥) أبو قدامه السرخسى : عبيد الله بن سعيد بن يحيى اليشكرى ـ أبو قدامه السرخسى ـ توفى عام ٢٢٤ هـ

(٦) أظنه عثمان بن سعيد الدارمى السالف الذكر .

(٧) اسماعيل بن يحيى المزنى مات عام ٢٦٤ هـ

على مسألة من الفقه فأجبت فيه فأدخل شيئا أفسد جوابى . «فاجبت بغير ذلك فأدخل شيئا أفسد جوابى، فجعلت كلما أجبت بشىء أفسده ثم قال لى هذا الفقه الذى فيه الكتاب والسنة وأقاويل الناس يدخله مثل هذا ، فكيف الكلام فى رب العالمين الذى الزلل فيه كفر ، فتركت الكلام وأقبلت على الفقه : وأخرج من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل (١) قال سمعت محمد بن داود (٢) قال : لم يحفظ فى دهر الشافعى كله أنه تكلم فى شىء من الأهواء ولا نسب اليه ، ولا عرف به مع بغضه لأهل الكلام والبدع . وأخرج من طريق عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه قال : كان الشافعى إذا ثبت عنده الخبر قلده ، وخير خصلة كانت فيه لم يكن يشتهى الكلام إنما همه الفقه . وأخرج عن المزنى أن رجلا سأله عن شىء من الكلام ، فقال إنى أكره هذا ، بل أنهى عنه كما نهى عنه الشافعى . فلقد سمعت الشافعى يقول سئل مالك عن الكلام والتوحيد ، فقال مالك محال أن نظن بالنبى « صم » أنه علم أمته الاستنجاء ، ولم يعلمهم التوحيد . والتوحيد ما قاله النبى « صم » أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فما عصم به الدم والمال حقيقة التوحيد . وأخرج عن الكرابيسى قال : شهدت الشافعى ودخل عليه بشر المريسى ، فقال لبشر : أخبرنى عما تدعو اليه ، أكتاب ناطق وفرض مفترض وسنة قائمة ووجدت عن السلف البحث فيه والسؤال ، فقال بشر لا إلا أنه لا يسعنا خلافه ، فقال الشافعى أقررت بنفسك على الخطأ فيه فأين أنت عن الكلام فى الفقه والأخبار تواليك الناس عليه وتترك هذا . قال لنا نبذ فيه ، فلما خرج بشر قال الشافعى

---

(١) عبدالله بن أحمد بن حنبل : الشيبانى مات سنة ٢٩٠ هـ .

(٢) محمد بن داود بن الجراح : أبو عبد الله مات سنة ٢٩٦ هـ .

لا يفلح . وأخرج من طريق أبي داود وأبي ثور قالا سمعنا الشافعي يقول : ما من أحد ارتدى بالكلام فأفلح . وأخرج من طريق الحسين بن اسماعيل المحاملي (١) قال: قال المزني سألت الشافعي عن مسألة من الكلام ، فقال : سلني عن شيء إذا أخطأت فيه قلت أخطأت ولا تسألني عن شيء إذا أخطأت قلت كفرت . وأخرج عن محمد بن عبدالله بن عبد الحكم (٢) قال قال لي الشافعي : يا محمد إن سألك رجل عن شيء من الكلام فلا تجبه فانه إن سألك عن دية ، فقلت درهما أو دانقا . قال : لك أخطأت ، وان سألك عن شيء من الكلام فزللت قال لك كفرت . وأخرج عن الربيع بن سليمان (٣) سمعت الشافعي يقول: المراء في الدين يقسي القلب ويورث الضغائن . وأخرج عن الربيع قال: قال لي الشافعي يا ربيع اقبل مني ثلاثة أشياء . لا تخوضن في أصحاب رسول الله «صم» فان خصمك النبي «صم» يوم القيامة ، ولا تشتغل بالكلام فاني قد أطلعت من أهل الكلام على التعطيل ، ولا تشتغل بالنجوم ، فانه يجر الى التعطيل . وأخرج عن المزني قال كان الشافعي مذهبه الكراهية في الخوض في الكلام . وأخرج عن الكرابيسي قال سئل الشافعي عن شيء من الكلام فغضب ، وقال : سل عن هذا حفص الفرد وأصحابه أخزاهم الله . وأخرج عن محمد بن عبدالعزيز الأشعري صاحب الشافعي ، قال : قال الشافعي مذهبي في أهل الكلام تقنيع رؤوسهم بالسياط وتشريدهم من البلاد . وأخرج عن الكرابيسي قال : قال الشافعي حكمي في أهل الكلام حكم عمر في صبيغ . وأخرج عن أحمد بن خالد

---

(١) الحسين بن اسماعيل المحاملي الضبي البغدادي ابن عبد الله . توفي سنة ٣٣٠ هـ .

(٢) ابن أعين المصري . مات سنة ٢٨٦ هـ .

(٣) الربيع بن سليمان بن عبد الله الجبار المرادي أبو محمد البصري . مات سنة ٢٧٠ هـ

الخلال (١) سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحدا علمت أنه مقيم على بدعة. وأخرج عن أبي ثور والكرابيسي والزعفراني (٢) قالوا سمعنا الشافعي يقول حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد ويحملوا على الابل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل وينادى عليهم هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام. وأخرج عن الزعفراني قال سمعت الشافعي يقول: ما ناظرت أحدا في الكلام إلا مرة وأنا أستغفر الله من ذلك. وأخرج عن يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعي يقول اذا سمعت الرجل يقول الاسم غير المسمى، والشيء غير المشيء فاشهد عليه بالزندقة. وأخرج عن الربيع سمعت الشافعي يقول في كتاب الوصايا: لو أن رجلا أوصى بكتبه من العلم لآخر، وكان فيها كتب الكلام لم يدخل في الوصية لأنه ليس من العلم. وأخرج عن المزني: سمعت الشافعي يقول: الكلام يلعن أهل الكلام. وأخرج عن الربيع: سمعت الشافعي وهو نازل من الدرجة. وقوم يتكلمون في الكلام، فصاح بهم، وقال: أما أن تجاورونا بخير، وإما أن تقوموا عنا. وأخرج عن أبي ثور قال: قلت للشافعي ضع في الكلام شيئا، فقال من ارتدى بالكلام لم يفلح. وأخرج عن الزعفراني قال: كان الشافعي يكره الكلام وينهى عنه. وأخرج عن الربيع قال: أشرف علينا الشافعي يوما وفي الدار قوم قدأخذوا في شيء من الكلام، فقال: إما أن تجاورونا بخير، وإما أن تنصرفوا عنا. وأخرج عن المزني قال كان الشافعي ينهى عن الخوض في الكلام. وأخرج عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول: لو علم الناس

---

(١) أحمد بن خالد الخلال: أبو جعفر البغدادي مات سنة ٢٤٧ هـ.

(٢) الزعفراني: الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني أبو علي البغدادي، صاحب الشافعي. توفي سنة ٢٦٠ هـ.

مافى الكلام لفروا منه كما يفرون من الأسد . وأخرج عن يونس بن عبد الأعلى قال قالت أم الشافعى أنه أبى أن يجالسه حفص القرد . قال الساجى : وكانت تكون معه يحملها معه الى كل موضع . وأخرج عن الشافعى قال قالت لى أم المريسى : كلم بشرا أن يكف عن الكلام فكلمته فدعانى الى الكلام . وأخرج عن الربيع قال سأل رجل الشافعى عن مسألة ، فقال له الشافعى ان هذا يدعو إلى الكلام ، ونحن لا نجيب فى شىء من الكلام . وأخرج من طريق ابن خزيمة سمعت يونس بن عبد الأعلى قال قال الشافعى لأن يبتلى الله المرء بما نهى عنه خلا الشرك خير من أن يبتليه بالكلام . وأخرج عن الربيع قال : قال لى الشافعى ، لو أردت أن أضع على كل مخالف كتابا كبيراً لفعلت ، ولكن ليس الكلام من شأنى ولا أحب أن ينسب إلىّ منه . وأخرج عن الزعفرانى قال : كان الشافعى يعتم بعمامة كبيرة كأنه أعرابى وبيده هراوة ، وكان أذرب الناس لسانا ، وكان إذا خيض فى مجلسه بالكلام نهى عنه . وقال لسنا بأصحاب كلام ، وأخرج عن أبى حاتم (١) قال : قال بعض أصحاب الشافعى حضر الشافعى وكلمه رجل فى مسجد الجامع فى مسألة فطالت مناظرته له ، فخرج الرجل الى شىء من الكلام ، فقال له دع هذا فان هذا من الكلام .

وأخرج عن الربيع قال أنشدنا الشافعى فى ذم الكلام :

لم يبرح الناس حتى أحدثوا بدعا ... فى الدين بالرأى لم تبعث بها الرسل

حتى استخف بدين الله أكثرهم ... وفى الذى حملوا (٢) من حقه شغل

هذا جميع ما أخرجه الهروى بأسانيده من نصوص الشافعى وأكثره

---

(١) أبو حاتم : محمد بن ادريس بن المنذر الحنظلى أبو حاتم الرازى أحد الحفاظ . توفى سنة ٢٧٧ هـ .

(٢) من الاصل — وفى الذين خلوا —

مخرج فى مناقب الشافعى لابن أبى حاتم ، وللساجى وللبيهقى . وأخرج عن عبد الله بن أحمد بن حنبل قال كتب أبى إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان : لست بصاحب كلام ولا أرى الكلام فى شىء من هذا إلا ما كان فى كتاب الله ، أو فى حديث عن رسول الله « صم » . فأما غير ذلك ، فان الكلام فيه غير محمود .

قال المؤلف : وقد استقصيت ذكر شدة كراهية أحمد بن حنبل للكلام والرأى وإنكاره على أهلهما فى كتاب مناقبه . وأخرج عن محمد بن المثنى (١) قال : سمعت بشرا الحافى(٢) ينهى عن مخاطبة أهل الأهواء كلهم ، ومناظرتهم . وأخرج عن أحمد بن الوزير القاضى (٣) قال قلت لأبى عمر الضرير (٤) الرجل يتعلم شيئا من الكلام يرد به على أهل الجهل ، فقال الكلام كله جهل وإنك كلما كنت بالجهل أعلم كنت بالعلم أجهل. وأخرج عن على بن خشرم (٥) قال كتب الى بشر بن الحارث لا تخالف الأئمة فانه ما أفلح صاحب كلام قط وأخرج عن أبى عبيد القاسم بن سلام(٦) أن رجلا قال له ما تقول فى رأى أهل الكلام ، فقال : لقد دلك ربك على سبيل الرشد وطريق الحق ، وقال « فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله » الآية . أما لك فيما دلك عليه ربك من كلامه

---

(١) محمد بن المثنى : بن عبيد العنزى أبو موسى البصرى — مات بعد المائتين .

(٢) بشر الحافى : هو بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء بن هلال المروزى أبو نصر الحافى . . مات سنة ٢٢٧ هـ .

(٣) أحمد بن الوزير القاضى : أحمد بن يحيى بن الوزير بن سليمان التجيبي أبو عبد الله المصرى . توفى سنة ٢٦٥ هـ .

(٤) أبو عمر الضرير : حفص بن عمر أبو عمر الضرير الاكبر . توفى سنة ٢١٠ هـ .

(٥) على بن خشرم . توفى سنة ٢٥٧ هـ .

(٦) أبو عبيد القاسم بن سلام البغدادى . مات سنة ٢٢٤ هـ .

وسنة نبيه « صم » ما يغنيك عن الرجوع إلى رأيك وعقلك وقد نهاك الله عن الكلام فى ذاته وصفاته إلا حسب ما أطلقه لك ، قال « فأعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » . وأخرج عن الحسن اللؤلؤى قال : قال زفر ابن الهذيل (١) قدمت الكوفة على عم لى ، فقال لى ما أقدمك . قلت : طلب العلم ، فأتى بى المسجد فاذا فيه حلق فأدنانى من الحلقه العظيمة . فقال هؤلاء أصحاب الحديث اذا سمع الرجل منهم لوقت وعمر فصان نفسه احتج اليه . ثم أدنانى من حلقة أخرى ، وقال هؤلاء أهل الأدب والنحو . واذا بلغ الرجل منهم الغاية أجلس بين يديه جماعة يعلمهم . ثم أدنانى من حلقة أخرى فقال : هؤلاء الشعراء إذا بلغ الرجل منهم الغاية مدح أو هجا ، ثم أدنانى من حلقة أخرى ، فقال هؤلاء أهل الكلام اذا بلغ الرجل منهم الغاية قيل زنديق أو مبتدع فاحذرهم . ثم أدنانى من حلقة أخرى ، فقال هذا أبو حنيفة لاتأخذ عنه اليوم مسألة إلا احتيج لك فيها غدا . قال فلزمته . وأخرج عن اسحق ابن راهويه (٢) أن عبد الله بن طاهر (٣) قال له : ياأبايعقوب هذه الأحاديث التى تروونها فى النزول ما هى . فقال له : أيها الأمير هذه الأحاديث رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام ، ونقلها العلماء ، ولا يجوز أن ترد هى كما جاءت بلا كيف ، فان يكونوا فى هذه عدولا وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع . فقال له شفاك الله كما شفيتنى . وأخرج عن اسحق بن

---

(١) زفر بن الهذيل بن قيس من تميم توفى سنة ١٥٨ هـ

(٢) اسحق بن راهويه : اسحق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلى : أبو محمد بن راهويه المروزى . مات سنة ٢٣٨ هـ .

(٣) عبد الله بن طاهر : بن الحسين بن مصعب الخزاعى — توفى سنة ٢٣٠ هـ

راهويه قال : لايجوز الخوض فى أمر الله كما يجوز الخوض فى فعل المخلوقين لقول الله تعالى (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون)(١) . ولا يجوز لأحد أن يتوهم على الله بصفاته وأفعاله تعميم ما يجوز التفكير والنظر فى أمر المخلوقين وذلك أنه يمكن أن يكون الله موصوفا بالنزول كل ليلة ولا يسأل كيف نزوله لأن الخالق يصنع ما شاء كما يشاء . وأخرج عن ابن راهويه ، أنه قال :فى الحديث « يجىء القرآن يوم القيامة فى صورة الرجل . ويجىء العمل الصالح فى أحسن صورة » لاتدرك صفة هذا بالعقول،وقد نهينا عن تكلف علم هذا ، وإنما علينا التعبد والاستسلام . ثم قال « الطبقة السابعة » . وأخرج فيه عن عثمان بن سعيد الدارمى قال : لا تكيف هذه الصفات ولا تكذب بها ولا تفسرها . وأخرج عن عثمان بن سعيد قال : ما خاض فى هذا الباب أحد ممن كانوا يذكرون إلا سقط . وأخرج عن عثمان بن سعيد قال : على تصديقها ، والإيمان بها ، أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا ولا ينكرها منهم أحد ولايمتنع من روايتها حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت آثار رسول الله «صم» برد ، فقالوا: كيف. قلنا:لم نكلف كيفيته فى ديننا ولا نعقله بقوبنا وليس كمثله شىء من خلقه فيشبه منه فعل أو صفة بفعالهم وصفاتهم . وأخرج عن أبى عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجى(٢) أنه سئل عن الإيمان ، فقال:الواجب على جميع أهل العلم والاسلام أن يلزموا القصد للاتباع . وأن يجعلوا الأصول التى نزل بها القرآن وأتت بها السنن من الرسول « صم » غايات للعقول ، ولا تجعلوا العقول غايات للأصول، فإن الله جل وعز ورسوله « صم » قد يفرق

---

(١) ٢١ الانبياء ٢٣

(٢) أبو عبد الله محمد ابراهيم البوشنجى – توفى سنة ٢٩٠ هـ .

بين المشتبهين ويباين بين المجتمعين فى المعقول تعبدا وبلوى ومحنة . ومتى ورد على المرء وارد من وجوه العلم لا يبلغه عقله أو تنفر منه نفسه وينأى عنه فهمه وتبعد عنه معرفته وقف عنده واعترف بالتقصير عن إدراك علمه ، وبالحسور عن كنه معرفته . ويعلم أن الله عز وجل ورسوله « صم » لو كشف عن علة ذلك الحادث وأبان وأوضح عن سببه وعن المراد من مخرجه لأدركته عقولنا ولو كان كل ما أتى به الحكم من الله عز وجل والأمر بتعبده أتانا مكشوفا بيانه ، موضحة علته ، لم تكن للعباد بلوى ولا محنة ، وإنما المحن الغلاظ والبلوى الشديدة للأمور والفروض التى لا تنكشف عللها ليسلم العباد بها تسليما ، ويقفوا عندها إيمانا . ولو لا وصفناه كان الذى سبق إليه فكر العقول منا أن واجبا فى كل ما سأل رسول الله « صم » ربه عز وجل أن يجيبه وأن ينزل عليه فيه شفاء ليزداد الناس به علما ولملكوته فهما . ولسنا نرى الأمر كذلك . فقد سألوا رسول الله « صم » وسأل رسول الله « صم » ربه عز وجل عن الروح ، فلما أجابه قال الله تعالى (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا)(١) . وعلى ذلك خالف ربنا بين من أنزل من شرائعه واعلام دينه ومعالم فروضه وعباداته فى الأمم الخوالى فأحل لطائفة ما حرمه على أمة ، وحرم على أمة ما أطلقه لغيرها من أمة ، وحظر على آخرين ما أباحه لمن سواهم ، وكذلك الأمر فيما أنزل من كتبه . وخالف بينهما فى أحكامها ، كالتوراة والانجيل والزبور والفرقان ، وصحف من مضى من الرسل ليسلم الموفق منهم لأمره ونهيه ، وينكص المخذول منهم على عقبيه نفارا من التفريق بين المجتمعين ، وعن الجمع بين المتفرقين ، وعلموا

---

(١) ١٧ الاسراء ٩٠

أن السلامة فيما أنزل عليهم فى إلابتاع والتقليد لما أمروا به والاعراض عن طلب التكييف فيما أجمل لهم ، وعن الغلو وإلايغال فى التماس نهاياتها للوقوع على أقصى مداخلها إذ كان ذلك لا يبلغ أبدا ، فان دون كل بيان بيانا ، وفوق كل متعلق غامض متعلق أغمض منه ، وإذا كان الأمر كذلك فالواجب الوقوف عند المستبهم منه ، ومن أجل ذلك أثنى الله عز وجل على الراسخين فى العلم بأنهم إذا أفضى ببعضهم الأمر إلى ما جهلوه آمنوا وبه ووكلوه إلى الله عز وجل . ومن أجل ذلك ذم الله الغالين فى طلب مازوى عنهم علمه وطوى عنهم خبره ، فقال « وأما الذين فى قلوبهم زيغ » . . . إلى قوله « وما يذكر إلا أولوا الألباب » (١) . ومن أجل بعض ما ذكرنا اشتدت الخلفاء المهديون على ذوى الجدل والكلام فى الدين وعلى ذوى المنازعات والخصومات فى الاسلام والايمان ، ومتى نجم منهم ناجم فى دهر أطفوه وأخمدوا ذكره وأنعموا عقوبته . فمنهم من سيره إلى طرف . ومنهم من ألزمه قعر محبس إشفاقا على الدين من فتنته وحذارا على المسلمين من خدعات شبهته كما فعله الامام الموفق عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين سأله صبيغ عن الذاريات ذروا وأشباهه ، فسيره الى الشام وزجرا الناس عن مجالسته ،وفعله على بن أبى طالب رضى الله عنه بعبد الله بن سبا فسيره الى المدائن . ولقد أتى محمد ابن سيرين رجل من أهل الكلام . فقال ائذن لى أحدثك بحديث : قال لا أفعل . قال فأتلوا عليك آية من كتاب الله . قال لا ولا هذا فقيل له فى ذلك فقال ابن سيرين لم آمن أن يذكر لى ذكرا يقدح به قلبى ، وقد بين الله ما بالعباد اليه حاجة فى عاجلهم ومعادهم ، وأوضح لهم سبيل النجاة التهلكة وأمر

---

(١) ٣ آل عمران ٧

ونهى وأحل وحرم وفرض وسن ، فما أمر العباد من أمر سلموا بائتماره والعمل عليه ، وما نهينا عنه من شيء سلموا بترك ركوبه ، ومتى عتوا عن ظاهر ما أمروا به ونهوا عنه ليبلغوا القصوى من غاية علم أمره ونهيه لم يؤمن عليه الحيرة ولا غلبة الشبهة على قلبه وفهمه . ومن أجل ذلك : قال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه : وما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة ، ولقد سأل سائل ابن عباس رضى الله عنهما عن آية من كتاب الله ، فقال : ما يؤمنك أن أخبرك بها فتكفر . وقال أيوب السختيانى لا تحدثوا الناس بما يجهلون فتضروهم ، وما منع الله تعالى رسوله محمدا «صم» البيان عن بعض ما سأله إلا وقد علم أن ذلك المنع إعطاء ، وأن المنع أجدى على الأمة وأسلم لهم فى بدئهم وعاقبتهم ، ولو لا ذلك لكان من سأل من المشركين والأمم الكافرين رسلهم وأنبياءهم الآيات ، وصنوف العجائب والبينات معذورين ولكانت الرسل فى ترك اسعافهم (١) مذمومين ، ولكان كلما سألوا من آية دونها آية ، وفوقها أخرى حتى أفضى ببعضهم إلى أن سأله أن يروا ربهم جهرة . وسأل بعضهم رسولنا عن الدليل على أمره تفجير الأنهار والينابيع ، فقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا (٢) الآيات ولو كان الأمر فى ذلك على عقول البشر ، لقد كانوا يرون أن منعهم الدليل على صدق ما أتت به أنبياؤهم ورسلهم غير نظر لهم ، لأن زيادة البيان إلى البيان تسكين النفوس عن نفارها ، وطمأنينة القلوب ، وطيب (٣) طباع الايمان غير أن الله منعهم ما سألوا ، إذ فوق

---

(١) فى الاصل اسعاف .
(٢) ١١١ الاسراء ٨٥
(٣) هكذا فى الاصل .

ما سألوا آيات لا يوقف على منتهاها ، فلم يكن يجب أن لو كان ذلك كذلك إيمان على أحد حتى يبلغ من غاية المعرفة (١) بأمور الله ما أحاط به علم الله ، ثم كذلك الأمر الذى لا يعذر به عبد أن يسأله ، بل الأمر فيه إلى الله فيما يوفق ويخذل وفيما يبين ويبهم وفيما يشرح ويمنع حتى يكون العباد فى كل وقت مسلمين لأحكامه لا يتعقبونها بتكييف ولا مسألة عن غاية مراده فيها . ولقد ذكر يونس بن عبد الأعلى عن الشافعى أنه قال : ما من ذنب يلقى الله به عبد بعد الشرك بالله ، أعظم من أن يلقاه بهذا الكلام ، قال فقلت له فان صاحبنا الليث بن سعد كان يقول لو رأيت رجلا من أهل الكلام يمشى على الماء فلا تركن اليه . فقال الشافعى : لقد قصر إن رأيته يمشى فى الهواء فلا تركن اليه . وقال يونس بن عبد الأعلى عن الشافعى قال مذهبى فى أهل الكلام مذهب عمر فى صبيغ تقنع رؤوسهم بالسياط ويسيرون من البلاد . هذا الفصل أملاه البوشنجى فدون تأليفا مستقلا . ويسمى مسألة التسليم لأمر الله والنهى عن الدخول فى كيفيته . والبوشنجى هذا من أئمة الشافعية . قال ابن السبكى فى الطبقات كان من أجلاء الأئمة شيخ أهل الحديث فى زمانه شيع ابن خزيمة جنازته . فسئل عن مسألة فقال : لا أفتى حتى يواريه لحده . وأخرج الهروى عن عبد الرحمن بن أبى حاتم قال كان أبى وأبو زرعة ينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر فى كتب المتكلمين ، ويقولان : لا يفلح صاحب الكلام أبدا . وينكران وضع الكتب بالرأى بغير آثار ويأمران بهجران من يفعل ذلك . وأخرج عن الزجاج النحوى قال : من أفنى عمره فى طلب الخلاف لم يصح له مأوى يأويه ، ولا محل يكون فيه ، فان أخذ بظاهر الكتاب سلم

---

(١) فى الاصل ـ معرفة .

فى الآخرة من العتاب. وأخرج عن الهيثم بن كليب أنشدنا القتيبى فى صفة أهل الكلام :

دع من يقول بالكلام ناحية ... فما يقول الكلام ذو ووع
كل فريق فبدوهم (١) حسن ... ثم يصيرون بعد للشنع
أكثر ما فيه أن يقال له ... لم يك فى قوله بمنقطع

وأخرج عن الهيثم قال وأنشدنا القتيبى لعبد الله بن مصعب :

ترى المرء يعجبه أن يقول ... وأسلم للمرء أن لا يقولا
فأمسك عليك فضول الكلام ... فان لكل كلام فضولا
ولا تصحبن أخا بدعة ... ولا تسمعن له الدهر قيلا
فان مقالتهم كالظلال ... توشك أفياؤها أن تزولا
وقد أحكم الله آياته ... وكان الرسول عليها دليلا
وأوضح للمسلمين السبيل ... فلا تقفون سواها سبيلا

وأخرج عن جعفر الفرعانى قال سمعت الجنيد بن محمد يقول: أقل ما فى الكلام سقوط (٢) هيبة الرب من القلب ـ والقلب إذا عرى من الهيبة بالله عرى من الايمان

وأخرج عن مشاد الدينورى أنه كان كثيرا ما يقول يا أصحابنا لا بد من إحدى ثلاث: إما ركوب الأهوال ومباشرة الحقائق، وإما الاشتغال بالاوراد وأما تعلم هذا العلم قبل أن يقصدكم أصحاب الكلام فيخرجوكم من دينكم. وأخرج عن سهل بن عبد الله قال احتفظوا بالسواد على البياض فما أحد ترك الظاهر إلا خرج إلى الزندقة وأخرج عن سهل بن عبد الله فى قوله « وتعاونوا على البر والتقوى » قال على الايمان والسنة « ولا تعاونوا على الإثم والعدوان » قال الكفر والبدعة وأخرج عن ابى عمرو بن نجيد سمعت أبا عثمان قال من أمر السنة على نفسه تخلق بالحكمة. ومن أمر البدعة على

---

(١) فى الاصل بدؤهم . (٢) فى الاصل ـ سقط ـ

نفسه نطق بالبدعة. وقرأ (وإن تطيعوه تهتدوا)[١] وأخرج عن ابن محمد المرتعش قال سئل أبو حفص ما البدعة. قال: التعدى فى الأحكام والتهاون بالسنن واتباع الآراء والأهواء وترك الاقتداء والاتباع، وأخرج عن أبى على الجوزجانى أنه سئل كيف الطريق إلى الله قال أصح الطريق وأعمرها وأبعدها من الشبه اتباع الكتاب والسنة قولا وفعلا وعزما وعقدا ونية، لأن الله تعالى قال (وإن تطيعوه تهتدوا[١]) فسأله كيف الطريق إلى اتباع السنة قال: مجانبة البدع واتباع ما اجتمع عليه الصدر الأول من علماء الإسلام وأهله والتباعد من مجالس الكلام وأهله ولزوم طريقة الاقتداء والاتباع. بذلك أمر النبى «صم» بقوله (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا[٢])، وأخرج عن ابن أبى حاتم قال كان أبى وأبو زرعة يقولون: من طلب الدين بالكلام ضل. وأخرج عن أبى سعيد الاصطخرى أن رجلا قال له أيجوز الاستنجاء بالعظم قال لا قال لم - قال، لأن رسول الله «صم» قال: هو زاد إخوانكم من الجن قال فقال له: الانس أفضل أم الجن؟ قال بل الانس قال: فلم نجوز الاستنجاء بالماء وهو زاد الانس، فنزل عليه وأخذ بحلقه وهو يقول يا زنديق تعارض رسول الله «صم» وجعل يخنقه فلولا أنهم أدركوه لقتله، وأخرج عن أبى العباس بن سريج أنه سئل ما التوحيد قال: توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله وتوحيد أهل الباطل الخوض فى الأعراض والأجسام وإنما بعث النبى «صم» بإنكار ذلك، وأخرج عن أحمد بن محمد بن أبى سعد أن قال: من جلس للمناظرة على الغلبة[٣] فأوله جدال وصياح وأوسطه حب العلو على الخلق وآخره حقد وغضب ومن جلس للمناصحة

---

(١) ٢٤ النور — ٥٤.

(٢) ١٦ — النحل ١٢٣ (٣) فى الاصل الغفلة — ولعلها الغلبة.

فأول كلامه موعظه وأوسطه دلالة وآخره بركة . وأخرج عن أبى عمرو بن مطر قال : سئل ابن خزيمة عن الكلام فى الأسماء والصفات. فقال بدعة: ابتدعوها ولم يكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب وأئمـــة الدين مثل مالك وسفيان والأوزاعى والشافعى وأحمد وإسحق(١) ويحيى بن يحيى(٢) وابن المبارك ومحمد بن يحيى وأبى حنيفة ومحمد بن الحسن(٣) وأبى يوسف(٤) يتكلمون فى ذلك وينهون عن الخوض فيه ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة ، فاياك والخوض فيه والنظر فى كتبهم بحال . وأخرج عن أبى بكر بن بسطام قال سألت أبا بكر بن سيار عن الخوض فى الكلام فنهانى عنه أشد النهى . وقال عليك بالكتاب والسنة وما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين وتابعى التابعين فإنى رأيت المسلمين فى أقطار الأرض ينهون عن ذلك وينكرونه ويأمرون بالكتاب والسنة ، ثم قال « الطبقة الثامنة » وأخرج فيه من طريق أبى عبدالله الحاكم قال : سمعت أبا زيد الفقيه المروزى يقول: أتيت أبا الحسن الأشعرى بالبصرة فأخذت عنه شيئا من الكلام ، فرأيت من ليلتى فى المنام كأنى عميت فقصصتها على المعبر فقال : إنك تأخذ علما تضل به فأمسكت عن الأشعرى ، فرآنى بعد فى الطريق فقال لى : يا أبا زيد أما تأنف أن ترجع إلى خراسان عالما بالفروع جاهلا بالأصول ، فقصصت عليه الرؤيا فقال: اكتمها

---

(١) اسحق : بن ابراهيم بن مخلد بن ابراهيم بن مطر الحنظلى ـ أبو يعقوب المروزى ـ عالم نيسابور ولد سنة ١٦٦ ـ توفى ٢٣٨ هـ ـ طبقات الشافعية ـ ج ١ ص ٣٣٢ـ٢٣٨

(٢) يحيى بن يحيى النيسابورى توفى ٢٢٦ هـ (٣) محمد بن الحسن الشيبانى توفى سنة ١٨٩ هـ

(٤) أبو يوسف — توفى سنة ١٨٩ هـ .

(٥) أبو الحسن الاشعري ـ على بن اسماعيل بن أبي بشر المتكلم المشهور ـ ولد سنة ٢٦٠ وتوفى ما بين ٣٢٠ — ٣٣٠ .

على ههنا . وأخرج عن أبى الأشعث . قال قال رجل لبشر بن أحمد أبى سهل الاسفرايني إنما أتعلم الكلام لأعرف به الدين فغضب وقال أوكان السلف من علمائنا كفارا ، وأخرج عن أبى محمد الحسن بن أحمد البغدادى الحريرى قال الجلوس للمذاكرة فتح باب الفائدة ، وأخرج عن أبى منصور الأزهرى(١) فى قوله «صم» إن من طلب العلم جهلا . قال يعنى علم الكلام وعلم النجوم ، وأخرج عن أبى يعقوب ابن زوران الفقيه الفارسى مفتى الحرم بمكة قال أجبت عن مسألة فى الكلام فرجعت إلى بيتى وما فى قلبى من كل ما من الله به على المؤمنين من شىء حتى قمت فاغتسلت وسجدت وتضرعت وتبت وبكيت حتى رد على ، وأخرج عن ابراهيم الخواص قال ما كانت زندقة ولا كفر ولا بدعة ولا جرأة فى الدين إلا من قبل الكلام والجدال والمراء . وقال سمعت الثقة يحكى أن عبد الله بن عدى الصابونى لما حمل إلى بخارى أحضر أبو بكر الشاشى القفال ليكلمه ، فقال لا أكلمه إنه متكلم فقيل له من تكلم ؟ قال الأردنى ، وسمعت أحمد بن حمزة وأبا على الحداد يقولان وجدنا أبا العباس أحمد بن محمد النهاوندى على الانكار على أهل الكلام . وهجر أبا الفوارس القرمسينى (٢) .لذلك قال أحمد بن حمزة لما اشتد الهجران بين النهاوندى وأبى الفوارس سألوا أبا عبد الله الدينورى ، فقال لقيت ألف شيخ على ما عليه النهاوندى . ثم قال «الطبقة التاسعة» وقال سمعت محمد بن عمر الفقيه أبا الفوارس يقول سمعت سهل بن محمد الصعلوكى يقول أقل ما فى الكلام من الخسار سقوط هيبة الله من القلب ، سمعت منصور بن العباس يقول : ما أحصى ما سمعت

---

(١) أبو منصور الازهرى : محمد بن أحمد بن الازهر بن طلحة الهروى — ولد ٢٨٢ وتوفى ٣٧٠ . طبقات الشافعية ج ٢ ص ١٠٦ .

(٢) فى الاصل — القرماسينى والصحيح — القرمسينى نسبة الى قرمسين — مدينة بالعراق .

أبا الطيب يقول أنهاكم عن الكلام وتعودون إليه والله الموعد ، سمعت عبد الواحد بن أحمد ، سمعت أبا الطيب يقول لما توفى أبى وعقدت مجلس الفقه عاودونى فى مجلس الكلام وقالوا : هو من مجالس أبيك فلا تقطعه فما زالوا بى حتى حضرت مجلس الكلام فجرى مسألة فقمت ورجعت عن ذلك ، وسمعت عبد الواحد بن ياسين المؤدب يقول : رأيت بابين قلعا من مدرسة أبى الطيب بأمره [فأخرجت(١)] من بيتى شابين حضرا أبا بكر بن فورك (٢) ، وسمعت عبدالرحمن بن محمد بن الحسين يقول : وجدت أباحامد الاسفرايني وأبا الطيب الصعلوكى وأبا بكر القفال المروزى وأبا منصور الحاكم على الانكار على الكلام وأهله . وسمعت أحمد بن أبى رافع وخلقا يذكرون شدة أبى حامد على الباقلانى (٣) ، قال وأنا بلغت رسالة أبى سعيد إلى ابنه سالم ببغداد إن كنت تريد أن ترجع إلى هراه فلا تقرب الباقلانى ، وسمعت أبى يقول سمعت أبا المظفر جبال بن أحمد الترمذى أمام أهل ترمذ يخشى على أهل الكلام الزندقة ، وسمعت محمد بن عبد الرحمن الدباسى يقول رأيت أبا منصور الحاكم ذكر بين يديه شىء من الكلام فأدخل أصبعيه فى أذنيه ، وسمعت عبد الرحمن ابن محمد البجلى (٤) يقول : سمعت هيصم بن محمد بن ابراهيم بن هيصم يقول : كنت نظمت فى شىء من كلام الأشعث وعلقنى ، فررت بالصابونى أبى

---

(١) غير موجودة بالاصل .

(٢) أبو بكر بن فورك أبو بكر الانصارى الاصبهاني محمد بن الحسن بن فورك توفى ٤٠٦ . طبقات الشافعية ٥٣ ج ٣

(٣) الباقلاني : أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القسم الباقلاني أمام الاشاعرة العظيم ـ توفى ٤٠٣ ترجمته وفيات الاعيان لابن خلكان ج ١ ص ٦٧٤ .

(٤) نسبة الى بجله ـ بالفتح بالسكون رهط من سليم .

نصر فسمعت يقول وهو يزكيها رجل البينة وراء الحجة فرجعت وسمعت يحي بن عمار النيهى (١) يقول : العلوم خمسة ، علم هو حياة الدين وهو علم التوحيد ، وعلم هو قوت الدين وهو العظة والذكر ، وعلم هو دواء الدين وهو الفقه ، وعلم هو داء الدين وهو أخبار فتن السلف ، وعلم هو هلاك الدين وهو علم الكلام . قال المؤلف : ووجدت هذا الكلام لأبي منصور الماليني البستى (٢) قال ورأيت يحي بن عمار ما لا أحصى على منبر ينكر على أهل الكلام . وكذلك رأيت عمر بن إبراهيم ومشايخنا سمعت الحسن بن أبي أسامة المكى سمعت أبي يقول لعن الله أبا ذر يعنى عبد بن أحمد الهروى فانه أول من حمل الكلام إلى الحرم وأول من بثه فى المغاربة وسمعت منصور بن اسماعيل (٣) سمعت الحسين بن شعيب (٤) الفقيه يقول ليحي بن عمار سمعت سالما يقول من لم يقرأ الكلام لم يدن لله دينه فقلت هل ورثت أباك . وسمعت على بن محمد الأنصارى يقول سمعت الحسن بن هانى يقول كنا قرأ الكلام ولكنا عقلنا فسكتنا وحمق أبو الجودى (٥) والدينارى فافتصحا ، وسمعت طاهر بن محمد الماليني (٦) يقول شهدت الدينارى يستتيبه أبو سعد الزاهد فما رأيته كذلك اليوم فى الذل وأدركت مجلس سالم فى الجامع يغسل فى عهد يحي بن عمار وعمر بن ابراهيم عن شورى وسمعت منصور ابن اسماعيل الفقيه يحمد الله على ذلك وجاء سالم يتوب فقال يحي بن عمار للحاجب قال له أتينا بكتب الكلام نحرقها بالنار ولم يأذن له . قال المؤلف ثم أنى لا أعلم أنى سمعت فى عمرى بشر اواحدا فى بلدتنا يقر على نفسه أو يصرح

---

(١) فى الاصل الفيهى (٢) نسبة إلى آلين — من قرى مرو

(٣) منصور بن إسماعيل بن عمر التميمى — أبو الحسن . توفى سنة ٣٠٦ هـ — ٩١٨ م

(٤) الحسين بن شعيب بن محمد السنجى — مات نحو ٤٣٢ هـ — ١٠٤٠ م

(٥) فى الاصل أبو الجود — ولعله : أبو الجودى الاسدى الشافعى — واسمه الحارث ابن عمير توفى بعد المائه — وروايته عن أبي ذر مرسله

(٦) الماليني : نسبة الى مالين قرى مجتمعة من هراه

بشيء من الكلام وهو يعرفه أو يظهر شيئا من كتبهم إلا من أحد وجوه أربعة . أحدها : أن يكون رجل علم منه أنه قرأ الكلام ؛ فهو يحلف أنه إنما قرأه ليصول به على خصمه ، لا ليدين به دينا . والثانى : رجل أخذ عنه . . . . (١) .

أنه إنما أخذ عن النقل لا الكلام . والثالث : قوم لحقهم داء من العجب حتى لحظتهم الأعين بالهوان بصحبة أهل التهمة والركون اليهم . فهم إذا خلوا يتناجون . وإذا برزوا يتهاجون . والرابع : رجل ظهرت عليه شيء من كتب الكلام بخطه أو قراءته ، أو أخذه حيا أو ميتا ، فكلهم يحمل من أعباء الذل والهجران والطرد مالا يحمله عيار . ولا تعاد مرضاهم ولا تشيع جنائزهم على أنك لا تعدم منهم قلة الورع وقسوة القلب ، وقلة الود وسوء الصلاة ، والاستخفاف بالسنة ، والتهاون بالحديث ، والوضع من أهله . وترك الجماعة . وقد سمعت بعض المتهمين : يقول وما الكلام كلما خرج من الفم من النطق فهو كلام فهو والله حمق ظاهر أن يكون تلبسه بالشافعى الإمام المطلبى باعتزائه الكاذب اليه ، وزعمه الباهت عليه . وهو من أشد خلق الله تعالى على المتكلمين وأثقله عليهم كما نظمنا عنه من أقاويله الغر فى ذمهم . ثم هذا المراوغ يدعى أنه لا يدرى ما الكلام ، وهؤلاء أئمة الإسلام ، وكل هذا التحذير وإيذانه قديما بالضرر الكبير ، فليبرزوا به إذن من الخباء ، وليخرجوا الطبل من الكساء . ويقيموا الخطأ على أولئك السادة الهداة . ويسيروا بنا الى مسلم أدركه فى الكلام رشداً ولقى به خيرا فلا والله لادين المتناجين دين ، ولا رأى المتسارين(٢) . ثم أخرج عن عمر بن عبد العزيز

---

(١) هنا كلمات متآكلة بآخر صحيفة الاصل

(٢) فى الاصل المتسرين .

قال : إذا رأيت قوما يتناجون فى أمر دينهم بشىء فاعلم أنه تأسيس ضلالة . وسمعت اسماعيل بن على يقول سمعت فاخر بن معاذ يقول لبعض أهل الكلام إن جئتنى بالكلام هشمت أسنانك . وقرأت كتاب محمود الأمير يحث فيه على كشف أستار هذه الطائفة والإفصاح بعيبهم ، ويقول فيه لم يخف أن القرآن يصرح به فى الكتاتيب ويجهر به فى المحاريب . وحديث المصطفى «صم» يقرأ فى الجوامع ، ويسمع فى المجامع ، وتشد اليه الرحال . والفقهاء فى القلانس مفصحون فى المجالس ، وأن الكلام فى الخفايا ، يدس به فى الزوايا . قد ألبس أهله ذله ، وأشعرهم ظلمه . يرمون بالألحاظ ، ويخرجون من الحفاظ ، يسب بهم أولادهم ويتبرأ منهم أوداؤهم .

ثم قال (باب) كراهية أخذ العلم عن المتكلمين وأهل البدع ، وأخرج فيه عن أنس مرفوعا ، وابن عباس موقوفا : إن هذا العلم دين ، فانظروا عمن تأخذونه . وأخرج عن أبى أمية اللخمى أن رسول الله « صم » قال : إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر . قال ابن المبارك : هم أهل البدع وأخرج عن محمد بن ابراهيم الماستوى (١) أنه ذكر أهل الكلام ، فقال : أما استفتاء أحد منهم . أو أخذ حديث عنهم فهو من عظائم أمور الدين . وأخرج عن على بن عبدالله بن نجيح المدينى (٢) قال يوسف بن خالد (٣) سقط حديثه من أجل الكلام ، وكل من كان صاحب كلام فليس بشىء .

---

(١) لعلها الماستينى ـ نسبة الى ماستين قرية ببخارى ، أو المشتولى نسبة الى مشتول قرية بمصر .

(٢) على بن عبد الله بن نجيح السعدى ـ أبو الحسن بن المدينى البصرى . مات سنة ٣٣٤ هـ .

(٣) يوسف بن خالد بن عمير السمتى . مات سنة ٢٨٩ هـ .

قلت : هذا آخر ما لخصته من كتاب ذم الكلام للهروى ، وقد اشتمل على نصوص أعيان أئمة الإسلام من الصحابة والتابعين وأتباعهم والمجتهدين أرباب المذاهب وأقرانهم وأصحابهم ، وأتباع مذاهبهم والمحدثين والصوفية ، ومع ذلك فبقيت نصوص أخرى لم يوردها وأنا متتبعها ، ومستوفيها هنا إن شاء الله تعالى . والهروى هذا شيخ الإسلام الحافظ الإمام الزاهد أبو اسماعيل عبد الله بن محمد الأنصارى من ذرية أبى أيوب الأنصارى . كان حنبليا حافظا للحديث ، بارعا فى اللغة ، آية فى التصوف والوعظ ، إماما متفننا ، قائما بنصر السنة ورد المبتدعة . وهو صاحب كتاب منازل السائرين . مات فى ذى الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة .

كلام الحارث المحاسبى (١)

فى كتاب الرعاية

ذكر ما وقفت عليه من كلام الحارث بن أسد المحاسبى فى ذلك . والحارث هذا قد عده الأستاذ أبو منصور التميمى فى الطبقة الأولى من أصحاب الشافعى وقال إمام المسلمين فى الفقه والتصوف والحديث والكلام والزهد والورع والمعرفة . مات سنة ثلاث وأربعين ومائتين . قال فى كتابه : الرعاية « باب الغرة بالجدال وحسن البصر بالاحتجاج والرد على أهل الأديان » وفرقة جدلة خصمة مغترة بالجدال ، والرد على المختلفين من أهل الأهواء وأهل الأديان . تناول فى ذلك انه لا يصح لأحد عمل حتى يصح إيمانه ، والقول بسنة النبى

---

(١) الحارث المحاسبى . توفى سنة ٢٤٣ . طبقات الشافعية ـ ٣٧ ـ ٢ ص ٤٢ أنظر الرعاية طبع فى لندن فى أوائل الحرب وانظر فقرات منه فى :
Massignon; Recieul des tetes Concernat L· histioire de Mys·x

« صم » فليس عند أحدهم أحد يعرف رده ، ولا يقول عليه الحق غيره ، أو من كان مثله . ثم هم فرقتان : فرقة ضالة مضلة لا تفطن لضلالتها لاتساعها فى الحجاج ، ومعرفتها بدقائق مذاهب الكلام ، وحسن العبارة بالرد على من خالفها ؛ فهم عند أنفسهم من القائلين على الله بالحق ، والرادين لكل ضلالة ، لا أحد أعلم منهم بالله ولا أولى به منهم . والفرقة الثانية من المغترين بالجدل والبصر بالحجاج ، تقول بالحق لا تدين بغيره ، وقد اغترت بالجدل . ترى أنه لا يصح لها قول دون الفحص والنظر وقيام الحجة على من خالفها ، فقد اغترت بذلك ، حتى قطعت أعمارهم بالاشتغال عن الله وعمى عليها أكثر ذنوبها وخطاياها ، وهى تظن أن ذلك أولى بها وأقرب لها إلى ربها ، وهى أيضا لا تسلم فى مجادلتها من أن تخطىء فى تأويلها ، وقولها : إلا أن اعتقادها السنة مع اغترارها .

ثم قال (باب) ما تنفى به الغرة بالجدل والحجاج . أما الفرقة الضالة فإنها تنفى ذلك بأن ترجع إلى نفسها ، فتعلم أن من القرآن محكما ومتشابها ، وكذلك السنة فلا يقضى بمتشابه على محكم ، ويقضى بالمحكم على المتشابه ؛ وأن الخطأ فى التأويل لايحصى فتتهم نفسها وتعلم أن الله سائلها عما تدين به . والجماعة قد مضت على الهدى وسنة نبيها « صم » فلا تخرج من إجماعها وإن حسن ذلك فى عقولها فإن تثبتت كما وصفت لك أبصرت ضلالها ولم تغتر بشدة حجاجها إذ علمت أن غيرها ممن خالفها شديد الحجاج ، بصير بالجدل ، وهو عندها ضال مضل ، وكذلك لا تأمن أن تكون هى عند الله كذلك ، وإن بصرت بالجدل (١) والخصومة ، فان اتهمت نفسها عن الآراء والتأويل وتثبتت عند التشابه فقضت

---

(١) فى الاصل : أبصرت الجدل . ولعلها بصرت بالجدل .

بالمحكم عليه ، وأوقفت مالم يجعل لها النظر فيه . ولم تخرج عن إجماع من مضى زالت عنها غرتها ، وثابت إلى ربها من ضلالها . وأما الفرقة المصيبة للحق مع غرتها بالخصومات والجدل عما هو أولى بها فانها تنفى غرتها بذلك ، بأن تعلم أن الله تعبد من مضى بما تعبدها . وقدأدرك كثير منهم أهل البدع والأهواء فما جعل عمره ولا دينه عرضة (١) للخصومات ، ولااشتغل بذلك عن النظر لنفسه والعمل ليوم فقره إلا أن يرى موضع حاجة يظن أنه إن تكلم بالحق قبل منه . فيقول بالحق ويحذر أن يخطى على الله فيرد الباطل بالباطل ، فكانوا على ذلك ، وذموا (٢) الجدل والخصومات ، ورووا ذلك عن النبى «صم» رواه عنه أبو أمامة أنه قال : ماضل قوم قط إلا أوتوا الجدل . وذم الله تعالى ذلك فقال (ألدّ الخصام) (٣) . وقال لقريش (بل هم قوم خصمون) (٤) فذم المراء والجدل فليرجع إلى نفسه ، فيقول لها : إنما تدعينى إلى الاتباع والسنة بجدالك لأهل الأهواء ودعائك لهم بالجدال . والمراء ترك السنة ، لأن النبى « صم » نهى بسنته عن الجدال والخصومات وغضب على أصحابه حتى كأنما فقىء فى وجهه حب الرمان حمرة الغضب إذ خرج عليهم يختصمون ، وهم أولى الخلق بالفهم والبصر بالحجاج ، فقال : أبهذا بعثتم أم بهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض . انظروا ما أمرتم به ، فاعملوا به ، وما نهيتم عنه فانتهوا عنه . ثم هو فى نفسه « صم » قد بعث إلى جميع أهل الأديان ، فما جادلهم إلا بما تلى عليهم من التنزيل ، ولو شاء كلمهم بالمقاييس ودقيق الكلام . ولو كان ذلك

---

(١) فى الاصل عرة .　　(٢) فى الاصل وذم . ولعلها — وذموا .
(٣) ٢ البقرة . آية ٢٠٤　(٤) ٤٣ الزخرف — ٥٨
(٥) فى الاصل تدعنى ، ولعلها تدعيننى .

هدى كان أولى به وعليه أقوى فلم تقم عليهم الحجة إلا بالتنزيل ، وضرب عن جدلهم بالدقائق وعلم أن ذلك رضى ومحبة لربه فترك الجدل والخصومات من السنة ، ونرجع اليها أيضا بأخرى من التذكرة ، فنقول : إنى لو نجوت (١) وعطب أهل الأرض من أهل الأهواء ماضرنى ذلك ولو عطبت ونجوا (٢) ما نفعنى ، فإقامتى الحجة عليهم وتركى أن أقيم الحجة على نفسى ، لله عزوجل من تضييع أمره ، حتى أؤدى ما أمرنى به ، وأنتهى عما نهانى عنه . وأربح أيام عمرى ليوم فقرى وفاقتى ، أولى بى . فقد شغلنى عن نفسى ونجاتى . ومع ذلك ما يؤمننى أن أقيم الحجة ببعض التأويل أو القياس أرى أنه أهدى ، وهو عند الله كذب عليه . وقد تبين لى ذلك فيما مضى من عمرى . قد كنت أقول القول ثم يتبين لى أنه خطأ فأرجع عنه ، فما كانت حالى عند ربى أن لو مت على حالى تلك ، فلذلك لا آمن مثلها ، ثم أموت عليها ، قبل أن أعرف خطئى . فاذا أنا قد أهلكت نفسى بطلبى لنجاة غيرى . ومع ذلك أنه لو كانت المجادلة من السنة ولم أكن أشتغل بها عن العمل لآخرتى ، وأمنت الخطأ فى حجاجى ، لما كان لكلامهم موضع فيه بر وخير فى آخرتى ، إذ لم أر أحدا منهم رجع عن قوله ولا تاب من بدعته ، فلو كان ذلك كذلك لكنت معنيا بنفسى . فكيف وقد فهمت عن الجدل وهو يشغلنى عن العمل لنجاتى ، ومع ذلك أتعرض للخطأ على الله والكذب عليه ، أو فى دينه ، وأنا الأشعر ، فاذا رجع إلى نفسه بذلك أبصر غرته ، واهتم بنفسه وعلم أنه كان فى غرور وزخرف من رأيه ، وأنه قد مضى عمره بترك ماهو أولى به ، فحينئذ يهتم للعمل ويتفقد عيوبه والتوبة منها قبل لقاء ربه عز وجل .

---

(١) فى الاصل نجوت عقب — ولعل صواب العبارة : لو نجوت وعطب .

(٢) فى الاصل ونجوت — ولعل صواب الكلمة — ونجوا .

كلام البخارى صاحب الصحيح

فى كتاب خلق أفعال العباد

ذكر ما وقفت عليه من كلام البخارى صاحب الصحيح فى ذلك ، وهو من الموصوفين بالاجتهاد . قال فى كتابه (خلق أفعال العباد) : المعروف عن أحمد وأهل العلم أنهم كرهوا البحث والتنقيب عن الأشياء الغامضة ، وتجنبوا أهل الكلام والخوض والتنازع إلا فيما جاء فيه العلم وبينه الرسول « صم » قال تعالى « فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول (١) » . ثم أخرج من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع النبى «صم» قوما يتمارون(٢) فقال : إنما هلك من كان قبلكم بهذا ضربوا كتاب الله بعضه ببعض وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضا ، فلا تضربوا بعضه ببعض ، ماعلمتم منه ، فقولوا ، وما أشكل عليكم فكلوه إلى عالمه . وأخرج من طريق كثير ابن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده أن النبى « صم » قال : إنكم ما اختلفتم فى شىء ، فإن مرده إلى الله وإلى محمد « صم » . وأخرج حديث عائشة : من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهورد . قال وأمر عمر أن ترد الجهالات إلى السنة . قال البخارى : فكل من لم يعرف الله بكلامه أنه غير مخلوق فإنه يعرف ويرد جهله إلى الكتاب والسنة . فمن أبى بعد العلم كان معاندا . قال الله تعالى «وما كان الله ليضل قوما بعد إذ هداهم حتى يبين لهم مايتقون» (٣). وقال « ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين

---

(١) ٤ النساء آية ٦٨ (٢) فى الاصل يتدارون ، ولعلها يتمارون .

(٣) ٩ التوبة ١١٥

نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً (١) . قال البخارى : وكل من اشتبه عليه شيء فأولى له أن يكله إلى عالمه لحديث ابن عمرو . ولا يدخل فى المشتبهات إلا ما بين له . ثم أخرج حديث عائشة فى قوله فاذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فهم الذين عنى الله ، فاحذروهم .

كلام ابن جرير الطبرى
فى كتاب صريح السنة

ذكر ما وقفت عليه من كلام أبى جعفر بن جرير الطبرى فى ذلك ، وهو أحد الأئمة المجتهدين له مذهب مستقل فيه تصانيف مدونة ، وأتباع كانوا يفتون بقوله ويحكمون ، منهم المعافى بن زكريا الجريرى وغيره . قال ابن السمعانى فى الأنساب : الجريرى بفتح الجيم وكسر الراء ، نسبة إلى مذهب ابن جرير الطبرى (٢) . وقال الخطيب : كان ابن جرير أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه . وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره . فكان عارفا بكتاب الله ، عارفا بالقراءات بصيرا بالمعانى ، فقيها فى أحكام القرآن . عالما بالسنن وطرقها ، وصحيحها ، وسقيمها ، وناسخها ومنسوخها ، عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين ، عارفا بأيام الناس وأخبارهم . وله كتب كثيرة فى التفسير والآثار وأصول الفقه وفروعه . وقال ابن السبكى فى الطبقات : كان مجتهدا مطلقا (٣)

---

(١) ٤ النساء ١١٥

(٢) ابن جرير الطبرى : بن يزيد بن كثير بن غالب . ولد سنة ٢٢٤ أو ٢٢٥ . توفى سنة ٣١٠ — ترجمة هامة — طبقات الشافعية حـ ٢ ص ١٣٥ — ١٣٨ .

(٣) فى الاصل مطلعا . ولعلها مطلقا .

أحد أئمة الدنيا ، وكان تفقه أولا للشافعى . أخذ عن الزعفرانى ، والربيع المرادى(١) ، ثم استقل وألف كتبا فى مذهب نفسه . مات سنة عشر وثلاثمائة . قلت : وهو عندى المبعوث على رأس المائة الثالثة . وقد بسطت ترجمته فى طبقات المفسرين . قال فى كتابه المسمى صريح السنة — الحمد لله مفلح الحق وناصره ، ومدحض الباطل وماحقه ، الذى اختار الإسلام لنفسه دينا فأمر به وحاطه وتوكل بحفظه ، وضمن إظهاره على الدين كله ، ولو كره المشركون ثم اصطفى من خلقه رسلا ، ابتعثهم بالدعاء اليه ، وأمرهم بالقيام به ، والصبر على ما نابهم فيه من جهلة خلقه ، وامتحنهم من المحن بصنوف وابتلاهم من البلاء بضروب ، تكريما لهم غير تذليل وتشريفا غير تخسير ، ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، فكان أرفعهم عنده درجة أحدهم امضاء لأمره مع شدة المحنة ، وأقربهم اليه زلفى أحسنهم نفادا لما أرسله به مع عظم البلية . يقول الله عزوجل فى محكم كتابه لنبيه «صم» - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل -(٢) وقال له « صم » ولأتباعه رضوان الله عليهم (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ، ألا إن نصر الله قريب)(٣) وقال (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها ، وكان الله بما تعملون بصيرا ، إذ جاؤكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلى المؤمنون ، وزلزلوا زلزالا شديدا . وإذ يقول

---

(١) فى الاصل الرازى - ولعلها المرادى .

(٢) ٤٦ الاحقاف ٣٥ . (٣) البقرة ٢١٤

المنافقون والذين فى قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا) (١) . وقال تعالى (الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون . ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن الكاذبين) (٢) . فلم يخل جل ثناؤه أحدا من مكرمى رسله ومقربى أوليائه من محنة فى عاجله دون آجله ليستوجب بصبره عليها من ربه من الكرامة ما أعده له ، ومن المنزلة لديه ما كتبه له ، ثم جعل تعالى ذكره ـ علماء كل أمة نبى ابتعثه منهم (٣) ورثته من بعده ، والقوام بالدين بعد اختراعه اليه وقبضه ، الذابين عن عراه وأسبابه ، والحامين عن أعلامه وشرائعه ، والناصبين دونه لمن عانده وجادله ، والدافعين عنه كيد الشيطان وضلاله ، فضلهم بشرف العلم ، وكرمهم بوقار الحلم ، وجعلهم للدين وأهله أعلاما ، وللاسلام والهدى منارا ، وللخلق قادة وللعباد أئمة وسادة ، اليهم مفزعهم عند الحاجة ، وبهم استغاثتهم عند النائبة لا يثنيهم عن التعطف والتحنن عليهم سوء ما بهم من أنفسهم ، يولون ولا يصدهم عن الرقة عليهم ، والرأفة بهم ، قبح ما اليهم يأتون ، تحريا منهم طلب جزيل ثواب الله فيهم . وتوخيا طلب رضى الله فى الأخذ بالفضل عليهم . ثم جعل جل ذكره علماء أمته نبينا « صم » من أفضل علماء الأمم التى خلت قبلها فيما كان قسم لهم من المنازل والدرجات والمناقب والمكرمات ، فكمل وأجزل (٤) لهم فيه حظا ، ونصيبا مع ابتلاء الله أفاضلها بمنافقيها ، وامتحانه خيارها بشرارها ، ورفعها بسفلها ووضعائها ، فلم يكن يثنيهم ما كانوا به منهم

---

(١) ٣٣ الاحزاب ٩ . (٢) ٢٩ العنكبوت ٢

(٣) فى الاصل ـ علماء كلما أمة بنى ابتعثه منهم ـ

(٤) فى الاصل : فشمل واجزل له .

يبتلون ، ولا كان يصدهم ما فى الله منهم يلقون عن النصيحة لله فى عباده وبلاده أيام حياتهم . بل كانوا بعلمهم على جهلهم يعودون . وبحلمهم لسفههم يتعهدون وبفضلهم على نقصهم يأخذون ، بل كان لا يرضى كثير منهم ما أزلفه لنفسه عند الله من فضل ذلك أيام حياته ، وادخر منه من كريم الذخائر لديه قبل مماته ، حتى تبقى لمن بعده آثارا على الأيام باقية ، ولهم إلى الرشاد هادية . جزاهم الله عن أمة نبيهم « صم » أفضل ما جزى عالم أمة عنهم وحباهم من الثواب أجزل ثواب . وجعلنا ممن قسم له من صالح ماقسم لهم ، وألحقنا بمنازلهم وكرمنا بحبهم ، ومعرفة حقوقهم ، وأعاذنا والمسلمين جميعا من مرديات الأهواء ومضلات الآراء ، إنه سميع الدعاء . ثم إنه لم يزل من بعد مضى رسول الله «صم» لسبيله حوادث فى كل دهر تحدث ونوازل فى كل عصر تنزل . يفزع فيها الجاهل إلى العالم فيكشف فيها العالم سدف الظلام عن الجاهل بالعلم الذى أتاه الله وفضله به على غيره . إما من أثر وإما من نظر : فكان من قديم الحادثة بعد رسول الله « صم » من الحوادث التى تنازعت فيها(١) أمته واختلافها فى أفضلهم بعده « صم » وأحقهم بالامامة وأولاهم بالخلافة . ثم القول فى أعمال العباد طاعاتها ومعاصيها . وهل هى بقضاء الله وقدره أم الأمر فى ذلك مفوض اليهم . ثم القول فى الايمان هل هو قول وعمل ، أم هو قول بغير عمل ، وهل يزيد وينقص أم لا زيادة له ولا نقصان . ثم القول فى القرآن هل هو مخلوق أو غير مخلوق . ثم رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة . ثم القول فى إلفاظهم بالقرآن ، ثم حدث فى دهرنا هذا حمقات خاض فيها أهل الجهل والعناد ـ نوكى الأمة ـ والرعاع يتعب إحصاؤها ويمل تعدادها منها القول :

---

(١) فى الاصل فيه ـ ولعلها فيها .

فى اسم الشيء أهو هو أم هو غيره . ونحن نبين الصواب لدينا من القول فى ذلك . ثم تكلم على المسائل المذكورة مسألة مسألة بالأثر . ثم قال : وأما القول فى إلفاظ العباد بالقرآن ، ولا أثر فيه نعلمه عن صحابى مضى ولا تابعى قفى إلاعمن فى قوله الغنى والشفاء ، وفى أتباعه الرشد والهدى ، ومن يقوم قوله لدينا مقام قول الأئمة الأولى أبى عبد الله أحمد بن حنبل ، فإن أبا إسماعيل الترمذى حدثنى قال سمعت أبا عبد الله أحمد بن حنبل يقول : اللفظية جماعة . تقول الله ، حتى تسمع كلام الله ممن يسمع ، ثم سمعت جماعة من أصحابنا يذكرون عنه أنه كان يقول : من قال لفظى بالقرآن مخلوق فهو جهمى ، ومن قال هو غير مخلوق فهو مبتدع ، ولا قول فى ذلك عندنا يجوز أن نقوله غير قوله : إذ لم يكن لنا فيه إمام نأتم به سواه ، وفيه الكفاية والمقنع ، وهو : الامام المتبع . وأما القول فى الاسم أهو المسمى أم هو غير المسمى فإنه من الحمقات الحادثة التى لا أثر فيها فيتتبع ، ولا قول من إمام فيستمع ، فالخوض فيه شين والصمت عنه زين اه .

ذكر ماوقفت عليه من كلام أبى سليمان أحمد بن محمد الخطابى فى ذلك رأيت له رسالة فى الغنية عن الكلام .

كلام أبى أحمد بن محمد الخطابى

فى رسالته الغنية عن الكلام

قال فى أولها ، عصمنا الله وإياك أخى من الأهواء المضلة والآراء المغوية والفتن المحيرة ، ورزقنا وإياك الثبات على السنة ، والتمسك بها ولزوم الطريقة المستقيمة التى درج عليها السلف ، وانتهجها بعدهم صالحوا الخلف وجنبنا وإياك مداحض البدع وثنينات طرقها العادلة عن نهج الحق وسواء الواضحة ، وأعاذنا

وإياك من حيرة الجهل وتعاطى الباطل ، والقول بما ليس لنا به علم والدخول فيما لا يعنينا ، والتكلف لما قد كفينا الخوض فيه ونهينا عنه . ونعمنا وإياك بما علمنا ، وجعله سببا لنجاتنا ، ولا جعله وبالا علينا برحمته . وقفت على مقالك أخى وليك الله بالحسنى ؛ وما وصفته من أمر ناحيتك ، وما ظهر بها من مقالات أهل الكلام وخوض الخائضين فيها ، وميل بعض منتحلى السنة اليها واغترارهم بها . أو اعتذارهم فى ذلك بأن الكلام وقاية للسنة ، وجنة لها يذب به عنها ، ويذاد بسلاحه عن حرمها ، وفهمت ما ذكرته من ضيق صدرك بمجالسهم ، وتعذر الأمر عليك فى مفارقتهم ، لأن موقفك بين أن تسلم لهم مايدعونه من ذلك فتقبله ؛ وبين أن تقابلهم على مايزعمونه فترده وتنكره ، وكلا الأمرين يصعب عليك . أما القبول فلأن الدين يمنعك منه ، ودلائل الكتاب والسنة تحول بينك وبينه . وأما الرد والمقابلة ، فلأنهم يطالبونك بأدلة العقول . . ويؤاخذونك بقوانين الجدل ولا يقنعون منك بظواهر الأمور . وسألتنى أن أمدك بما يحضرنى فى نصرة الحق من علم وبيان . وفى رد مقالة هؤلاء القوم من حجة وبرهان ، وأن أسألك فى ذلك طريقة لا يمكنهم دفعها ، ولا يسوغ لهم من جهة العقل جحدها وإنكارها ، فرأيت إسعافك به لازما فى حق الدين . وواجب النصيحة لجماعة المسلمين فإن الدين النصيحة . واعلم يا أخى أدام الله سعادتك أن هذه الفتنة قد عمت اليوم ، وشملت وشاعت فى البلاد واستفاضت ، فلا يكاد يسلم من رهج غبارها إلا من عصمه الله تعالى . وذلك مصداق قول النبى « صم » إن الدين بدا غريبا ، وسيعود كما بدا ، فطوبى للغرباء . فنحن اليوم فى ذلك الزمان وبين أهله فلا(١) تنكر مانشاهده منه . وسلوا الله العافية

---

(١) فى الاصل منكر ، ولعلها تنكر .

من البلاء ، وأحمده على ما وهب لك من السلامة ، وحاطك به من الرعاية وجميل الولاية . ثم إنى تدبرت هذا الشأن ، فوجدت عظم السبب فيه أن الشيطان صار اليوم بلطيف حيلته . يسول لكل من أحس من نفسه بزيادة فهم وفضل ذكاء وذهن ، ويوهمه أنه إن رضى فى عمله ومذهبه بظاهر من السنة . واقتصر على واضح بيان منها كان أسوة للعامة وعد واحدا من الجمهور والكافة ، فإنه قد ضل فهمه ، واضمحل لفظه وذهنه . فحركهم بذلك على التنطع فى النظر والتبدع لمخالفة السنة والأثر ليبينوا بذلك من طبقة الدهماء ، ويتميزوا فى الرتبة عمن يرونه دونهم فى الفهم والذكاء ، فاختدعهم بهذه المحجة حتى استنزلهم عن واضح المحجة وأورطهم فى مشبهات تعلقوا بزخارفها وتاهوا عن حقائقها ، فلم يخلصوا منها إلى شفا نفس ولا قبلوها بيقين علم . ولما رأوا كتاب الله تعالى ينطق بخلاف ما انتحلوه ، ويشهد عليهم بباطل ما اعتقدوه ، ضربوا بعض آياته ببعض ، وتأولوها على ماسنح لهم فى عقولهم واستوى عندهم على ما وضعوه من أصولهم . ونصبوا العداوة لأخبار رسول الله « صم » ولسنته المأثورة عنه ، وردوها على وجوهها ، وأساءوا فى نقلتها القالة ، ووجهوا عليهم الظنون ، ورموهم بالتزندق . ونسبوهم إلى ضعف المنة وسوء المعرفة ، لمعانى مايروونه من الحديث ، والجهل بتأويله ولو سلكوا سبيل القصد ، ووقعوا عند ما انتهى بهم التوقيف . لوجدوا بردالتقى وروح القلوب ، ولكثرت البركة وتضاعف النماء ، وانشرحت الصدور ولأضاءت فيها مصابيح النور ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم . واعلم أدام الله توفيقك أن الأئمة الماضين والسلف المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام وهذا (١) النوع من النظر عجزا عنه ولا انقطاعا دونه ، وقد كانوا

(١) فى الاصل وهو ولعلها وهذا

ذوى عقول وافرة ، وأفهام ثاقبة . وقد كان وقع فى زمانهم هـذه الشبه(١) والآراء وهذه النحل والأهواء وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تحققوا من فتنتها ، وحذروه من سوء مغبتها . وقد كانوا على سنة من أمرهم وعلى بصيرة من دينهم لما هداهم الله له من توفيقه وشرح به صدورهم من نور معرفته . ورأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته ، وتوقيف السنة وبيانها غناء ، ومندوحة عما سواهما وأن الحجة قد وقعت بهما والعلة أزيحت بمكانهما . فلما تأخر الزمان باهله وفترت عزائمهم فى طلب حقائق علوم الكتاب والسنة وقلت عنايتهم بها ، واعترضهم الملحدون بشبههم والمتحذلقون بجدلهم ، حسبوا أنهم إن لم يردوهم عن أنفسهم بهذا النمط من الكلام ولم يدافعوهم بهذا النوع من الجدل ، لم يقووهم ولم يظهروا فى الحجاج عليهم فكان ذلك ضلة من الرأى وغبنا منه وخدعة من الشيطان والله المستعان . فان قال هؤلاء القوم فانكم قد أنكرتم الكلام ومنعتم استعمال أدلة العقول فما الذى تعتمدون فى صحة أصول دينكم ، ومن أى طريق تتوصلون إلى معرفة حقائقها . وقد علمتم أن الكتاب لم يعلم حقا وإن الرسول لم يثبت صدقه إلا بأدلة العقول ، وأنتم قد نفيتموها . قلنا إنا لا ننكر أدلة العقول والتوصل بها إلى المعارف . ولكنا لا نذهب فى استعمالها إلى الطريقة التى سلكتموها فى الاستدلال بالأعراض وتعلقها بالجواهر ، وانتلابها فيها على حدوث(٢) العالم وإثبات الصانع ونرغب عنها إلى ما هو أوضح بيانا وأصح برهانا ، وإنما هو الشىء أخذتموه عن الفلاسفة وتابعتموهم عليه . وإنما سلكت

---

(١) فى الاصل : الشبهه ولعلها الشبه

(٢) فى الاصل ـ حدث ولعلها حدوث

الفلاسفة هذه الطريقة لأنهم لا يثبتون النبوات ، ولا يرون لها حقيقة فكان أقوى شيء عندهم فى الدلالة على إثبات هـــذه الأمور ما تعلقوا به من الاستدلال بهذه الأشياء . فأما مثبتو النبوات فقد أغناهم الله تعالى عن ذلك وكفاهم كلفة المؤونة فى ركوب هذه الطريقة المنعرجة التى لا يؤمن العنت على راكبها ، والانقطاع على سالكها ، وبيان ما ذهب إليه السلف من أئمة المسلمين فى الاستدلال على معرفة الصانع وإثبات توحيده وصفاته ، وسائر ما ادعى أهل الكلام تعذر الوصول إليه إلا من الوجه الذى يذهبون إليه ، ومن الطريقة التى يسلكونها ويزعمون أن من لم يتوصل إليه من تلك الوجوه كان مقلدا غير موحد على الحقيقة . هو أن الله تعالى لما أراد إكرام من هداه لمعرفته(١) بعث رسوله محمدا « صم » بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا . وقال له « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته(٢) ، وقال « صم » فى خطبة الوداع وفى مقامات له شتى وبحضرته عامة أصحابه : ألا هل بلغت . وكان الذى أنزل إليه من الوحى وأمر بتبليغه هو كمال الدين وتمامه لقوله اليوم (أكملت لكم دينكم(٣)) فلم يترك «صم» شيئا من أمر الدين ،قواعده وأصوله وشرائعه وفصوله ، إلا بينه وبلغه على كماله وتمامه ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه، إذ لا خلاف بين فرق الأمة أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال . ومعلوم أن أمر التوحيد وإثبات الصانع لا تزال الحاجة ماسة اليه أبدا فى كل وقت وزمان ولو أخر عنه البيان، لكان التكليف واقعا بما لا سبيل للناس اليه وذلك فاسد

---

(١) فى الاصل : لمعرفة ولعلها لمعرفته

(٢) ٥ المائدة ٦٧ (٣) ٥ المائدة ٣

غير جائز. وإذا كان الأمر على ما قلناه وقد علمنا يقينا أن النبي «صم» لم يدعهم فى أمر التوحيد إلى الاستدلال بالأعراض، وتعلقها بالجواهر، وانقلابها فيها إذ لا يمكن أحدا من الناس أن يروى فى ذلك عنه ولا عن أحد أصحابه من هذا النمط حرفا واحدا فما فوقه، لا من طريق تواتر ولا أحاد، علم أنهم قد ذهبوا خلاف مذهب هؤلاء وسلكوا غير طريقتهم. ولو كان فى الصحابة قوم يذهبون مذاهب هؤلاء فى الكلام والجدال لعدوا فى جملة المتكلمين ولنقل إلينا أسماء متكلميهم كما نقل أسماء فقهائهم وقرائهم وزهادهم، فلما لم يظهر ذلك، دل على أنه لم يكن لهذا الكلام عندهم أصل وإنما ثبت عندهم أمر التوحيد من وجوه: أحدها ثبوت النبوة بالمعجزات التى أوردها نبيهم من كتاب قد أعياهم أمره وأعجزهم شأنه، وقد تحداهم به، وبسورة من مثله، وهم العرب الفصحاء والخطباء والبلغاء، فكل عجز عنه، ولم يقدر على شىء منه بوجه إما بأن لا يكون من قواهم ولا من طباعهم أن يتكلموا بكلام يضارع القرآن فى جزالة لفظه وبديع نظمه، وحسن معانيه، وأما أن يكون ذلك فى وسعهم وتحت قدرتهم طبعا وتركيبا، ولكن منعوه وصرفوا عنه ليكون آية لنبوته، وحجة عليهم فى وجوب تصديقه وإما أن يكون إنما عجزوا عن علم ما جمع فى القرآن من أنباء ما كان والأخبار عن الحوادث التى تحدث وتكون. وعلى الوجوه كلها فالعجز موجود، والانقطاع حاصل هذا إلى ما شاهدوه من آياته وسائر معجزاته المشهورة عنه الخارجة عن رسوم الطباع الناقضة للعادات كتسبيح الحصى فى كفه، وحنين الجزع لمفارقته، وزحف الجبل تحته وسكوته لما ضربه برجله وانجذاب الشجرة بأغصانها وعروقها إليه، وسجود البعير له، ونبوع الماء من أصابعه، حتى توضأ به بشر كثير، وربو الطعام اليسير بتبريكه فيه حتى أكل منه عدد جم. وإخبار

الذراع إياه بأنها مسمومة ، وأمور كثيرة سواها يكثر تعدادها ، وهى مشهورة ومجموعة فى الكتب التى انتسبت لمعرفة هذا الشأن . فلما استقر بما شاهدوه من هذه الأمور فى نفوسهم ، وثبت ذلك فى عقولهم صحت عندهم نبوته ، وظهرت عن غيره بينونته ، ووجب تصديقه على ما أنبأهم عنه من الغيوب ودعاهم اليه من أمر وحدانية الله تعالى وإثبات صفاته ، وإلى ذلك مما وجدوه فى أنفسهم ، وفى سائر المصنوعات ، من آثار الصنعة ، ودلائل الحكمة الشاهدة على أن لها صانعا حكيما عالما خبيرا ، تام القدرة ، بالغ الحكمة . وقد نبههم الكتاب عليه ، ودعاهم إلى تدبره وتأمله ، والاستدلال به على ثبوت ربوبيته ، فقال (وفى أنفسكم أفلا تبصرون (١)) ، إشارة إلى ما فيها من آثار الصنعة ، ولطيف الحكمة الدالين على وجود الصانع الحكيم ما ركب فيها من الحواس التى عنها يقع الإدراك ، والجوارح التى يتأثر بها القبض والبسط والأعضاء المعدة للأفعال التى هى خاصة بها ، كالأضراس الحادثة فيهم عند غنائهم عن الرضاع ، وحاجتهم إلى الغذاء فيقع بها الطحن له وكالمعدة التى اتخذت لطبخ الغذاء ، والكبد التى يسلك اليها صفاوته ، وعنها يكون انقسامه على الأعضاء فى مجارى العروق المهيأة لنفوذه إلى أطراف البدن ، وكالأمعاء التى اليها يرسب ثفل الغذاء وتمجه (٢) ، فيبرز عن البدن . وكقوله (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت ، وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت (٣)) . وكقوله (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب)(٤)

---

(١) ٥١ الذاريات ٢١ .

(٢) فى الاصل — ويمجه ، ولعلها وتمجه .

(٣) ٨٨ الغاشية ١٧ . (٤) ٣ آل عمران ١٩٠ .

وما أشبه ذلك من جلال الأدلة ، وظواهر الحجج التى يدركها كافة ذوى العقول ، وعامة من يلزمه حكم الخطاب مما يطول تتبعه واستقراؤه ، فعن هذه الوجوه ثبت عندهم أمر الصانع وكونه ، ثم تبينوا وحدانيته وعلمه وقدرته بما شاهدوه من اتساق أفعاله على الحكمة واطرادها فى سبلها وجريها على إدلالها . ثم علموا سائر صفاته توقيفا عن الكتاب المنزل الذى بان حقه . وعن قول النبى « صم » المرسل الذى قد ظهر صدقه . ثم تلقى جملة أمر الدين عنهم أخلافهم وأتباعهم كافة عن كافة ، قرنا بعد قرن ، فتناولوا ماسبيله الخبر منها تواترا واستفاضة على الوجه الذى تقوم به الحجة . وينقطع فيه العذر . ثم كذلك من بعدهم عصرا بعد عصر إلى آخر من تنتهى اليه الدعوة وتقوم عليه به الحجة . فكان ما اعتمده المسلمون فى الاستدلال من ذلك أصح وأبين وفى التوصل إلى المقصود به أقرب ، إذ كان التعلق فى أكثره إنما هو بمعان تدرك بالحس (١) وبمقدمات من العلم مركبة عليها لا يقع الخلف فى دلالتها . فأما الأعراض فان التعلق بها : إما أن يكون عسرا . وإما أن يكون تصحيح الدلالة من جهتها عسرا متعذرا . وذلك أن اختلاف الناس قد كثر فيها . فمن قائل ـ لاعرض فى الدنيا ناف لوجود الأعراض أصلا(٢) . وقائل : إنها قائمة بأنفسها لا تخالف الجواهر فى هذه الصفة إلى غير ذلك فى الاختلاف فيها . وأوردوا فى نفيها شبها قوية ، فالاستدلال بها والتعلق بأدلتها لا يصح إلا بعد التخلص من تلك الشبه والانفكاك عنها . والطريقة التى سلكناها سليمة من هذه الآفات بريئة من هذه العيوب . فقد بان ووضح فساد قول من زعم وأدعى من المتكلمين أن من لم يتوصل إلى معرفة الله وتوحيده من الوجه الذى

---

(١) فى الاصل: درك الحس ، ولعلها تدرك بالحس .
(٢) فى الاصل : ناف لا عرض فى الدنيا باق .

يصححونه فى الاستدلال فانه غير موحد فى الحقيقة ، لكنه مستسلم مقلد ، وإن سبيله سبيل الذرية فى كونها تبعا للآباء فى الإسلام . وثبت أن قائل هذا القول مخطىء وبين يدى الله ورسوله مقدم ، وبعامة الصحابة ، وجمهور السلف مزر ، وعن طريق السنة عادل ، وعن نهجها ناكب . فهذا قولهم ورأيهم فى عامة السلف وجمهور الأئمة وفقهاء الخلف . فلا تشتغل رحمك الله بكلامهم ولا تغتر بكثرة مقالاتهم فانها سريعة التهافت ، كثيرة التناقض . وما من كلام نسمعه لفرقة منهم إلا ولخصومهم عليه كلام يوازيه أو يقاربه . فكل بكل معارض وبعض ببعض مقابل ، وانما يكون تقدم الواحد منهم وفلجه على خصمه بقدر حظه من البيان وحذقة فى صنعة الجدل والكلام وأكثر مايظهر به بعضهم على بعض انما هو الزام من طريق الجدل على أصول مؤصلة ، ومناقضات على مقالات حفظوها عليهم ، فهم يطالبونهم بعودها وطردها ، فمذ تقاعد عن شىء منها سموه من طريق الجدل منقطعا وجعلوه مبطلا ، وحكموا بالفلج لخصمه عليه . والجدل لا يبين به حق . ولا تقوم به حجة . وقد يكون الخصمان على مقالتين مختلفتين . كلتاهما باطلة ، ويكون الحق فى ثالثة غيرهما فمناقضة أحدهما صاحبه غير مصحح مذهبه وان كان مفسدا به قول خصمه لأنهما مجتمعان معا فى الخطأ مشتركان فيه كقول الشاعر فيهم :

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقا وكل كاسر مكسور

وانما كان الأمر كذلك لأن واحدا من الفريقين لا يعتمد فى مقالته التى ينصرها أصلا صحيحا وانما هو أوضاع وآراء تتكافأ وتتقابل ، فيكثر المقال ويدوم الاختلاف ، ويقل الصواب . قال الله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) (١) . فأخبر سبحانه أن ما كثر فيه الاختلاف

---

(١) ٤ النساء ٨٢ .

فانه ليس من عنده . وهذا من أدل الدليل على أن مذاهب المتكلمين فاسدة لكثرة ما يوجد فيها من الاختلاف المفضى بهم إلى التكفير والتضليل ، وذلك صفة الباطل الذى أخبر الله سبحانه عنه . ثم قال فى صفة الحق (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذاهو زاهق(٢) . فان قيل: ان دلائل النبوة ومعجزات النبى « صم » ما عدا القرآن إنما نقلت إلينا من طريق الآحاد دون التواتر ، والحجة لا تقوم بنقل الآحاد على من كان فى الزمان المتأخر لجواز وقوع الغلط فيها واعتراض الآفات من الكذب وغيره عليها . قيل هذه الأخبار وإن كان شروط التواتر فى آحادها معدومة ، فان جملتها راجعة من طريق المعنى إلى التواتر، ومتعلقة به حينا لأن بعضها يوافق بعضا ويجانسه إذ كل ذلك واقع تحت الاعجاز ، والأمر المزعج للخواطر ، الناقض لمجرى العادات . ومثال ذلك : أن يروى قوم أن حاتم طىّ وهب لرجل مائة من الإبل . ويروى آخرون أنه وهب لرجل آخر ألفا من الغنم . وآخرون أنه وهب لآخر عشرة أرؤس من الخيل والرقيق ، وما يشبه ذلك ، حتى يكثر عدد ما يروى منه ، فهو وإن لم يثبت التواتر فى كل واحد منها نوعا نوعا فقد ثبت التواتر فى جنسها ، فقد حصل من جملتها العلم الصحيح بأن حاتما سخى: كذلك هذه الأمور فان لم تثبت أفرادا أعيانها تواترا فقد ثبتت برواية الجم الغفير الذى لا يحصى عددهم ، ولا يتوهم التواطؤ فى الكذب عليهم أنه جاء بمعنى معجز للبشر خارج عما فى قدرتهم فصح بذلك أمر نبوته ، وبالله التوفيق . فان قيل فيجب على هذه المقدمة التى قدمتموها : أن لا يكون الايمان بالله ، ولا معرفة وحدانيته واجبا على من يعقل قبل أن يبعث اليه رسول ، وأن

---

(١) ٢١ الانبياء ١٨ .

لا يكون بتركه مؤخذا وعليه معاقبا ، قيل كذلك نقول : وعليه دل قوله سبحانه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) (١) ، وقوله حكاية عمن استحق العقوبة على ترك الايمان به وبالبعث (ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى) (٢) . فأقام الحجة عليهم ببعثه الرسل . فلو كانت الحجة لازمة بنفس العقل لم تكن بعثة الرسل شرطا لوجوب العقوبة . وقال « صم » أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ؛ فدل على أنه الداعى الى الايمان وصح أن الدعوة له والحجة إنما تقوم به .

هذا آخر كلام الخطابى ، وكان اماما فى الفقه واللغة وغيرها . توفى فى ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة .

ذكر كلام أبى القاسم اللالكائى

فى كتابه أصول السنة

قال فى أول كتابه أصول السنة (٣) . أما بعد : فان أوجب ماعلى المرء معرفة اعتقاد الدين ، وما كلف الله عباده من فهم توحيده وصفاته وتصديق رسله بالدلائل واليقين ، والتوصل الى طرقها ، والاستدلال عليها بالحجج والبراهين ، وكان من أعظم مقول ، وأوضح حجة ومعقول كتاب الله الحق المبين . ثم قول رسول الله « صم » وصحابته الأخيار والمتقين ، ثم ما أجمع

---

(١) ١٧ الاسراء ١٥ . (٢) ٣٩ الزمر ١١١ .

(٣) وللالكائى كتاب آخر هو « شرح السنة » التبصير فى الدين ص ٤٠ ـ هامش ٤ (طبعه الشيخ محمد زاهد بن الحسن الكوثرى سنة ١٣٥٩ هـ) .

عليه السلف الصالحون ، ثم التمسك بمجموعها والمقام عليها إلى يوم الدين ، ثم الاجتناب عن البدع والاستماع اليها مما أحدثها المضلون . فهذه الوصايا الموروثة المتبوعة ، والاثار المحفوظة المنقولة ، وطرائق الحق المسلوكة ، والدلائل اللائحة المشهورة ، والحجج الباهرة المنصورة ، التى عملت عليها الصحابة والتابعون ، ومن بعدهم من خاصة الناس وعامتهم من المسلمين . واعتقدوها حجة فيما بينهم وبين الله رب العالمين . ثم من اقتدى بهم من الأئمة المهتدين ، واقتفى آثارهم من المتبعين ، واجتهد فى سلوك سبيل المتقين وكان مع الذين اتقوا والذين هم محسنون . فمن أخذ فى مثل هذه المحجة وداوم بهذه الحجج على منهاج الشريعة أحسن فى دينه التبعة ، فى العاجلة والاجلة . وتمسك بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، واتقى بالجنة التى يتقى بمثلها ، فيتحصن بجملتها . ويستعجل بركتها ، ويحمد عاقبتها فى المعاد والمآل . ومن أعرض عنها ، وابتغى الحق فى غيرها مما يهواه ، أو يروم سواها فيما تعداه أخطأ فيما اختار بغيته وأغواه ، ومسك به سبل الضلالة ، وأرداه فى مهاوى الهلكة فيما يعترض على كتاب الله وسنة رسوله ، بضرب الأمثال ، ودفعها بأنواع المحال ، والحيدعنهما بالقيل والقال ، مما لم ينزل الله به من سلطان ولا عرفه أهل التأويل واللسان . ولا انشرح له صدر موحد عن فكر أو عيان . فقد استحوذ عليه الشيطان ، وأحاط به الخذلان ، وأغراه بعصيان الرحمن ، حتى كابر نفسه بالزور والبهتان فهو دائب الفكر فى تدبير مملكة الله بعقله المغلوب ، وفهمه المقلوب ، بتقبيح القبيح من حيث وهم ، أو بتحسين الحسن بظنه ، فهو راكض ليله ونهاره فى الرد على كتاب الله وسنة رسوله ، والطعن عليهما(١) ومخاصما بالتأويلات البعيدة فيهما أو مسلطا رأيه على مالا

---

(١) فى الاصل ـ أو ـ ولعلها مزيدة .

يوافق مذهبه بالشبهات المخترعة الركيكة حتى يتسق الكتاب والسنة على مذهبه وهيهات أن يتفق . ولو أخذ سبيل المؤمنين وسلك مسلك المتبعين، لبنى مذهبه عليهما واقتدى بهما، ولكنه مصدود ، وعن الخير مصروف ، فهذه حالته إذا نشط للمحاورة فى الكتاب والسنة . فأما إذا رجع إلى أصله وما بنى بدعته عليه اعترض عليهما بالجحود والإنكار ، وضرب بعضها ببعض من غير استبصار ، واستقبل أجلهم ببهت الجدل والنظر من غير افتكار . وأخذ فى الهزء والتعجب من غير اعتبار ،استهزاء بأيات الله وحكمته، واجتراء على دين رسول الله وسنته ، وقابلهما برأى النظام(١) والعلاف(٢) والجبائى(٣) وابنه(٤) الذين هم قلدة دينه . قوم لم يتدينوا بمعرفة آيه من كتاب الله ، ولم يتفكروا فى معنى آية ففسروها أو تأولوها ، على معنى إتباع من سلف صالح علماء الأمة إلا على ما أحدثوا من آرائهم الحديثة ، ولا أغبرت أقدامهم فى طلب سنة أو عرفوا من شرائع الإسلام مسألة . فيعد رأى هؤلاء حكمة وعلما وحججا وبراهين . ويعد كتاب الله وسنة رسوله حشوا وتقليدا ، وحملتهما جهالا . ثم تخطئة المسلمين . وإنما وجه خطئهم عندهم إعراضهم عما نصبوا من آرائهم لنصرة جدلهم وترك أتباعهم لمقالتهم واستحسانهم لمذاهبهم فهو كما قال الله

---

(١) النظام : أبو اسحق إبراهيم بن سيار — فيلسوف المعتزلة العظيم — وأحد مفكرى الاسلام الممتازين توفى فى حدود سنة ٢٣١ هـ — ترجمة —المنية والأمل — ص ٢٨ — ٣٠

(٢) العلاف — محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدى — من فلاسفة المعتزلة المشهورين — اختلف فى وفاته — فقيل ٢٣٠ — وقيل ٢٢٧ — وفيات الاعيان لابن خلكان حـ ١ ص ٦٧٣ (طبعة باريس ١٨٣٨ م) المنية والأمل — ص ٢٥ — ٢٨

(٣) الجبائى — أبو على محمد بن عبد الوهاب أحد فلاسفة المعتزلة المشهورين أيضا — توفى سنة ٣٠٣ هـ المنية ص ٤٥

(٤) ابنه — أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي توفى سنة ٣٢١ — المنيه —ص٥٤—٥٨

تعالى (ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق(١)) ثم ماقرفوا به(٢) المسلمين من التقليد والحشو ، ولو كشف لهم عن حقيقة مذاهبهم كانت أصولهم المظلمة وآراؤهم المحدثة وأقاويلهم المنكرة بالتقليد أليق ، وبما انتحلوها من الحشو أخلق ، إذ لا استناد له فى تمذهبه إلى شرع سابق ، ولا استناد لما يزعمه إلى قول سلف الأمة باتفاق مخالف أو موافق. إذ فخره على مخالفيه بحذقه واستخراج مذاهبه بعقله وفكره من الدقائق ، وإنه لم يسبقه إلى بدعته إلا منافق مارق ، أو معاند للشريعة مشاقق . فليس بحقيق(٣) من هذه أصوله أن يغيب على من تقلد كتاب الله وسنة رسوله واقتدى بهما وأذعن لهما واستسلم لأحكامهما ، ولم يعترض عليهما بظن أو تخرص أو استحالة أن (٤) يطعن عليه ، لأنه باجماع المسلمين على طريق الحق أقوم ، وإلى سبيل الرشاد أهدى وأعلم ، وبنور الاتباع أسعد ، ومن ظلمة الابتداع وتكلف الاختراع أبعد ، وأسلم من الذى لا يمكنه التمسك بكتاب الله إلا متأولا ، ولا الاعتصام بسنة رسوله إلا منكرا متعجبا ولا الانتساب إلى الصحابة والتابعين والسلف الصالحين إلا متمسخرا مستهزئا ، لا شىء عنده إلا مضغ الباطل والتكذيب على الله ورسوله والصالحين من عباده ، وإنما دينه الضجاج ، والبقباق ، والصياح ، واللقلاق . ثم إنه من حين حدثت هذه الآراء المختلفة فى الإسلام ، وظهرت هذه البدع من قديم الأيام ، وفشت

---

(١) ٢٢ الحج ٨

(٢) فى الاصل : خرنوا — ولعلها قرفوا .

(٣) فى الاصل — تحقيق ولعلها بحقيق .

(٤) فى الاصل — إن — ولعلها — وإن .

فى خاصة الناس والعوام، لم تردعوتهم انتشرت فى عشر منابر من منابر الإسلام متوالية ، ولا أمكن أن تكون كلمتهم بين المسلمين عاليه ، أو مقالتهم فى الإسلام ظاهرة ، بل كانت داحضة وضيعة مهجورة ، وكلمة أهل السنة ظاهرة ، ومذاهبهم كالشمس نائرة . وكان أول ما ظهر من هذه البدع التنازع فى القدر حتى سئل عبد الله بن عمر ، فروى عن رسول الله « صم » الخبر بإثبات القدر والإيمان به ، وحذر من خلافه وكذلك عرض على ابن عباس وأبى سعيد الخدرى وغيرهما فصنعا مثل ذلك ، وحث العلماء على اجتناب هؤلاء ، ونبهوا المسلمين عن مكالمتهم ، خوفا أن يضلوا مسلما عن دينه بشبهة ، وامتحان (١) ، أو بزخرف قول من لسان . فمضت على هذا القرون يتواصل الأولون للاخرين حتى ضرب الدهر ضرباته ، وأبدى من نفسه حدثاته ، وظهر قوم أجلاف ، زعموا أنهم لمن قبلهم أخلاف ، وادعوا أنهم أكثر منهم فى المحصول ، وفى حقائق العقول ، وأهدى إلى التحقيق ، وأحسن نظرا منهم فى التدقيق ، وأن المتقدمين تفادوا من النظر لعجزهم ، ورغبوا عن مكالمتهم لقلة فهمهم ، وأن نصرة مذهبهم فى الجدال معهم ، حتى أبدلوا من الطيب خبيثا ، ومن القديم حديثا ، وعدلوا عما كان عليه رسول الله « صم » وبعثه الله به ، وأوجب عليه دعوة الخلق اليه ، وامتن على عباده بإتمام نعمته عليهم بالهداية إلى سبيله ، فقال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به) (٢) ، فوعظ الله عباده بكتابه ، وحثهم على اتباع سنة رسوله ليبين لهم حكمته ، ويدعو إلى دينه بكتابه وسنته

---

(١) فى الاصل ــ وامتحانا ــ ولعلها وامتحان .

(٢) ٢ البقرة ٢٣١ .

فقال فى آية أخرى (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) (١) ، لا بالجدال والخصومة ، فرغبوا عنها وعولوا على غيرها ، فسلكوا بأنفسهم مسلك المضلين ، وخاضوا مع الخائضين ، ودخلوا فى ميدان المتحيرين ، وابتدعوا من الأدلة ما هو خلاف الكتاب والسنة رغبة للغلبة وقهر المخالفين للمقابلة ثم اتخذوها دينا واعتقادا [بعد (٢)] ما كانت دلائل الخصومات والمغايظات وضللوا من لا يعتقد ذلك من المسلمين ، وتسموا بالسنة والجماعة ومن تحيز عنهم ، وسموه بالجهل والغباوة ، فأجابهم إلى ذلك : من لم يكن له قدم فى معرفة السنة ، ولم يسع فى طلبها بما يلحق فيها من المشقة ، وطلب لنفسه الدعة والراحة . واقتصر على اسمه دون رسمه لاستعجال الرياسة ومحبة اشتهار (٣) الذكر عند العامة ، والتلقب بإمام أهل السنة ، وجعل دأبه : الاستخفاف بنقلة الأخبار ، وتزهيد الناس أن يتدينوا بالآثار بجهله بطرقها وصعوبة المرام بمعرفة معانيها وقصور فهمه عن مواقع الشريعة منها ورسوم التدين بها . حتى عفت رسوم الشرائع الشريفة ، ومعانى الأسانيد القديمة ، وفتحت دواوين الأمثال والشبه ، وطويت دلائل الكتاب والسنة ، وانقرض من كان يتدين بحججها ، للأخذ بالثقة ، ويتمسك بها للضنة ، ويصون سمعه عن هذه البدع المحدثة . وصار كل من أراد صاحب مقالة ، ووجد على ذلك الأصحاب والأتباع ، وتوهم أنه ذاق حلاوة السنة والجماعة بتفادى بدعته ، وكلا أنه كما ظنه ، أو خطر بباله . إذ أهل السنة لا يرغبون عن طرائقهم من الاتباع ، وإن نشروا بالمناشير ، ولا يستوحشون لمخالفة أحد

---

(١) ١٦ النحل ١٢٥ .

(٢) هنا كلمة فى طرف صحيفة الاصل مقطوعة ، لعلها بعد .

(٣) فى الاصل اجتهاد ؟ ولعلها اشتهار .

بزخرف قول من غرور أو بضرب أمثال زور . فما جنى على المسلمين جناية أعظم من مناظرة المبتدعة . ولم يكن لهم قهر ولا ذل أعظم مما تركهم السلف على تلك الحالة (١) يموتون من الغيظ كمدا ودردا ، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلا ، حتى جاء المغرورون ففتحوا لهم اليها طريقا، وصاروا لهم إلى هلاك الاسلام دليلا، حتى كثرت بينهم المشاجرة . وظهرت دعوتهم بالمناظرة وطرقت أسماع من لم يكن عرفها من الخاصة والعامة ، حتى تقابلت الشبه فى الحجج ، وبلغوا من التدقيق فى اللجج ، فصاروا أقرانا وأخدانا ، وعلى المداهنة خلانا وإخوانا، بعد أن كانوا فى الله أعداء وأضدادا ، وفى الهجرة فى الله أعوانا ، يكفرونهم فى وجوههم عيانا ، ويلعنونهم جهارا . وشتان ما بين المنزلتين ، وهيهات ما بين المقامين . ونسأل الله أن يحفظنا من الفتنة فى أديانا ، وأن يمسكنا بالاسلام والسنة ويعصمنا بهما بفضله ورحمته . إنه على ما يشاء قدير . فهلم الآن إلى تدين المتبعين ، وسيرة المتمسكين ، وسبيل المقتدين بكتاب الله وسنته ، والمتأدبين بشرائعه وحكمته (الذين قالوا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين) (٢) وتنكبوا سبيل المكذبين بصفات الله وتوحيد رب العالمين . فاتخذوا كتاب الله إماما وآياته فرقانا . ونصبوا الحق بين أعينهم عيانا ، وسنن رسول الله « صم » جنة وسلاحا . واتخذوا طرقها منهاجا ، وجعلوها برهانا فلقوا الحكمة . ووقوا من شر الهوى والبدعة لامتثالهم أمر الله تعالى فى اتباع الرسول ، وتركهم الجدال بالباطل ليدحضوا به الحق . يقول الله تعالى فيما يحث على اتباع دينه والاعتصام بحبله

---

(١) فى الاصل الجملة ـ ولعلها الحالة .

(٢) ٣ آل عمران ٥٣ .

والاقتداء برسوله « صم » (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا . وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) (١) . وقال تبارك وتعالى (واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم) (٢) . وقال تعالى (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله . ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (٣) . وقال (فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه . أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم الألباب) (٤) . وقال تعالى (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم ، والله غفور رحيم) (٥) . وقال تعالى (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى . وسبحان الله وما أنا من المشركين) (٦) . ثم أوجب الله طاعته وطاعة رسوله ، فقال (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون) (٧) . وقال تعالى (من يطع الرسول فقد أطاع الله) (٨) . وقال (وإن تطيعوا تهتدوا) (٩) وقال تعالى (ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) (١٠) . وقال (من يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون) (١١) . وقال تعالى (فإن تنازعتم فى شىء فردوه الى الله والرسول) (١٢) . قيل فى تفسيره الى

---

(١) ٤ النساء ١٤٦ .
(٢) ٣٩ الزمر ٥٥
(٣) ٦ كنعان ١٥٣ .
(٤) ١٣٩ الزمر ١٧ — ١٨ .
(٥) ٣ آل عمران ٣١ .
(٦) ١٢ يوسف ١٠٨ .
(٧) ٨ الانفال ٢٠ .
(٨) ٤ النساء ٨٠ .
(٩) ٢٤ النور ٥٤ .
(١٠) ٣٣ الاحزاب ٧١ .
(١١) ٢٤ النور ٥٢ .
(١٢) ٤ النساء ٥٩ .

الكتاب والسنة . ثم حذرهم من خلافه والاعتراض عليه ، فقال (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) (١) . وقال تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) (٢) . وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) (٣) . وروى العرباض ابن سارية قال : وعظنا رسول الله « صم » موعظة دمعت منها الأعين . ووجلت منها القلوب . فقلنا يا رسول الله : موعظة مودع ، فما تعهد الينا ، فقال : قد تركتكم على البيضاء ، ليلها كنهارها (٤) لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك ، ومن يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا . فعليكم بما عرفتم من سنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، وعضوا عليها بالنواجذ ، واياكم ومحدثات الأمور ، فان كل محدثة ضلالة . وروى عبد الله بن مسعود قال : خط لنا رسول الله « صم » خطا ثم خط خطوطا يمينا وشمالا . ثم قال هذا سبيل على كل سبيل منها شيطان (٥) ؟ يدعو الله . ثم قرأ (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) (٦) . وعن ابن مسعود : اتبعوا ولا تبتدعوا : فقد كفيتم ، فلم نجد فى كتاب الله وسنة رسوله وآثار صحابته الا الحث على الاتباع وذم التكلف والاختراع . فمن اقتص هذه الآثار كان من المتبعين . وكان أولاهم بهذا الاسم وأحقهم بهذا الرسم .

---

(١) ٤ النساء ٦٥ (٢) ٣٣ الاحزاب ٣٦ .
(٣) ٢٤ النور ٦٣
(٤) فى الاصل : نهارها . ولعلها كنهارها .
(٥) هكذا فى الاصل (٦) ٦ الانعام ١٥٣ .

أصحاب الحديث لاختصاصهم برسول الله «صم» واتباعهم لقوله، وطول ملازمتهم له وتحملهم علمه وحفظهم أنفاسه وأفعاله. فأخذوا عنه الاسلام مباشرة، وشرائعه مشاهدة، وأحكامه معاينة من غير واسطة، ولا سفير بينهم وبينه واصله فحاولوها عيانا. وحفظوا عنه شفاها. وتلقفوه من فيه رطبا، وتلقنوه من لسانه عذبا، واعتقدوا جميع ذلك حقا. وأخلصوا بذلك من قلوبهم يقينا. فهذا دين أخذ أوله عن رسول الله «صم» مشافهة لم يشبه لبس ولا شبهة. ثم نقلها العدول عن العدول من غير تحايل ولا ميل. ثم الكافة عن الكافة، والضافة عن الضافة، والجماعة عن الجماعة. أخذ كف بكف؛ وتمسك خلف بسلف، كالحروف يتلو بعضها بعضا، ويتسق أخراها على أولاها رصفا ونظما. فهؤلاء الذين تمهدت بنقلهم الشريعة؛ وانحفظت بهم أصول السنة؛ فوجبت بذلك لهم المنة على جميع الأمة والدعوة لهم من الله بالمعونة، فهم حملة علمه؛ ونقلة دينه؛ وسفرته بينه وبين أمته؛ وأمناؤه فى فى تبليغ الوحى عنه؛ فحرى أن يكونوا أولى الناس به فى حياته ووفاته. وكل طائفة من الأمم مرجعها اليهم فى صحة حديثه وسقيمه؛ ومعولها عليهم فيما يختلفون فى أمره؛ ثم كل من اعتقد مذهبا فإلى صاحب مقالته التى أخذ بها ينتسب؛ والى رأيه يستند الا أصحاب الحديث؛ فإن صاحب مقالتهم رسول الله «صم» فهم إليه ينتسبون؛ والى علمه يستندون؛ وبه يستدلون؛ واليه يفزعون؛ وبرأيه يقتدون؛ وبذلك يفتخرون؛ وعلى أعداء سنته بقربهم منه يصولون؛ فمن يوازيهم فى شرف الذكر؛ أو يباهيهم فى ساحة الفخر؛ وعلو الاسم؛ اذ اسمهم مأخوذ من معانى الكتاب والسنة يشتمل عليها لتحققهم بها أولاختصاصهم بأحدها؛ فهم مترددون فى انتسابهم الى الحديث بين ماذكر الله سبحانه فى كتابه، فقال تعالى ذكره (الله أنزل أحسن الحديث) فهو القرآن

فهم حملة القرآن ، وأهله ؛ وقراؤه ، وحفظته . وبين أن ينتموا إلى حديث رسول الله « صم » ، فهم نقلته وحملته . فلا شك أنهم يستحقون هذا الاسم لوجود المعنيين فيهم لمشاهدتنا أن اقتباس الناس الكتاب والسنة فيهم واعتماد البرية فى تصحيحها عليهم لأنا ما سمعنا عن القرون التى قبلنا ولا رأينا نحن فى زماننا مبتدعا رأس فى إقراء القرآن ، وأخذ الناس عنه فى زمن من الأزمان ولا ارتفعت لأحد منهم راية فى رواية حديث رسول الله « صم » فيما خلا من الأيام ، ولا اقتدى بهم أحد فى دين الله ، ولا شريعة من شرائع الاسلام فالحمد لله الذى كمل لهـــذه الطائفة سهام الاسلام ، وشرفهم بجوامع هذه الأقسام ، وميزهم من جميع الأنام حيث أعزهم الله بدينه ، ورفعهم بكتابه ، وعلا ذكرهم بسنته ، وهداهم الى طريقته ؛ وطريقة رسوله . فهى الطائفة المنصورة ، والفرقة الناجية ، والعصبة الهادية ، والجماعة العادلة ، المتمسكة بالسنة التى لا تريد برسول الله « صم » بديلا . ولا عن قوله تبديلا . ولا عن سنته تحويلا ؛ لا يثنيهم عنها تقلب الأعصار والزمان ؛ ولا يلويهم عن سننها ابتداع من كاد الاسلام ليصد عن سبيل الله ويبغيها عوجا ؛ ويصدف عن طرقها جدلا ولجاجا ظنا منه كاذبا ، وتخمينا باطلا (١) إنه يطفى نور الله ؛ والله متمّ نوره ولو كره الكافرون . واغتاظ به الجاحدون فإنهم السواد الأعظم والجمهور الأضخم ، فيهم العلم والحكم ؛ والعقل والحلم ؛ والخلافة والسيادة ؛ والملك والسياسة ، وهم أصحاب الجمعات ؛ والمشاهد ؛ والجماعات ؛ والمساجد والمناسك والأعياد ؛ والحج ؛ والجهاد ، وباذلوا المعروف للصاد والوارد ؛ وعمار الثغور والقناطر الذين جاهدوا فى الله حق جهاده ، واتبعوا رسوله على منهاجه ؛ الذين أذكارهم فى الزهد مشهورة ، وأنفاسهم على الأوقات

---

(١) فى الاصل : باطنا — ولعلها باطلا .

محفوظة ، وآثارهم على الزمان متبوعة ، ومواعظهم للخلق زاجرة ، وإلى طرق الاخرة داعية . فحياتهم للخلق منبهة . ومسيرهم إلى مصيرهم لمن بعدهم (١) عبرة . وقبورهم مزارة ، ورموسهم على الدهر غير دارسة وعلى تطاول الأيام غير ناسية . يعرف الله إلى القلوب محبتهم ، ويبعثهم على حفظ مودتهم يزارون فى قبورهم كأنهم أحياء فى بيوتهم ، لينشر الله لهم بعد موتهم الأعلام ، حتى لا تندرس أذكارهم على الأعوام ، ولا تبلى أساميهم على الأيام . فرحمة الله عليهم ورضوانه ، وجمعنا وإياهم فى دار السلام . ثم إنه لم يزل فى كل عصر من الأعصار أمام من سلف ، أو عالم من خلف . قائما لله بحقه وناصحا لدينه فيما يصرف همته الى جميع اعتقاد أهل الحديث على سنن كتاب الله ورسوله وآثار صحابته ، ويجتهد فى تصنيفه ، ويتعب نفسه فى تهذيبه رغبة منه فى إحياء سنته وتجديد شريعته وتطرية ذكرهما على أسماع المتمسكين بهما من أهل ملته . أو لزجر غال فى بدعته ، أو متشيع يدعو الى ضلالته ، أو مفتتن بهما لقلة بصيرته . فأفرغت فى ذلك جهدى ، وأتعبت فيه نفسى رجاء ثواب الله واستنجاز موعده فى استبصار جاهل واستنقاذ ضال وتقويم عادل وهداية حائر . وأسأل الله التوفيق فيما أرومه والإقالة من الخطأ فيما أنحوه وأقصده . وقد كان تكررت مسألة أهل العلم إياى عودا وبدأ فى شرح اعتقاد مذاهب أهل الحديث قدس الله أرواحهم ، وجعل ذكرنا لهم رحمة ومغفرة ، فأجبتهم إلى مسألتهم لما رأيت فيه من الفائدة الحاصلة والمنفعة السنية التامة ، وخاصة فى هذه الأزمنة التى تناسى علماؤها رسوم مذاهب أهل السنة ، واشتغلوا عنها بما أحدثوا من العلوم الحديثة حتى ضاعت الأصول

---

(١) فى الاصل بعد . ولعلها ـ بعدهم .

القديمة التى أسست عليها الشريعة . وكان علماء السلف اليها يدعون ، والى طرقها يهدون ، وعليها يعولون . فجددت هذه الطريقة ليعرف معانيها وحججها ولا يقتصر على سماع اسمها دون رسمها . فابتدأت بشرح هذا الكتاب بعد أن تصفحت عامة كتب الأئمة الماضين رضى الله عنهم أجمعين ، وعرفت مذاهبهم ، وما سلكوا من الطرق فى تصانيفهم ليعرفوا به المسلمين وما نقلوا من الحجج فى هذه المسائل التى حدث الخلاف فيها بين أهل السنة ، وبين من انتسب إلى المسلمين ففصلت هذه المسائل . وبنيت فى تراجمها أن تلك المسألة متى حدث فى الاسلام الاختلاف فيها ، ومن الذى أحدثها وتقولها ليعرف حدوثها ، وأنه لا أصل لتلك المقالة فى الصدر الأول من الصحابة : ثم استدل على صحة مذاهب أهل السنة بما ورد فى كتاب الله تعالى فيها وبما روى عن رسول الله «صم»، فان وجدت فيهما جميعا ذكرتهما . وإن وجدت فى أحدهما دون الآخر ذكرته ، وإن لم أجد فيهما إلا عن الصحابة الذين أمر الله ورسوله أن يقتدى بهم، ويهتدى بأقوالهم، ويستضىء بأنوارهم لمشاهدتهم الوحى والتنزيل ومعرفتهم معانى التأويل احتججت بها . فان لم يكن فيها أثر عن صحابى فعن التابعين لهم بإحسان الذين فى قولهم الشفى والهدى والتدين ، بقولهم القربة إلى الله والزلفى . فإذا رأيناهم قد أجمعوا على شىء عولنا عليه . ومن أنكروا قوله أو ردوا عليه بدعته أو كفروه حكمنا به واعتقدناه . ولم يزل من لدن رسول الله « صم » إلى يومنا ، هذا قوم يحفظون هذه الطريقة ويتدينون بها: وانما هلك من حاد عن هذه الطريقة بجهله طرق الاتباع . وكان فى الإسلام من تؤخذ عنه هذه الطريقة قوم معدودون . أذكر أساميهم فى ابتداء هذا الكتاب لتعرف أساميهم، فيكثر الترحم عليهم والدعاء لهم ، لما حفظوا علينا هذه الطريقة ، وأرشدونا الى سنن هذه الشريعة . ولم آل جهدا فى تصنيف

هذا الكتاب ونظمه على سبيل السنة والجماعة . ولم أسلك فيه طريق التعصب على أحد من الناس . لأن من سلك طرق الأخبار فمن الميل بعيد، لأن ما يتدين به شرع مقول أو أثر منقول ، أو حكاية عن إمام مقبول . وانما الحيف يقع فى كلام من تكلف الاختراع ، ونصر الابتداع . فأما من سلك بنفسه مسلك الاتباع فالهوى والإحادة عنه بعيدة . ومن العصبية سليم . وعلى طرق الحق مستقيم . ونسأل الله دوام ما أنعم به علينا من اتباع السنة والجماعة وإتمامهما علينا فى ديننا ودنيانا وآخرتنا بفضله ورحمته . إنه على ما يشاء قدير .

ثم قال « باب » سياق ذكر من ترسم بالإمامة فى السنة والدعوة والهداية والهداية إلى طرق الاستقامة بعد رسول الله « صم » إمام الأئمة . فمن الصحابة أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان ، وعلى ، والزبير ، وسعد ابن أبى وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الرحمن بن عوف . وعبد الله بن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وأبىّ بن كعب ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعبدالله ابن عمرو بن العاص ، وعبد الله بن الزبير ، وزيد بن ثابت ، وأبو الدرداء ، وعبادة بن الصامت ، وأبو موسى الأشعرى ، وعمران بن حصين ، وعمار ابن ياسر ، وحذيفة بن اليمان ، وعقبة بن عامر الجهنى ، وسلمان ، وجابر ، وأبو سعيد الحدرى ، وأبو هريرة ، وحذيفة بن أسد الغفارى ، وأبو أمامة جعدى بن عجلان ، وجندب بن عبد الله ، وأبو مسعود عقبة بن عمرو ، وعمير بن حبيب بن حمامة ، وأبو الطفيل عامر بن وائلة ، وعائشة ، وأم سلمة .

ومن التابعين من أهل المدينة : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، والقاسم ابن محمد بن أبى بكر ، وسالم بن عبد الله بن عمر ، وسليمان بن بشار ، ومحمد ابن الحنفية ، وعلى بن الحسين بن على ، وابنه محمد بن على بن الحسين ، وعمر ابن عبد العزيز ، وكعب بن مانع الأحبار ، وزيد بن أسلم .

ومن الطبقة الثانية محمد بن مسلم الزهرى ، وربيعة بن أبى عبد الرحمن ، وعبد الله بن يزيد بن هرمز ، وزيد بن على بن الحسين ، وعبد الله بن حسين ، وجعفر بن محمد الصادق.

ومن الطبقة الثالثة : أبو عبد الله مالك بن أنس الفقيه ، وعبد العزيز بن سلمة . ومن بعدهم ابنه عبد الملك بن عبد العزيز ، وإسماعيل الماجشون بن أبى أويس ، وابو مصعب أحمد بن أبى بكر الزهرى . ومن عد علمه معهم يحيى بن أبى كثير اليمامى .

ومن أهل مكة أو من يعد منهم: عطاء وطاووس ومجاهد وابن أبى مليكة. ومن بعدهم من الطبقة : عمرو بن دينار ، وعبد الله بن طاووس ، ثم ابن جريج ، ونافع بن عمر الجمحى ، وسفيان بن عيينة ، وفضيل بن عياض ، ومحمد بن مسلم الطائفى ، ويحيى بن سليم الطايفى ، ثم ابو عبد الله محمد بن إدريس الشافعى الفقيه ، ثم عبد الله بن يزيد المقرى ، وعبد الله بن الزبير الحميدى .

ومن أهل الشام والجزيرة ، أو من يعد فيهما من التابعين عبد الله بن محيريز ، ورجاء بن حيوة ، وعبادة بن نسى ، وميمون بن مهران ، وعبد الكريم بن مالك الجزرى . ثم من بعدهم : عبد الرحمن بن عمر والأوزاعى ، ومحمد بن الوليد الزهرى ، وسعيد بن عبد العزيز التنوخى ، وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر ، وعبد الله بن شودب ، وأبو إسحق ابراهيم بن محمد الفزارى . ثم من بعدهم : أبو مسهر عبد الأعلى بن مسهر الدمشقى وهشام بن عمار الدمشقى . ومحمد بن سلمان المصيصى المعروف بلوين ؟

ومن أهل مصر حيوة بن شريح ، والليث بن سعد ، وعبد الله بن لهيعة . ومن بعدهم عبد الله بن وهب ، وأشهب بن عبد العزيز ، وعبد الرحمن بن القاسم ، وأبو ابراهيم إسماعيل بن يحيى المزنى ، وأبو يعقوب يوسف بن يحيى البويطى ،

والربيع بن سليمان المرادى ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى .

ومن أهل الكوفة : علقمة بن قيس ، وعامر بن شراجيل الشعبى، وأبو البحترى سعيد بن فيروز ، وابراهيم بن يزيد النخعى ، وطلحة بن مصرف ، وزيد بن الحارث ، والحكم بن عتيبة ، ومالك بن مغول ، وأبو حيان يحيى بن سعيد التيمى ، وعبد الملك بن أبجر ، وحمزة بن حبيب الزيات المقرى . ثم محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى ، وسفيان الثورى ، وشريك بن عبد الله القاضى ، وزايد بن قدامة ، وأبو بكر بن عياش ، وعبد الله بن إدريس ، وعبد الرحمن بن محمد بن المحاربى ، ويحيى بن عبد الملك بن أبى غنية ، ووكيع ابن الجراح ، وأبو أسامة حماد بن أسامة ، وجعفر بن عون ، ومحمد بن عبيد الطنافسى ، وأبو نعيم الفضل بن دكين ، وأحمد بن عبد الله بن يونس ، وأبو بكر بن أبى شيبة ، وأخوه عثمان . وأبو كرب محمد بن العلاء الهمدانى .

ومن أهل البصرة : أبو العالية رفيع بن مهران . والحسن ابن أبى الحسن البصرى ومحمد بن سيرين . وأبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمى . ومن بعدهم أبو بكر أيوب بن أبى تميمة السختيانى ، ويونس بن عبيد . وعبد الله بن عون . وسليمان التيمى . وأبو عمرو بن العلاء . ثم حماد بن سلمة . وحماد بن زيد . ويحيى بن سعيد القطان . ومعاذ بن معاذ . ثم عبد الرحمن بن مهدى . ووهب ابن جرير . ثم أبو الحسن على بن عبد الله جعفر بن المدينى . وعباس ابن عبد العظيم العنبرى . ومحمد بن بشار . وسهل بن عبد الله التسترى . ومن أهل واسط هشيم بن بشير الواسطى . وعمرو بن عون . وشاذ بن فياض . ووهب بن بقية . وأحمد بن سنان .

ومن أهل بغداد : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل . وأبو زكريا يحيى ابن معين . وأبو عبيد القاسم بن سلام . وأبو ثور ابراهيم بن خالد الكلبى .

وابو خيثمة زهير بن حرب ، والحسن بن الصباح البزاز . وأحمد بن ابراهيم الدورقى . ومحمد بن جرير الطبرى . وأحمد بن سليمان النجاد الفقيه . وابو بكر محمد بن الحسن النقاش المقرى . ومن أهل الموصل المعافى بن عمران الموصلى . ومن أهل خراسان أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك المروزى ، والفضل بن موسى السينانى ، والنضر بن محمد المروزى ، والنضر بن شميل المازنى ، ونعيم بن حماد المروزى ، وإسحق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بابن راهويه المروزى ، وأحمد بن سيار المروزى ، ومحمد بن نصر المروزى ويحيى بن يحيى النيسابورى ، ومحمد بن يحيى الدهلى ، ومحمد بن أسلم الطوسى ، وحميد بن زيحونة النسوى ، وأبو قدامة عبدالله بن سعيد السرخسى ، وعبد الله ابن عبد الرحمن السمرقندى ، ومحمد ابن اسماعيل البخارى ويعقوب بن سفيان النسوى ، وأبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى ، نزيل البصرة ، وأبو عبد الرحمن النسوى ، وأبو عيسى محمد بن عيسى الترمذى ، ومحمد بن اسحق بن خزيمة ، ومحمد بن عقيل البلخى . ومن أهل الرى : ابراهيم بن موسى الفرا ، وأبو زرعة عبيد الله بن عبد الكريم الرازى . وأبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلى ، وأبو عبد الله محمد بن مسلم بن واره ، وأبو مسعود أحمد بن الفرات الرازى . نزيل أصبهان ، ومن بعدهم : عبد الرحمن بن أبى حاتم ،

ومن أهل طبرستان : إسماعيل بن سعيد الشالنجى والحسين بن على الطبرى ، وأبو نعيم عبد الملك بن عدى الاسترابادى ، وعلى بن ابراهيم بن سلمة القطان القزوينى .

ثم قال : سياق ما روى عن النبى «صم» فى النهى عن مناظرة أهل البدع ، وجدالهم ، والمكالمة معهم ، والاستماع إلى أقوالهم الحديثة ، وآرائهم الخبيثة .

وأورد فيه جملة من الأحاديث السابقة من كتاب ذم الكلام ، وجملة من الآثار السابقة عن الصحابة والتابعين . ومما أورد فيه مما لم يتقدم ذكره ما أخرجه عن على بن أبى طالب قال : سيأتى قوم يجادلونكم فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله . وأخرج من طريق الأصمعى عن الخليل ابن أحمد (١) قال : قل ما كان جدل إلا أتى بعده جدل يبطله . وأخرج عن صالح المرى (٢) قال : قال هرم بن حيان . صاحب الكلام على إحدى منزلتين : إن قصر فيه خصم ، وإن أغرق فيه أثم . وأخرج من طريق منصور بن أبى مزاحم (٣) قال : حدثنى الثقة من أهل الكوفة قال : تقدم حماد بن أبى حنيفة (٤) إلى شريك بن عبد الله (٥) وهو قاض فى شهادة قال له شريك : لا أقبل شهادتك. قال : لم ؟ قال : أما أنى لم أطعن عليك فى بطن ، ولا فرج ، ولكن حتى تدع الخصومه فى الدين أجزت شهادتك . وأخرج عن الفضيل بن عياض قال : لا تجادلوا أهل الخصومات فانهم يخوضون فى آيات الله . وأخرج عن الأوزاعى قال : إذا أراد الله بقوم شرا ألزمهم الجدل ، ومنعهم العمل . وأخرج عن الحسن

---

(١) الخليل بن أحمد الفراهيدى نسبة الى فرهود . ولد تقريبا فى أوائل القرن الهجرى وتوفى حوالى ١٧٥ هـ أستاذ سيبويه — وواضع علم العروض . وصاحب كتاب العين (أبجد العلوم . لحسن صديق خان) حـ ٢ ص ٢٠١ طبعة الهند ١٢٩٦ .

(٢) صالح المرى : صالح بن بشير الزاهد أبو بشر المرى — قيل مات سنة ١٧٣ هـ ميزان الاعتدال ص ٤٥٤ حـ ١ .

(٣) منصور بن أبى مزاحم التركى مولى الازد . أبو نصر البغدادى الكاتب — توفى سنة ٢٣٥ . خلاصة تذهيب تهذيب الكمال (طبعة بولاق ١٣٠١) ص ٣٨٨ .

(٤) حماد بن أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى — ميزان — حـ ١ ص ٢٧٦ .

(٥) شريك بن عبد الله — النخعى . أبو عبد الله — قاضى الكوفة المشهور . مات سنة ١٧٧ هـ ميزان الاعتدال حـ ١ ص — ٢٤٥ — ٢٤٦ .

ابن عبد العزيز (١) قال : كان الشافعى ينهى النهى الشديد عن الكلام ويقول أحدهم إذاخالفه صاحبه قال : كفرت والعلم لله إنما قال : أخطأت . وأخرج عن ابن لال الفقيه قال : حدثنا عبد الرحمن بن حمدان قال : كان أبو على بن خالويه أقبل على الكلام وكنت أنهاه فلا ينتهى فجاءنى ذات يوم ، فقال : أنا تائب . فقلت أحدث شيء . قال نعم رأيت فى هذه الليلة كأنى دخلت البيت الذى نحن فيه فوجدت رائحة المسك فجعلت أتتبع الرائحة حتى وجدته يلوح من المحبرة . فقلت إن الخير فى الحديث، وأخرج عن مصعب الزبيرى(٢) قال : طلب رجل من اسحق بن أبى إسرائيل (٣) أن يناظره فى مسألة خلق القرآن فامتنع ، ثم قال : أما أنى أقدر على ذلك ، ولكنى أسكت كما سكت القوم قبلى ، وأنشد شعرا قيل من أكثر من عشرين سنة :

أأقعد بعد ما رجفت عظامى ... وكان الموت أقرب ما يلينى
أجادل كل معترض خصيم ... وأجعل دينه غرضا لدينى
وأترك ماعلمت لرأى غيرى ... وليس الرأى كالعلم اليقينى
وما أنا والخصومة وهى لبس ... تصرف فى الشمال وفى اليمين
وقد سنت لنا سنن قوام ... يلحن بكل فج أووجين
وكان الحق ليس به خفاء ... أغر كغرة الفلق المبين

---

(١) الحسن بن عبدالعزيز بن الوزير الجذامى أبوعلى الجروى — المصرى ثم البغدادى . مات بالعراق سنة ٢٥٧ هـ خلاصة تذهيب ٠٠٠٠ ص ٧٩ .

(٢) مصعب الزبيرى — هو مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت الزبيرى . توفى سنة ٢٣٦ ميزان الاعتدال حـ ٢ ص ١٧٣ .

(٣) اسحق بن أبى اسرائيل بن كامجر المروزى أبو معيوب . مات سنة ٢٤٦ هـ ميزا ٠٠٠ حـ ١ ص ٨٥ .

وما عوض لنا منهاج جهم (١) بمنهاج ابن آمنة الأمين
فأما ما علمت فقد كفانى وأما ما جهلت فجنبونى
فلست مكفرا (٢) أحدا يصلى ولم أجرمكموا أن تكفرونى

قال مصعب : رأيت أهل بلدنا ، يعنى أهل المدينة ينهون عن الكلام فى الدين . قال مصعب : وبلغنى عن مالك بن أنس أنه كان يقول : الكلام فى الدين كله أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه . ولا أحب الكلام إلا فيما كان تحته عمل . وأما الكلام فى الله : فالسكوت عنه ، لأنى رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام فى الدين إلا ما كان تحته عمل. وأخرج عن سفيان بن عيينه أنه كان ينشد قول ابن شبرمة :

إذا قلت جدوا فى العبادة واصبروا أصروا وقالوا الخصومة أفضل
خلاف لأصحاب النبى وبدعة وهم لسبيل الحق أعمى وأجهل

وأخرج عن الأصمعى أنه كان يقول إذا سمعته يقول الاسم غير المسمى فاشهد عليه بالزندقة .

هذا آخر ما لخصته من كتاب السنة للالكائى (٣) . واللالكائى هذا ، قال الذهبى فى العبر هو : أبو القاسم هبة الله بن الحسن الطبرى الحافظ الفقيه الشافعى تفقه على الشيخ أبى حامد ، وصنف كتبا . ومات فى رمضان سنة ثمان عشرة وأربعمائة .

---

(١) جهم بن صفوان الراسبي . مؤسس فرقة الجهمية المشهورة . وحوادثه وآراؤه وآراؤه معروفة فى كتب الفرق . قتل سنة ١٢٨ .

(٢) فى الاصل بمكثر . ولعلها مكفرا .

(٣) ذكر الذهبى أن اللالكائي صنف كتابا فى السنة تذكرة الحفاظ حـ ٣ ص ٢٨٣ ولعله هو هذا الكتاب .

كلام الآجرى « فى كتابه الشريعة »

ذكر ماوقفت عليه من كلام الحافظ أبى بكر الآجرى فى ذلك .

قال فى كتابه « الشريعة » (باب) ذكر ذم الجـــدال والخصومات فى الدين . وأورد فيه جمـــلة من الأحاديث ، والآثار السابقـة . ثم قال لمـا سمع هذا أهل العلم من التابعين ومن بعدهم من أئمة المسلمين لم يماروا فى الدين ولم يجادلوا وحذروا المسلمين المراء والجدل وأمروهم بالأخذ بالسنن وبما كان عليه الصحابة ، وهذا طريق أهل الحق ممن وفقه الله . وأخرج عن معن بن عيسى (١) قال : جاء رجل متهم بالإرجاء إلى مالك بن أنس فقال: يا أبا عبد الله اسمع منى شيئا أكلمك به وأحاجك قال فان غلبتنى ؟ قال اتبعنى . قال فان جاء رجل آخر فكلمنا فغلبنا ؟ قال نتبعه ، فقال مالك : ياعبد الله بعث الله محمداً « صم » بدين واحد وأراك تنتقل من دين إلى دين . قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل . وأخرج عن هشام بن حسان (٢) قال : جاء رجل إلى الحسن فقال يا أبا سعيد تعال حتى أخاصمك فى الدين ، فقال الحسن أما أنا فقد أبصرت دينى فإن كنت أنت أضللت دينك فالتمسه . وأخرج عن عبد الكريم الجزرى (٣) قال : ماخاصم ورع قط فى الدين . وأخرج عن وهب بن منبه قال : دع المراء والجدال فانك بين رجلين ، رجل هو أعلم منك فكيف تمارى وتجادل من هو أعلم منك ،

---

(١) معن بن عيسى بن يحيى الاشجعى ـ أبو يحيى القزاز المدنى ـ أحد أئمة الحديث توفى سنة ١٩٨ هـ خلاصة ... ٣٨٤

(٢) هشام بن حسان : أبوعبد الله الفردوسى البصرى مات سنة ١٤٨ ميزان ج ٢ ص ٢٥٢ — ٢٥٣

(٣) عبد الكريم الجزرى ـ عبد الكريم بن مالك الجزرى ميزان ج ١ ص ١٤٤

ورجل أنت أعلم منه ، فكيف تمارى وتجادل من أنت أعلم منه ولا يطيعك ثم قال الآجرى فان قال قائل فان جاء رجل قد علمه الله علما ، فجاءه رجل يسأله مسألة فى الدين ينازعه فيها ويخاصمه ، ترى له أن يناظره حتى يثبت عليه الحجة ، ويرد عليه قوله : قيل له هذا الذى نهينا عنه وهذا الذى حذرناه من تقدم من أئمة المسلمين ، فان قال فماذا يصنع ؟ قيل له إن كان الذى يسألك مسألة مسترشداً إلى طريق الحق لا مناظرا ، فأرشده بألطف ما يكون من البيان بالعلم من الكتاب والسنة وقول الصحابة وقول أئمة المسلمين ، وإن كان يريد مناظرتك ومجادلتك فهذا الذى كره لك العلماء فلا تناظره واحذره على دينك كما قال من تقدم من أئمة المسلمين إن كنت لهم متبعا ، فان قال فندعهم يتكلمون بالباطل ونسكت عنهم ، قيل له سكوتك عنهم وهجرتك لما تكلموا به أشد عليهم من مناظرتك لهم . كذا قال من تقدم من السلف الصالح من علماء المسلمين . ثم أخرج عن أيوب السختيانى أنه قال : لست براد عليهم أشد من السكوت . وأخرج عن ابن عباس قال : لا تجالس أهل الاهواء فان مجالستهم ممرضة (١) للقلوب . ثم قال الآجرى : ألم تسمع إلى قول أبى قلابة لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم فانى لا آمن أن يغمسوكم فى الضلالة أو يلبسوا عليكم فى الدين بعض ما لبس عليهم . أولم تسمع إلى قول الحسن : أما أنا فقد أبصرت دينى فان كنت أضللت دينك فالتمسه ، ألم تسمع إلى قول عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل . ثم قال بلغنى عن المهتدى لله أنه قال ما قطع أبى : يعنى الواثق إلا شيخ جىء به من المصيصة قال له : يا أمير المؤمنين أخبرنى عن هذا الذى تدعو الناس إليه

---

(١) فى الاصل هم رضه — ولعلها ممرضة .

أشيء دعا إليه رسول الله « صم » ؟ قال لا. قال فشيء دعا إليه أبو بكر الصديق قال لا . قال فشيء دعا إليه عمر بن الخطاب بعدهما ؟ قال لا . قال فشيء دعا إليه عثمان بعدهم ؟ قال لا. قال فشيء دعا إليه على بن أبى طالب بعدهم ؟ قال لا قال الشيخ : فشيء لم يدع إليه رسول الله « صم » ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على تدعو أنت الناس اليه ، ليس يخلو أن تقول علموه أوجهلوه ، فان قلت علموه : وسكتوا عنه ، وسعنا وإياك من السكوت ماوسع القوم ، وإن قلت جهلوه وعلمته أنا فيالكع ابن لكع تجهل النبى « صم » والخلفاء الراشدين شيئا تعلمه أنت وأصحابك . قال المهتدى : فرأيت أبى وثب قائما ودخل وهو يضحك . ثم جعل يقول : صدق ليس يخلو إما أن نقول علموه أوجهلوه فان قلناعلموه وسكتواعنه وسعنا من السكوت ماوسع القوم ، وإن قلنا جهلوه فكيف يجهل النبى « صم » وأصحابه شيئا نعلمه نحن وأصحابنا . ثم قال: إعطوا هذا الشيخ نفقة وأخرجوه عنا .

ثم قال الآجرى وبعد هذا فنأمر بحفظ السنن عن رسول الله « صم » وأصحابه والتابعين لهم باحسان وقول أئمة المسلمين مثل مالك والأوزاعى والثورى وابن المبارك وأحمد بن حنبل والقاسم بن سلام ، ومن كان على طريقة هؤلاء من العلماء ، ونبذ ماسواهم ولا نناظر ولا نجادل ولا نخاصم . وإذا لقينا صاحب بدعة فى طريق أخذنا فى طريق غيره ، وإذا حضر مجلسا نحن فيه قمنا منه ، هكذا أدبنا من مضى من سلفنا . ثم أخرج من طريق الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير قال:إذا لقيت صاحب بدعة فى طريق فخذ فى غيره . ثم قال :

« باب » تحذير النبى « صم » أمته الذين يجادلون بمتشابه القرآن وعقوبة الامام لمن يجادل فيه وأورد فيه حديث عائشة وقصة صبيغ . ثم قال لما رآه

عمر يسأل عن متشابه القرآن علم أنه مفتون قد شغل نفسه بما لا يعود عليه نفعه، وعلم أن اشتغاله بطلب علم الواجبات من الحلال والحرام وطلب علم سنن رسول الله « صم » أولى به . ثم قال :

« باب » ذكر هجرة أهل البدع والأهواء : ينبغى لكل من تمسك بالسنة أن يهجر جميع أهل الأهواء من الخوارج والقدرية والمرجئة والجهمية والمعتزلة والرافضية والناصبة وكل من نسبه أئمة المسلمين إلى أنه مبتدع بدعة ضلالة ، فلا ينبغى أن يكلمه ولا يسلم عليه ولا يجالس ولا يصلى خلفه ولا يزوج ، ولا يتزوج إليه ولا يشارك ولا يعامل ولا يناظر ولا يجادل ، بل يذل بالهوان له وإذا لقيته فى طريق أخذت فى غيرها إن أمكنك . فان قال قائل فلم لا أناظره وأجادله وأرد عليه قوله . قيل له لا يؤمن عليك أن تناظره وتسمع منه كلاما يفسد عليك قلبك ويخدعك بباطله الذى زين له الشيطان فتهلك أنت . وهذا الذى ذكرته لك قول من تقدم من أئمة المسلمين وموافق لسنة رسول الله « صم » . ثم أورد جملة من الأحاديث والآثار السابقة . ثم قال :

« باب » عقوبة الإمام والأمير لأهل الأهواء : ينبغى لإمام المسلمين ولأمرائه فى كل بلد إذا صح عنده مذهب رجل من أهل الأهواء ممن قد أظهره أن يعاقبه العقوبة الشديدة ، فمن استحق منهم أن يقتله قتله ومن [استحق(١)] أن يضربه ويحبسه وينفيه فعل به ذلك ، كما جلد عمر بن الخطاب صبيغا ونفاه وحرمه عطاءه وأمر الناس بهجرته وحرق على بن أبى طالب الزنادقة وقال :

لما سمعت القول قولا منكراً أججت نارى ودعوت قنبرا

---

(١) غير موجودة بالاصل وقد أضفتها ليستقيم المعنى .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة فى القدرية : أن استتبهم فان تابوا وإلافاضرب أعناقهم . وضرب هشام بن عبد الملك عنق غيلان (١) وصلبه ولم تزل الأمراء بعدهم فى كل زمان يعاقبون أهل الأهواء على حسب ما يرون ولا ينكره العلماء . ثم أخرج عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله « صم » اذاحدث فى أمتى البدع فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل ذلك منهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، فقيل للوليد بن مسلم أحد رواة الحديث : ما اظهار العلم ؟ قال اظهار السنة له .

هذا ماخصته من كتاب الآجرى ، وهو الإمام ابو بكر محمد بن الحسين البغدادى الحافظ صاحب التصانيف مات بمكة فى الحرم سنة ستين وثلاثمائة .

كلام أبى طالب المكى

فى « قوت القلوب »

ذكر ما وقفت عليه من كلام أبى طالب المكى فى ذلك

قال فى كتابه « قوت القلوب (٢) » (باب) ذكر العلم ، وطريقة السلف . وذم ما أحدث المتأخرون من الكلام (٣) . ثم قال كان (٤) الناس فى القرن الأول

---

(١) غيلان : هو غيلان بن مسلم الدمشقى القبطى (لعله النبطى) قتل فى عهد هشام بن عبد الملك — كما هو مذكور — المنية والامل — ص ١٥ — ١٧

(٢) أبو طالب المكى محمد بن عبد الله بن عطية الحارثي . صاحب « قوت القلوب ، فى معاملة المحبوب ، ووصف طريق المريد — إلى مقام التوحيد » (طبعة المطبعة المصرية . سنة ١٣٥١ هـ ١٩٣٢ م) . وسنقارن بين ماذكره السيوطى من قوت القلوب ، وبين نشرة هذا الكتاب المطبوعة . وسنرمز لقوت القلوب — بالحرف — ت .

(٣) ت . وصف العلم . وطريقة السلف . وذم ما أحدث المتأخرون من القصص والكلام ج ٢ . ص ١٧ .

(٤) ت . هذه الفقرات مذكورة فى النسخة المنشورة ص ٣٦ وما بعدها .

يجتهد كل لنفسه . والكتب والمجموعات محدثة . والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس وانتحاء قوله . والحكاية عنه فى كل شىء . والتفقه على مذهبه (١) لم يكن الناس قديما على ذلك فى القرن الأول والثانى فهذه (٢) المصنفات من الكتب حادثة بعد سنة عشرين ومائة وبعد وفاة كل الصحابة وكبار (٣) التابعين . ويقال إن أول كتاب صنف فى الإسلام : كتاب ابن جريج فى الآثار ، وحروف من التفاسير بمكة عن عطاء ومجاهد وأصحاب ابن عباس ، ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى(٤) . وجمع فيه سننا منثورة مبوبة . ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس فى الفقه ، ثم جمع ابن عيينة كتاب الجامع والتفسير فى أحرف فى علم القرآن ، وفى الأحاديث المتفرقة (٥). وجامع سفيان الثورى صنفه (٦) أيضا فى هذه المدة ، فهذه خمس كتب من أوائل ماجمع بعد وفاة الحسن وسعيد بن المسيب وخيار التابعين (٧) . وبعد سنة عشرين أو ثلاثين (٨) ومائة من الهجرة ، وقيل سنة ستين ومائة وبعد القرن الأول ، وبعد صدر من القرن الثانى (٩) ، وكان العلماء الذين هم أئمة هؤلاء العلماء ، من طبقات الصحابة الأربعة ، ومن بعد الطبقة الأولى

---

(١) ت . محدث (٢) ت : وهذه (٣) ت : علية .

(٤) معمر بن راشد الصنعانى : أبو عروة — توفى سنة ١٥٣ . ميزان الاعتدال حـ ٢ ص ١٨٨ خلاصة . . . : ص ٣٨٤ . وقيل ١٥٤ — تذكرة الحفاظ . المجلد الاول . ص ١٧١ — ١٧٢ .

(٥) . ت : كتاب الجامع فى السنن والابواب . وكتاب التفسير فى أحرف من علم القرآن .

(٦) ت : الكبير رضى الله عنه . فى الفقه والاحاديث .

(٧) هذه الفقرة مختلفة قليلا فى ت . . فهذه من أول ماصنف ووضع من الكتب بعد وفاة سعيد بن المسيب . حـ ٢ . ٣٧ (٨) ت . أو وفاته . (٩) غير موجودة فى ت .

من خيار التابعين ، هم الذين انقرضوا قبل (١) وضع الكتب (٢) ، ثم ظهرت بعد سنة مائتين وبعد تقضى ثلاثة قرون فى القرن الرابع المرفوض مصنفات الكلام ، وكتب المتكلمين بالرأى والهوى (٣) ، والمعقول ، والقياس . وذهب علم اليقين (٤) ، وغاب (٥) معرفة الموقنين من علم التقوى ، وإلهام الرشد ، والنفس (٦) ؟ فخلف من بعدهم خلف ، والله المستعان ولاحول ولاقوة إلا بالله (٧) — ثم اختلط الأمر بعد هذا التفصيل فى زماننا هذا ، فصار المتكلمون يدعون علماء . والقصاص يسمون عارفين ، والرواة النقلة علماء من غير فقه فى دين ولا بصيرة فى يقين . ثم قال : وفى الحديث « ما ضلّ قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل » . ثم قرأ (ماضربوه لك إلاجدلا ، بل هم قوم خصمون) (٨). وفى بعض الحديث: « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه » . قال هم أهل الجدل الذين عنى الله عز وجل فاحذروهم . وعن بعض السلف : يكون فى آخر الزمان علماء يغلق عنهم باب العمل ويفتح عليهم باب الجدل . وفى بعض الأخبار إنكم فى زمان ألهمتم فيه العمل ، وسيأتى قوم يلهمون الجدل . وروينا عن بعض العلماء إذا أراد الله بعبده خيرا فتح له باب العمل وأغلق عنه باب الجدل . واذا أراد الله بعبده شرا أغلق عليه باب العمل وفتح عليه باب الجدل . وفى الحديث المشهور عن رسول الله « صم » «أبغض الخلق إلى

---

(١) ت : تصنيف .
(٢) فقرة طويلة فى ت لم يوردها السيوطى ، ح ٢ ص ص ٣٧
(٣) ت . محذوفة
(٤) ت . المتقين .
(٥) ت وغابت .
(٦) ت : واليقين .
(٧) مكان هذه العبارة فى ث فلم نزل فى الخلوف الى هذا الوقت .
(٨) ٤٣ الزخرف ٥٨ .

الله الألد الخصم » . وقد روينا فى الخبر : الحيا والعى شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق . وفى بعضها العى عن اللسان لاعى القلب وفى الخبر الآخر إن الله يبغض البليغ من الرجال الذى يتخلل الكلام بلسانه كما تتخلل الباقورة الخلا بلسانها — الخلا هو الحشيش الرطب — وعن ابن مسعود : إنكم فى زمان خيركم فيه المسارع . ويأتى بعدكم زمان يكون خيركم فيه المتثبت — يعنى لبيان الحق باليقين فى القرن الأول ولكثرة الشبهات بالالتباس فى مثل زماننا هذا . وقال مالك : ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يلقيه الله فى القلب . وكان أحمد بن حنبل يقول إنما هو ماجاء من فوق يعنى إلهاما عن غير تعليم وكان يقول : علماء أهل الكلام زنادقة . وقد روينا حديثا فى علماء السوء شديدا نعوذ بالله من أهله ، ونسأله أن لايبلونا بمقام منه ، قدرويناه مرة مسندا من طريق ، ورويناه موقوفا على معاذبن جبل وإنما أذكره موقوفا على معاذبن جبل أحب إلى . وحدثونا عن مندل بن على ابن أبى نعيم الشامى عن محمدبن زياد عن معاذبن جبل يقول فيه : قال رسول الله « صم » ووقفته أناعلى معاذ بن جبل قال: من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب إليه من الاستماع ، وفى الكلام تنميق وزيادة ، ولا يؤمن على صاحبه الخطأ ، وفى الصمت سلامة وعلم ، ومن العلماء من يخزن علمه ولا يحب أن يوجد عند غيره ، فذلك فى الدرك الأول من النار . ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان ، فان رد إليه شىء من علمه أو تهون بشىء من حقه ، غضب فذلك بحق الدرك الثانى من النار . ومن العلماء من يجعل حديثه وغرائب علمه لأهل الشرف واليسار لا يرى أهل الحاجة له أهلا ، فذلك فى الدرك الثالث من النار . ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار ، ومن العلماء من يتكلم بكلام

اليهود والنصارى ليقرر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ، ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا فى الناس ، فذلك فى الدرك السادس من النار ، ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب ، فإن وعظ عنف ، وإن وعظ أنف ، فذلك فى الدرك السابع من النار . فعليك بالصمت فيه تغلب الشيطان . وإياك أن تضحك من غير عجب ، أو تمشى فى غير أدب . وقال فى موضع آخر (١) . وقد كان للمتقدمين علوم يجتمعون عليها ويتفاوضونها بينهم قد (٢) درست فى زماننا ، وكان للصالحين معانى وطرائق يسلكونها ويتساءلون عنها ، قد خفيت فى وقتنا ، وكان لليقين والمعرفة مقامات وأحوال يتذاكرها أهلها ، ويطلبون أربابها ، قد عفت آثارها عندنا لقلة الطالبين لها وعدم (٣) الراغبين فيها ، وفقد العلماء لها ، وذهاب السالكين طريقها (٤) ؛ منها علم طلب الحلال ، وعلم الورع فى المكاسب والمعاملات ، وعلم الإخلاص ، وعلم نفاق العمل والعلم ، وعلم آفات النفوس وفساد الأعمال ، والفرق بين نفاق القلب ونفاق النفس ، وبين إظهار النفس شهوتها وإخفائها ذلك ، والفرق بين سكون القلب (٥) وسكون النفس (٦) والفرق بين خواطر الروح والنفس وخاطر الإيمان والعقل ، وعلم حقائق (٧) الأحوال وحال (٨) طرائق العمال (٩) وتلوينات الشواهد على المريدين ، وعلم القبض والبسط والتحقق بصفات العبودية والتخلق بأخلاق الربوبية وتفاوت (١٠) مشاهدات (١١) العلماء ، إلى غير ذلك مما لا نذكره من علم التوحيد ومعرفة معانى الصفات ،

---

(١) ت . جـ ٢ ص ٤٠ (٢) ت . وقد . (٣) ت . ولعدم
(٤) ت . فى طرقها (٥) ت . بالله (٦) ت . بالاسباب .
(٧) ت . خلائق (٨) ت . وأحوال . (٩) ت . وتفاوت مشاهدات العارفين .
(١٠) ت . وتباين (١١) ت . مقامات

وعلوم المكاشفات (١) بتجلى الذات ، وإظهار الأفعال الدالة على معانى الصفات (٢) وظهور المعانى الدالة على النظر والإعراض والتقريب والإبعاد والنقص والمزيد والمثوبة والعقوبة والإجبار (٣) والإختيار .

وقد ذكرنا من جميع هذه المعانى فصولا ورسمنا (٤) أصولا ، تنبه على فروعها وتدل على أشكالها لمن وفق لتدبرها ، وأريد بتذكرها وجعل له نصيب منها . وقال بعض علمائنا أعرف للمتقدمين سبعين علما كانوا يتحاورونها ويتعارفونها فى هذا العلم لم يبق منها اليوم علم واحد (٥) ، وأعرف فى زماننا هذا علوما كثيرة من الأباطيل والدعاوى والغرور قد ظهرت ، وسميت علوما لم تكن فيما مضى تعرف (٦) .

وقال فى موضع آخر (٧) : وقد ابتدع الناس علوما لم تكن تعرف فيما سلف ، منها علم الكلام والجدل وعلوم المقاييس والنظر والاستدلال على سنن الرسول « صم » بأدلة الرأى والمعقول ، ومنها إيثار العقل والتميز على ظواهر القرآن والآثار . وقال فى بعض علماء الخلف : العلوم تسعة : أربعة منها سنة معروفة من الصحابة والتابعين ، وخمسة محدثة لم تكن تعرف فيما سلف ، فأما الأربع المعروفة : فعلم الإيمان وعلم القرآن وعلم الآثار وعلم الفتاوى ، وأما الخمسة المحدثة : فالنحو والعروض وعلم الجدل وعلم المعقول بالنظر والقصص .

وكان (٨) السلف يستحبون العى والبله عن علوم المعقول وقد جعله رسول الله « صم » من الإيمان وقرنه بالحياء فقال : الحياء والعى شعبتان من الإيمان ،

---

(١) ت . المكاشفة (٢) ت : الباطنة . (٣) ت . الاجتباء .
(٤) ت . جلا (٥) ت . يعرف .
(٦) ت . فقرة لم يذكرها السيوطى (٧) ت : حـ ٢ ص ٤٧ — ثمت اختلافات غير ذات بال بين النصين .
(٨) ت : حـ ٢ ص ٤٨

والبذاء والبيان شعبتان من النفاق . وقال: أبغض الخلق إلى الله البليغ الذى يتخلل الكلام بلسانه كما تتخلل الباقورة الخلا بلسانها ، يعنى الحشيش الرطب . وقال فى حديث آخر: العى عى اللسان لا عى القلب . وقال: إن الله كره لكم البيان كل البيان ، وفى الخبر المشهور : إن الله يبغض الثرثارين المتشدقين المتفيهقين ، فمن غلب عليه هذا الوصف وكان متشدقا بليغاً فى علم الرأى والمعقول أعمى القلب عن مشاهدة اليقين وعلم الإيمان ، كان إلى النفاق أقرب وعن الإيمان أبعد .

وقال فى موضع (١) آخر : كان إبراهيم الحربى يقول : صحبت الفقهاء وأصحاب الحديث وأهل العربية واللغة سبعين سنة ما سمعت هذه المسائل التى أحدثت فى هذا الوقت من أحد منهم قط (٢). وأحرج (٣) على من كان من أهل الكلام والجدال أن يحضر مجلسى أو يسألنى عن شىء فانه لا علم لى بالكلام ولا أقول به ولو عرفته ما حدثته .

وقال فى موضع آخر: وقد قال بعض العلماء : ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه بدعة . ومما أحدث الناس أيضا الرد على المبتدعة بعلم الرأى والمعقول قد كان هذا فيما سلف بدعة ، لم يكن من سيرة القدماء الرد على المبتدعين إلا بالسنن والآثار لا بعلم الكلام والقياس والنظر . قيل لعبد الرحمن بن مهدى إن فلانا صنف كتابا يرد فيه على المبتدعة قال : بأى شىء بالكتاب والسنة ؟ قال : لا . لكن بعلم المعقول والنظر ، فقال : أخطأ السنة ورد بدعة ببدعة . وهجر أحمد بن حنبل الحارث بن أسد المحاسبى وكان من أهل العلم (٤) برده على المبتدعة بعلم الكلام . وقال له ليس السنة أن ترد عليهم ولا يناظرون ، إنما السنة أن يخبروا بالآثار والسنن . فان قبلوها وإلا هجروا فى

---

(١) ت : حـ ٢ ص ٥٠ (٢) ت ٠ إضافة ـ يعنى الاسم والمسمى ونحو ذلك ـ
(٣) فى الاصل : وأخرج الله ـ وصححها من ت : وأحرج (٤) ت ٠ السنه .

الله . وقال أيضا : إذا رددت عليهم بعلم المعقول والجدل ألجأتهم إلى رد ماجئت به بالقياس والجدل فيكون سببا لرد الحق ، وكذلك أيضا هجر أبا ثور صاحب الشافعى لما تكلم بجواب المبتدعة فى رد الصفات حين سئل عن الحديث إن الله خلق آدم على صورته ، فغضب أحمد فرجع عن ذلك أبو ثور واعتذر . وهكذا سيرة السلف أنه لا يستمع إلى مبتدع ولا يرد عليه بالجدل والنظر لأنه بدعة ولكن يخبر بالسنن فان لم يرجع وإلا عرف ببدعته وهجر فى الله . وهذا طريق لا يسلكه فى زمانك هذا إلا من عرف سيرة المتقدمين وكان من المتقين .

هذا ما لخصته من كلام أبى طالب ، وأبو طالب هذا أحد أئمة المالكية ترجمه الذهبى فى العبر فقال : هو محمد بن على بن عطيه الحارثى العجمى ثم المكى صاحب قوت القلوب وله مصنفات ، وكان من أهل الجبل وسكن مكة فنسب اليها وتزهد وسلك ولقى الصوفية وصنف ووعظ . مات سنة ست وثمانين وثلاثمائة .

كلام الحافظ أبى عمر بن عبد البر

فى كتابه « بيان العلم »

قال فى كتابه : بيان العلم (١) « باب » ماتكره فيه المناظرة والجدال والمراء .

---

(١) ذكره صاحب كشف الظنون تحت اسم « بيان آداب العلم » ج ١ ص ١٦٠ « طبعة مصر » ونشر هذا الكتاب تحت اسم جامع بيان العلم وفضله . وما ينبغى فى روايته وحمله (المطبعة المنيرية ، سنة ١٣٤٦) وقد قابلت النصوص التى أوردها السيوطى من كتاب ابن عبد البر — بالنصوص المذكورة فى الطبعة المنشورة ، فرأيت اختلافات غير ذات بال فى ترتيب الأخبار — من ناحية — واختصارا لبعض الأخبار من ناحية أخرى ، والسبب فى هذا أن السيوطى نقل تلك النصوص من مختصر لكتاب ابن عبد البر — كما يذكر فى آخر نقله . وقد رمزت فى المقابلات للكتاب المنشور بالرمز ج .

نهى (١) السلف رحمهم الله عن الجدال فى الله عز وجل (٢) فى صفاته وأسمائه . وأما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر ، لأنه علم يحتاج فيه إلى رد الفروع إلى (٣) الأصول للحاجة إلى ذلك وليس الاعتقادات كذلك ، لأن الله عز وجل لا يوصف عند الجماعة أهل السنة ، إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه (٤) به رسوله ، أو أجمعت الأمة عليه ، وليس كمثله شىء ، فيدرك بقياس أو بعلم (٥) نظر . وقد نهينا عن التفكر فى الله وأمرنا بالتفكر فى خلقه الدال عليه قال : وللكلام (٦) فى ذلك موضع غير هذا والدين قد وصل إلى العذراء فى خدرها ، والحمد لله .

قرأت على سعيد بن نصر أن قاسم بن أصبغ حدثهم قال ثنا ابن وضاح قال ثنا موسى بن معاوية قال ثنا عبدالرحمن بن مهدى قال سلام بن أبى مطيع عن يحيى بن سعيد قال : قال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضا للخصومات أكثر التنقل . وبه عن ابن مهدى قال : ثنا هشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون التلون فى الدين . وذكر سنيد (٧) قال ثنا محمد ابن يزيد عن العوام بن حوشب عن إبراهيم التيمى فى قوله « أغرينا بينهم العداوة والبغضاء (٨) » قال الخصومات بالجدل فى الدين . وذكره عبد الرحمن ابن مهدى عن هشيم بن كثير عن العوام بن حوشب عن التيمى مثله سواء .

---

(١) أهمل السيوطى فقرة طويلة مذكورة فى صدر ج — أولها قال أبو عمر . . . . الى « ولا يزال الذين كفروا فى مرية منه » . ج ٢ ص ٩٣ (٢) ج . جل ثناؤه .

(٣) ج : على . (٤) فى الاصل وصف ولعل الصواب وصفه ، وكذلك فى ج

(٥) ج . بانعام : ولعلها الأصوب (٦) فى الاصل : والكلام ، ولعلها وللكلام .

(٧) سنيد بن داود المصيصى أبو على المحتسب صاحب التفسير . . . مات سنه ٢٢٠ — خلاصة . . ١٦٢ (٨) ٥ المائدة ١٤

قال سنيد وقال معاوية بن عمرو: إياكم وهذه الخصومات فانها تحبط الأعمال. وقاله العوام بن حوشب ذكره ابن مهدى عن هشيم عنه . وروى سفيان الثورى عن سالم بن أبى حفصة عن أبى يعلى منذر بن يعلى الثورى عن ابن الحنفية قال : لا تنقضى الدنيا حتى تكون خصوماتهم فى ربهم . قال ابن عباس : لا يزال أمر هذه الأمة مقاربا حتى يتكلموا فى الولدان والقدر . وقد أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد المؤمن قال : ثنا أحمد بن سلمان النجار قال ثنا عبد الملك بن محمد الرقاشى . قال ثنا حسين بن حفص الأصبهانى قال : قال سفيان الثورى عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله « صم » لا تقوم الساعة حتى تكون خصومات الناس فى ربهم . قال عبد الملك : فذكرت ذلك لعلى بن المدينى قال ليس هذا بشىء انما أراد حديث محمد بن الحنفيه : لاتقوم الساعة حتى تكون خصومتهم فى ربهم قال ابن مهدى وانا ابن المبارك عن عبد الرحمن بن عمر والاوزاعى أن عمر بن عبد العزيز قال: إذا رأيت قوما يتناجون فى ربهم دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة . وقال الأوزاعى وبكر بن مضر إذا أراد الله بقوم شرا ألزمهم الجدل ومنعهم العمل . وسئل عمر بن عبد العزيز عن قتال أهل صفين فقال : تلك دماء كف الله عنها يدى أريد أن ألطخ بها لسانى . وقال الهيثم بن جميل قلت لمالك بن أنس : يا أباعبد الله الرجل يكون عالما بالسنة أيجادل عنها. قال : لا ولكن يخبر بالسنة ، فان قبلت منه وإلاسكت . وقال مصعب بن عبدالله بن مصعب ابن ثابت : أنشدت اسحق بن إسرائيل هذا الشعر فاعجبه وكتبه وهو شعر قيل منذ أكثر من عشرين سنة . قال أبو عمر: وهذا الشعر عندهم له لاشك فيه والله أعلم ، وكان شاعرا محسنا :

أأقعد بعد مارجفت عظامى ... وكان الموت أقرب ما يلينى
أجادل كل معترض خصيم ... وأجعل دينه غرضا لدينى
فاترك ماعلمت لرأى غيرى ... وليس الرأى كالعلم اليقينى
وماأناوالخصومة وهى لبس ... تصرف فى الشمال وفى اليمين
وقد سنت لنا سنن قوام ... يلحن بكل فج أو وجين
وكان الحق ليس به خفاء ... أغر كغرة الفلق المبين
وما عوض لنا منهاج جهم ... بمنهاج ابن آمنة الأمين
فأما ما علمت فقد كفانى ... وأما ما جهلت فجنبونى
فلست مكفرا(١) أحدا يصلى ... ولم أجرمكم أن تكفرونى
وكنا أخوة نرمى جميعا ... فنرمى كل مرتاب ظنين
فما برح التكلف إن رمتنا ... بشأن واحد فرق الشؤن
فأوشك أن يخر(٢) عماد بيت ... وينقطع القرين من القرين

قال مصعب بن عبد الله الزبيرى (٣) كان مالك بن أنس يقول : الكلام فى الدين أكرهه ، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه ، وينهون عنه نحو الكلام فى رأى جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك . ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل . فأما الكلام فى الدين (٤) وفى الله عز وجل فالسكوت أحب إلى ، لأنى رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام فى الدين إلا فيما تحته عمل . قال أبو عمر : قد بين مالك رحمه الله أن الكلام فيما تحته عمل هو المباح عنده ،

---

(١) فى الاصل بمكفر ـ وفى ج · مكفرا ـ ولعله الصواب ·
(٢) فى الاصل تحر ـ ولعلها يخر ـ وكذلك فى ج .
(٣) هنا فقرة حذفها السيوطى موجودة فى ج أولها: وكان أبو مصعب بن عبد الله الزبيرى شاعرا محسنا .
(٤) · ج · دين الله .

وعند أهل بلده ، يعنى العلماء منهم رضى الله عنهم . وأخبر أن الكلام فى الدين نحو القول فى صفات الله وأسمائه . وضرب مثلا فقال : نحو رأى جهم (١) والقدر ، والذى قاله مالك ، رحمه الله ، عليه جماعة الفقهاء والعلماء قديما وحديثا من أهل الحديث والفتوى ، وإنما خالف ذلك أهل البدع المعتزلة (٢) وسائر الفرق . وأما الجماعة : فعلى ما قال مالك رحمه الله : إلا إن أضطر أحد إلى الكلام ، فلا يسعه السكوت إذا طمع برد الباطل ، وصرف صاحبه عن مذهبه أو خشى ضلال عامة أو نحو هذا (٣) .

قال يونس بن عبد الأعلى سمعت الشافعى يوم ناظره حفص القرد (٤) قال لى: يا أبا موسى لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ماخلا الشرك خير من أن يلقاه بشىء من الكلام لقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه . وقال أحمد بن حنبل: لا يفلح صاحب الكلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل. وقال مالك : أرأيت إن جاء من هو أجدل منه ، أيدع دينه كل يوم لدين جديد . وذكر ابن أبى خيثمة قال حدثنا محمد بن أبى شجاع البلخى قال سمعت الحسن بن زياد اللؤلؤى ، وقال له رجل فى زفر بن الهذيل (٥) كان ينظر فى الكلام، فقال: سبحان الله ما أحمقك. ما أدركت مشيختنا زفر وأبا يوسف وأبا حنيفة ومن جالسنا وأخذنا عنه يهمهم غير الفقه ، والاقتداء بمن تقدمهم (٦) .

قال أبو عمر : أجمع أهل الفقه والآثار فى جميع (٧) الأمصار أن أهل

---

(١) . ج . قول (٢) . ج . والمعتزلة .

(٣) . ج . فقرة غير موجودة عند السيوطى .

(٤) . ج الفرد . (٥) هو صاحب أبي حنيفة المشهور . توفى سنة ١٥٨ هـ

(٦) فقرة محذوفة — مذكورة فى . ج .

(٧) . ج . . ن

الكلام أهل بدع وزيغ ، ولا يعدون عند الجميع فى طبقات العلماء ، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه ، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم .

أخبرنا اسماعيل بن عبد الرحمن قال ثنا ابراهيم بن بكر قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد بن اسحق بن خواز منداد (١) البصرى (٢) المالكى قال فى كتاب الإجارات من كتابه فى الخلاف قال مالك: لا تجوز الاجارة (٣) فى شىء من كتب أهل (٣) الأهواء والبدع والتنجيم . وذكر كتبا ثم قال: وكتب أهل الأهواء والبدع عند أصحابنا هى كتب أصحاب الكلام من المعتزلة وغيرهم . وتفسخ الإجارة فى ذلك ، وكذلك كتب القضاء بالنجوم وعزائم الجن ، وما أشبه ذلك . وقال فى كتاب الشهادات ، فى تأويل قول مالك لا تجوز شهادة أهل البدع ، وأهل الأهواء . قال وأهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء ، والبدع ، أشعريا كان أو غير أشعرى . ولا تقبل له شهادة فى الاسلام (٥) ، ويهجرون (٦) ، ويؤدب على بدعته ، فان تمادى عليها استتيب منها .

قال أبو عمر رضى الله عنه : ليس فى الاعتقاد كله فى صفات الله وأسمائه إلا ماجاء منصوصا فى كتاب الله ، أوصح عن رسول الله «صم» أواجتمعت (٧) عليه الأمة . وماجاء من أخبار الآحاد فى ذلك كله أونحوه يسلم له ولا يناظر فيه (٨) . وعن الأوزاعى قال كان مكحول والزهرى يقولان : أرووا (٩) هذه الأحاديث كما

---

(١) ج خويز منداد
(٢) ج . المصرى
(٣) ج . الاجارات
(٤) ج . محذوفة
(٥) ج . أبدا
(٦) ج . ويهجر
(٧) ج . أجمعت
(٨) ج . هنا عندة محذوفة عند السيوطى .
(٩) ج . أمروا

جاءت ؛ وكذلك قال مالك والأوزاعى ؛ وسفيان بن سعيد ؛ وسفيان بن عيينة ومعمر بن راشد فى أحاديث الصفات (١) ، وذكر (٢) سنيد ثنا معتمر بن سليمان عن جعفر عن رجل من فقهاء أهل المدينة قال : إن الله تبارك وتعالى علم علما علمه للعباد ؛ وعلم علما لم يعلمه العباد . فمن (٣) تكلف العلم (٤) الذى لم يعلمه العباد لم يزدد منه إلا بعدا ، قال ، والقدر منه . وعن سعيد بن حبيب (٥) قال: مالم يعرفه البدريون فليس من الدين . وقال جعفر بن محمد : الناظر فى القدر كالناظر فى عين الشمس كلما ازداد نظرا إزداد حيرة . قال أبو عمر رضى الله عنه : رواها السلف وسكتوا عنها ، وهم كانوا أعمق الناس علما ، وأوسعهم فهما وأقلهم تكلفا ؛ ولم يكن سكوتهم عن عى ، فمن لم يسعه ما وسعهم فقد خاب وخسر (٦) . روى حماد (٧) بن زيد عن عبد الله بن عون عن ابراهيم قال لم يدخر لكم شيء خبى عن (٨) القوم لفضل عندكم (٩) . وذكر سعيد قال ثنا معتمر عن سلام بن مسكين عن قتادة قال : قال ابن مسعود : من كان منكم متأسيا فليتأس بأصحاب محمد « صم » فانهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما ، وأقلها تكلفا ، وأقومها هديا ، وأحسنها حالا (١٠) . إختارهم الله لصحبة نبيه « صم » ، وإقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم فى آثارهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم (١١) . وذكر ابن وهب فى جامعه قال: سمعت سليمان بن بلال

---

(١) اختصر السيوطى فى هذه العبارة فقرة طويلة لابن عبد البر موجودة فى ج منفصلة
(٢) هنا نقص موجود أيضا فى ج (٣) ج . فلم
(٤) ج . فكلف
(٥) فى ج اسناد طويل عن سعيد بن جبير ، ولعله الصواب .
(٦) فقرة ج . لم يوردها السيوطى .
(٧) ج . اسناد متصل بحماد بن زيد لم يورده السيوطى . (٨) ج . من
(٩) فقرة مذكورة فى ج . محذوفة عند السيوطى .
(١٠) ج . قوما . (١١) فقرة فى ج — غير موجودة هنا .

يقول سمعت ربيعة يسأل : لم قدمت البقرة وآل عمران ، وقد نزل قبلها بضع وثمانون سورة ، وإنما نزلتا بالمدينة ، فقال ربيعة: قد قدتا وألف القرآن على علم ممن ألفه . وقد اجتمعوا على العلم بذلك فهذا مما ينهى (١) الله ولا نسأل عنه (٢) ولقد أحسن القائل :

قد نقر الناس حتى أحدثوا بدعا
فى الدين بالرأى لم يبعث بها الرسل
حتى استخف بدين الله أكثرهم
وفى الذى حملوا من دينه شغل

وقال فى موضع آخر « باب » (٣) ماجاء فى ذم القول فى دين الله بالرأى والظن ، والقياس على غير أصل ، وعيب الاكثار من المسائل (٤) . وروى فيه (٥) بسنده عن عوف بن مالك الأشجعى قال : قال رسول الله « صم » تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة ، أعظمها فتنة ، قوم يقيسون الدين برأيهم يحرمون (٦) ما أحل الله ويحلون به ماحرم الله ؛ ورواه من طريق (٧) آخر بلفظ ، فيحلون الحرام ويحرمون الحلال . قال أبو عمر هذا هو القياس على غير أصل ، والكلام فى الدين بالتخرص والظن . ألا ترى قوله فى الحديث « يحلون الحرام ويحرمون الحلال » . ومعلوم أن الحلال ما فى كتاب الله وسنة رسوله تحليله والحرام كذلك . فمن جهل ذلك وقال فيما سئل عنه بغير

---

(١) ج . ينتهى اليه .
(٢) فقرة موجودة فى ج — غير موجودة هنا
(٣) ج : حـ ٢ ص ١٣٢ .
(٤) ج . دون اعتبار . ثم فقرات متعددة لم يذكرها السيوطى .
(٥) ج . فيها اسناد طويل يتصل بعون بن مالك الاشجعى لم يذكره السيوطى .
(٦) ج . به
(٧) مذكورة هذه الفقرة فى ج بتطويل .

علم وقاس برأيه ما خرج منه عن السنة ، فهذا هو الذى قاس الأمور برأيه ، فضل وأضل . ومن رد الفروع فى علمه إلى أصلها فلم يقل برأيه .

قلت : قال بعض العلماء لما أمر « علم » (١) بالاتباع ، وحذر من الابتداع وحث على الاقتداء بأصحابه كان فيه منع من الرأى ، وهو ينقسم قسمين صحيح وفاسد . فالفاسد ما كان منه فى أصول الدين . وأما فى فروعه : فالأمر واسع ، والقياس على الأصول حجة ثابتة ، وقد نبه عليه الكتاب والرسول « صم » ، واستعمله الصحابة والتابعون ، والمخطىء فى ذلك بعد الاجتهاد ، وهو من أهله مثاب غير مأزور ، والمصيب فيه رفيع المنزلة عند الله سبحانه وتعالى والقائل بالرأى فى القرآن ، وسائر أصول الدين محدث فى الابتداء ، ومخطىء مع إصابته فى المعنى مأثوم فى ذلك ، وقد وعد بالنار ، إن أخطأ فيه ، والخطأ فيه يؤول بصاحبه إلى الجحد والتكذيب . ويلزمه الكفر مرة ، والبدعة أخرى عند العلماء . وقد كان بعض العلماء يكره أن يثبت رأيه فى الفروع لجواز رجوعه عنه فيما بعد ، فكيف فى الأصول .

ذكر أحمد بن حنبل قال ثنا عبد الرازق ثنا معمر قال سمعت عمرو بن دينار يقول يسألونا عن رأينا فنخبرهم فيكذبونه كأنه نقر فى حجر لعلنا نرجع عنه غدا . وعن أبى هريرة قال : قال رسول الله « صم » تعمل هذه الأمة برهة بكتاب الله ، وبرهه بسنة رسول الله « صم » ثم يعملون بالرأى ، فاذا فعلوا ذلك فقد ضلوا . وقال عمر بن الخطاب وهو على المنبر « يا أيها الناس إن الرأى إنما كان لرسوله الله « صم » مصيبا لأن الله كان يريه وإنما هو منا بالظن والتكلف . وقال عمر أيضا : اياكم وأصحاب الرأى فانهم أعداء السنن أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها . فقالوا بالرأى فضلوا وأضلوا . قال

---

(١) لعلها رمز (عليه السلام) .

أبو بكر بن أبى داود : أهل الرأى أهل البدع. وهو القائل فى قصيدته فى السنة :

ودع عنك آراء الرجال وقولهم فقول رسول الله أزكى وأشرف

وقال فى موضع آخر (١) : العلوم عند جميع أهل الديانات ثلاثة : علم أعلى ، وعلم أوسط ، وعلم أسفل . فالعلم الأعلى عندهم علم الدين الذى لايجوز لأحد الكلام فيه بغير ما أنزله (٢) الله فى كتبه وعلى ألسنة أنبيائه : نصا ، ومعنى (٣)، ونحن على يقين مما جاء به نبينا « صم » عن ربه ، وسنه لأمته من حكمته ، ولسنا على يقين مما تدعيه اليهود والنصارى فى التوراة والانجيل ، لأن الله تعالى قد أخبر عنهم أنهم يكتبون الكتاب بأيديهم ، ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، ويقولون هو من عند الله ، وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ، وكيف يؤمن من خان الله وكذب عليه . قال الله عز وجل « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم(٤) » ، وقد اكتفينا والحمد لله بما أنزل على نبينا من القرآن وماسنه لنا عليه السلام . فمن الواجب على من لم يعرف اللسان الذى نزل به القرآن وهى لغة النبى « صم » أن يأخذ من ذلك ما يكتفى به ولا يستغنى حتى يعرف تصاريف القول وفحواه ، وظاهره ومعناه ، وأنه عون على علم الدين ، الذى هو أرفع العلوم وأعلاها ، به يطاع الله ويعبد ويحمد ويشكر ، فمن علم من القرآن ما به الحاجة اليه ، وعرف من السنة ما يعول عليه ، ووقف من مذاهب الفقهاء على ما نزعوا به وانتزعوا من كتاب الله وسنة نبيهم ، حصل على علم الديانة ، وكان على أمة نبيه « صم » مؤتمنا حق الأمانة ، إذا اتقى الله

---

(١) ج ح ١٠ ص ٣٧ (٢) ج . أوله

(٣) فى ج . تفسير لهذا التقسيم ومقارنته بتقسيمات الفلاسفة للعلم .

(٤) ٢٩ عنكبوت ٥١ .

تعالى وحمل ولم تمل به دنيا (١) تستهويه ، أو هوى يرديه ، فهذا عندنا العلم الاعلى الذى يحظى به فى الآخرة والأولى (٢) .

هذا آخر ماخصته من كتاب أبى عمر بن عبدالبر ونقلته من مختصر كتابه للقرطبى . وابن عبد البر هو الإمام الحافظ أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبدالبر النمرى أحد الاعلام وصاحب التصانيف. قال الذهبى فى العبر ليس لأهل المغرب أحفظ منه مع الفقه والدين والنزاهة والتبحر فى الفقه والعربية والأخبار ، مات سنة ثلاث وستين وأربعماية ، والقرطبى مختصره ، هو الامام العلامة أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبى بكر الانصارى الخزرجى المصنف المشهور مات سنة تسع وخمسين وستماية .

كلام الحافظ أبى بكر الخطيب البغدادى

فى كتابه « شرف أصحاب الحديث »

قال فى كتابه المسمى «شرف أصحاب الحديث »(٣) أمابعد . وفقكم الله لعمل الخيرات ، وعصمنا واياكم من إقتحام البدع والشبهات . فقد وقفنا على ما ذكرتم من عيب المبتدعه أهل السنن والآثار وطعنهم على من شغل نفسه بسماع الأحاديث وحفظ الأخبار، وتكذيبهم تصحيح مانقله إلى الأمة الأئمة الصادقون، واستهزائهم بأهل الحق فيما وضعه عليه الملحدون — الله يستهزى بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون — وليس ذاك عجيبا من متبعى الهوى ومن

---

(١) فى الاصل ديلا ولعلها دنيا .

(٢) لعل هذه الفقره هى تلخيص لـ « باب مختصر فى مطالعة كتب أهل الكتاب والرواية عنهم » جامع ... حـ ٢ ص ٣٤٠

(٣) شرف أصحاب الحديث ذكره صاحب كشف الظنون ص ٤٩٠ حـ ١ (طبعة مصر)

أضلهم الله عن سلوك سبيل الهدى ، ومن واضح شأنهم الدال على خذلانهم ، صدوفهم عن النظر فى أحكام القرآن ، وتركهم الحجاج بآياته الواضحة البرهان . وإطراحهم السنن من ورائهم ، وتحكمهم فى الدين بآرائهم ، فالحدث منهم متهوم بالعدل ، وذو السن مفتون بالكلام والجدل ، قد جعل دينه غرضا للخصومات وأرسل نفسه فى مراتع الهلكات . ومناه الشيطان دفع الحق بالشبهات . إن عرض عليه بعض كتب الاحكام المتعلقة بآثار نبينا عليه أفضل السلام نبذها جانبا وولى ذاهبا ، عن النظر فيها يسخر من حاملها . وراويها معاندة منه للدين ، وطعنا على أئمة المسلمين ، ثم هو يفتخر على العوام بذهاب عمره فى درس الكلام ويرى جميعهم ضالين سواه ، ويعتقد أن ليس ينجو إلا إياه ، لخروجه زعم عن حد التقليد ، وانتسابه إلى القول بالعدل والتوحيد وتوحيده إذا اعتبر كان شركا وإلحادا ، لأنه جعل لله من خلقه شركاء وأندادا وعدله عدول عن نهج الصواب ، إلى خلاف محكم السنة والكتاب ، أو لم (١) ير البائس المسكين ، إذا ابتلى بحادثة فى الدين ، يسعى الى الفقيه يستفتيه ، ويعمل على ما يقوله ويرويه ، راجعا الى التقليد بعد فراره منه ، وملتزما حكمه بعد صدوفه عنه ، وعسى أن يكون فى حكم حادثته من الخلاف ، مايحتاج إلى إنعام النظر فيه والاستكشاف ، فكيف استحل التقليد بعد تحريمه ، وهون الاثم فيه بعد تعظيمه ، ولقد كان رفضه ما لاينفعه فى الاولى والآخرة واشتغاله بأحكام الشريعة أحرى وأولى . ثم أخرج عن اسحق بن عيسى قال سمعت مالك بن أنس يعيب الجدل فى الدين ويقول كلما جاءنا رجل أجدل من رجل أردنا أن نرد ماجاء به جبريل إلى النبي « صم » . وأخرج عن أبى يوسف

---

(١) فى الاصل لم ولعلها أولم

قال : كان يقال من طلب الدين بالكلام تزندق . وأخرج عن سفيان الثورى قال: إنما الدين بالآثار ليس الدين بالرأى . وأخرج عن الفضل بن زياد قال : سألت احمد بن حنبل عن الكرابيسى وما أظهر فكلح وجهه ثم قال : إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التى وضعوها تركوا آثار رسول الله « صم » وأصحابه وأقبلوا على هذه الكتب . وأخرج عبدالرحمن بن مهدى قال سمعت مالك بن أنس يقول سن رسول الله « صم » وولاة الامر بعده سننا الأخذ بها تصديق لكتاب الله واستكمال لطاعة الله وقوة على دين الله ، من عمل بها مهتد ، ومن استنصر بها منصور ، ومن خالفها أتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى . وأخرج عن الأوزاعى قال : عليك بآثار من سلف ، وان رفضك الناس . وإياك ورأى الرجال وان زخرفوه بالقول ، فإن الأمر يتجلى وأنت على طريق مستقيم . وأخرج عن يزيد بن زريع قال : أصحاب الرأى أعداء السنة ، ولو أن صاحب الرأى شغل بماينفعه من العلوم ، وطلب سنن رسول رب العالمين ، واقتفى آثار الفقهاء والمحدثين لوجد فى ذلك مايغنيه عماسواه ، واكتفى بالأثر عن رأيه الذى رآه ، لأن الحديث مشتمل على معرفة أصول التوحيد ، وبيان ماجاء من الوعد ووجوه الوعيد ، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين ، والإخبار عن صفات الجنة والنار وما أعدالله فيهما للمتقين والفجار وما خلق الله فى الارضين والسموات ، من صنوف العجائب وعظيم الآيات ، وذكر الملائكة المقربين ونعت الصافين والمسبحين . وفى الحديث قصص الانبياء ، وأخبار الزهاد والأولياء ومواعظ البلغاء وكلام الفقهاء ، وسير ملوك العرب والعجم ، وأقاصيص المتقدمين من الأمم ، وشرح مغازى الرسول وسراياه ، وجمل أحكامه وقضاياه

---

(١) فى (الاصل) اخبارة ومناقبه لعلها أخبارهم ومناقبهم

وخطبه وعظاته، وأعلامه ومعجزاته، وعدة أزواجه وأولاده وأصهاره وأصحابه وذكر فضائلهم ومآثرهم وشرح أخبارهم ومناقبهم (١) ومبلغ أعمارهم وبيان أنسابهم ، وفيه تفسير القرآن العظيم ، ومافيه من النبأ والذكر الحكيم، وأقاويل الصحابة فى الأحكام المحفوظة عنهم وتسمية من ذهب إلى قول كل واحد منهم من الأئمة الخالفين والفقهاء المجتهدين وقد جعل الله أهله أركان الشريعة ، وهدم بهم كل بدعة شنيعة ، فهم أمناء الله من خليقته والواسطة بين النبى وأمته ، والمجتهدون فى حفظ ملته ، أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة . وحججهم قاهرة ، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع اليه ، وتستحسن رأيا تعكف عليه ، سوى أصحاب الحديث ، فإن الكتاب عدتهم والسنة حجتهم والرسول فيئتهم ، وإليه نسبتهم ، لا يعرجون على الأهواء ولا يلتفتون إلى الآراء ، يقبل منهم ما رووه عن الرسول ، وهم المأمونون عليه ، والعدول حفظة الدين وخزنته ، وأوعية العلم وحملته ، إذا اختلف فى حديث كان إليهم الرجوع ، فما حكموا به ، فهو المقبول المسموع ، منهم كل عالم فقيه ، وإمام رفيع نبيه ، وزاهد فى قبيلة ، ومخصوص بفضيلة ، وقارىء متقن، وخطيب محسن ، وهم الجمهور العظيم وسبيلهم السبيل المستقيم ، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر ، وعلى الإفصاح بغير مذاهبهم لا يتجاسر ، من كادهم قصمه الله ، ومن عاندهم خذله الله . لا يضرهم من خذلهم ، ولا يفلح من اعتزلهم، المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير ، ونظر الناظر بالسوء إليهم حسير ، وان الله على نصرهم لقدير . وأخرج عن اسحق بن موسى الخطمى قال مامكن لأحد من هذه الامة ، مامكن لأصحاب الحديث لأن الله عز وجل قال فى كتابه (وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم (٢)) فالذى ارتضاه الله قد مكن لأهله فيه ،

(١) فى الاصل ـ أخباره ومناقبه . (٢) ٢٤ النور ٥٥

ولم يمكن لأصحاب الاهواء فى أن يقبل منهم حديث واحد عن أصحاب النبى «صم» وأصحاب الحديث يقبل منهم حديث رسول الله « صم » وحديث أصحابه .

ثم إن كان بينهم رجل أحدث بدعة سقط حديثه وإن كان من أصدق الناس . وأخرج عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله (صم) يقول لنا أنبئونى بأفضل أهل الإيمان إيمانا قلنا : يارسول الله الملائكة قال هم كذلك ، ويحق لهم وما يمنعهم ، وقد أنزلهم الله بالمنزلة التى قد أنزلهم بها ، بل غيرهم . قلنا : يارسول الله فالأنبياء الذين أكرمهم الله بالنبوة والرسالة . قال : هم كذلك ، ويحق لهم ذلك وما يمنعهم ، وقد أكرمهم الله بالنبوة والرسالة ، بل غيرهم . قلنا: يارسول الله الشهداء الذين أكرمهم الله بالشهادة مع الأنبياء . قال هم كذلك ويحق لهم وما يمنعهم وقد أكرمهم الله بالشهادة ، بل غيرهم . قلنا يارسول الله فمن ؟ قال : أقوام فى أصلاب الرجال يأتون من بعدى ، يؤمنون بى ولم يرونى ويصدقون بى ولم يرونى . يرون الورق المعلق فيعملون بما فيه . قال الخطيب : قلت وأحق الناس بهذا الوصف أصحاب الحديث ومن تبعهم . وأخرج عن أبى حاتم الرازى قال : نشر العلم حياته والبلاغ عن رسول الله «صم» رحمة يعتصم به كل مؤمن ويكون حجة على كل مصر وملحد . وقال الأوزاعى إذا ظهرت البدع فلم ينكرها أهل العلم صارت سنة . وأخرج عن أبى بكر ابن أبى داود قال سمعت أحمد بن سنان يقول : كان الوليد الكرابيسى خالى فلما حضرته الوفاة . قال لبنيه تعلمون أحدا أعلم بالكلام منى . قالوا لا . قال فتتهمونى . قالوا : لا . قال فإنى أوصيكم أتقبلون ؟ قالوا نعم . قال عليكم بما عليه أصحاب الحديث ، فإنى رأيت الحق معهم . وأخرج عن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن محمد بن قريش العنبرى البصرى قال : كل من ذهب إلى مقالة ففرغ منها إلى غير الحديث ، فإلى ضلالة يصير . وأخرج عن هارون الرشيد

قال : المروءة فى أصحاب الحديث ، والكلام فى المعتزلة ، والكذب فى الروافض . وأخرج عن محمد بن العباس الخزاز . قال : أنشدنا أبو مزاحم الخاقانى لنفسه :

أهل الكلام وأهل الرأى قد عدموا ... علم الحديث الذى ينجو به الرجل
لو انهم عرفوا الآثار ما انحرفوا ... عنها إلى غيرها لكنهم جهلوا

وأخرج عن أبى عامر الحسن بن محمد النسوى . قال أنشدنى أبو زيد الفقيه لبعض علماء شاش :

كل الكلام سوى القرآن زندقة ... إلا الحديث وإلا الفقه فى الدين
والعلم متبع ما كان حدثنا ... وماسوى ذاك وسواس الشياطين

هذا آخر كلام الخطيب ، وهو الامام الشهير ، والحافظ أبو بكر أحمد بن على ابن ثابت البغدادى أحد الأئمة فى الحديث والفقه والأصول . مات فى ذى الحجة سنة ثلاث وستين وأربعمائة .

كلام الإمام أبى المظفر بن السمعانى

فى كتابه « الإنتصار لأهل الحديث »

ذكر كلام الإمام أبى المظفر بن السمعانى فى ذلك .

قال فى كتابه الانتصار (١) لأهل الحديث : قد لهج بذم أصحاب الحديث صنفان : أهل الكلام ، وأهل الرأى . فهم فى كل وقت يقصدونهم بالثلب والعيب وينسبونهم إلى الجهل وقلة العلم ، واتباع السواد على البياض ، وقالوا اغثاء وغثر ، وزوامل أسفار ، وقالوا أقاصيص وحكايات وأخبار ، وربما قرأوا (كمثل الحمار يحمل أسفارا) . وفى الحقيقة : ماثلموا إلا دينهم ولا سعوا

(١) لم أعثر على ذكر لهذا الكتاب فى كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون .

إلا فى هلاك أنفسهم ، وما للأساكفة وصوغ الحلى وصناعة البز . وما للحدادين وتقليب العطر والنظر فى الجواهر . أما يكفيهم صدأ الحديد ، ونفخ فى الكير وشواظ الذيل والوجه وغبرة فى الحدقة ، وما لأهل الكلام ونقد حملة الأخبار ، وما أحسن قول من قال :

بلاء ليس يشبهه بلاء عداوة غير ذى حسب ودين
ينيلك منه عرضا لم يصنه ويرتع منك فى عرض مصون

لكن الحق عزيز ، وكل مع عزته يدعيه . ودعواهم الحق تحجبهم عن مراجعة الحق . نعم إن على الباطل ظلمة وإن على الحق نورا ، ولا يبصر نور الحق إلا من حشى قلبه بالنور (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور (١)) فالمتخبط فى ظلمات الهوى والمتردى فى مهاوى الهلكة ، والمتعسف فى المقال لا يوفق للعود إلى الحق ، ولا يرشد إلى طريق الهدى ليظهر وعورة مسلكه وعز جانبه ، وتأبيه إلا على أهله (كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون (٢)) .

ثم قال « باب » الحث على السنة ، والجماعة ، والإتباع ، وكراهة التفرق والابتداع : — اعلم أن الله تعالى أمر خلقه بلزوم الجماعة ، ونهاهم عن الفرقة . وندبهم إلى الاتباع ، وحثهم عليه ، وذم الابتداع ، وأوعدهم عليه ، وذلك بين فى كتابه وسنة رسوله . قال تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا (٣)) . وقال (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه (٤)) . وقال (وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه . ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله

---

(١) ٢٤ النور ٤٠
(٢) ٦ الانعام ١٠٨
(٣) ٣ آل عمران ١٠٣
(٤) ٤٢ الشورى ١٣

ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)(١) وأمر تعالى باتباع النبى « صم » فى آيات من كتابه . وقد وردت الأحاديث حاثة على لزوم سنته واجتناب كل بدعة . ثم سرد جملة من الأحاديث الواردة فى ذلك ، وغالبها : قد تقدم فيما لخص من ذم الكلام للهروى . ثم سرد جملة من الآثار عن الصحابة والتابعين فى ذم البدع والمحدثات . ثم قال : وإذا ثبت أنا أمرنا بالاتباع والتمسك بأثر النبى « صم » ولزوم ما شرعه لنا من الدين والسنة ، ولا طريق لنا إلى الوصول إلى هذا إلا بالنقل والحديث بمتابعة الأخبار التى رواها الثقات والعدول من هذه الأمة عن رسول الله « صم » ، وعن الصحابة من بعده ، فنشرح الآن قول أهل السنة إن طريق الدين هو : السمع والأثر . وإن طريقه العقل والرجوع اليه ، وبناء السمعيات عليه ، مذموم فى الشرع ومنهى عنه ، ونذكر مقام العقل فى الشرع والقدر الذى أمر الشرع باستعماله وحرم مجاوزته .

ثم قال : وقد سلك أهل الكلام فى رد الناس من الأحاديث إلى المعقولات طريقا شبهوا بها على عامة الناس . قالوا : إن أمر الدين أمر لا بد فيه من وقوع العلم ليصح الاعتقاد فيه ، فإن المصيب فى ذلك عند اختلاف المختلفين واحد والمخالف فى أمر من أمور الدين الذى مرجعه إلى الاعتقاد إما كافر أو مبتدع وما كان أمره على هذا الوجه فلا بد فى ثبوته من طريق توجب العلم حتى لا يتداخل من حصل له العلم بذلك شبهة وشك بوجه من الوجوه . والأخبار التى يرويها أهل الحديث فى أمور الدين أخبار آحاد ، وهى غير موجبة للعلم وإنما توجب الأعمال فى الأحكام خاصة ، وإذا سقط الرجوع إلى الأخبار فلا بد من الرجوع إلى دليل العقل ، وما يوجبه النظر والاعتبار . فهذا من أعظم شبههم فى الاعراض عن الأحاديث والآثار ، وسيأتى الجواب عنها .

---

(١) ٦ الانعام ١٥٣

وقد قال عمر بن الخطاب : إنه سيأتى أناس يأخذونكم بشبهات القرآن فخذوهم بالسنن فإن أصحاب السنن أعلم بكتاب الله .

ثم قال ونذكر الآن ما ورد عن الأئمة فى ذم الكلام ، فذكر طائفة مما تقدم عن الأئمة مخرجا من ذم الكلام للهروى . ومما لم يتقدم ما أسنده عن سهيل ابن نعيم قال قال الشافعى: كل من تكلم بكلام فى الدين أو فى شىء من هذه الأهواء ليس فيه إمام متقدم من النبى « صم » وأصحابه فقد أحدث فى الاسلام حدثا وقد قال النبى « صم » من أحدث حدثا أو آوى محدثا فى الإسلام فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرفا ولا عدلا .

وأسند من طريق حرملة قال سمعت الشافعى يقول : إياكم والنظر فى الكلام فإن رجلا لو سئل عن مسألة فى الفقه فاخطأ فيها أو سئل عن رجل قتل رجلا فقال ديته بيضة كان أكثر شىء أن يضحك منه ولو سئل عن مسألة فى الكلام فأخطأ فيها نسب إلى البدعة قال فهذا كلام الشافعى فى ذم الكلام والحث على السنة وهو الامام الذى لا يجارى والفحل الذى لا يقاوم . فلو جاز الرجوع اليه وطلب الدين من طريقه لكان بالترغيب فيه أولى من الزجر عنه وبالندب اليه أولى من النهى عنه . فلا ينبغى لأحد أن ينصر مذهبه فى الفروع ثم يرغب عن طريقته فى الاصول. وروى عن قبيصة قال كان سفيان الثورى يبغض أهل الأهواء وينهى عن مجالسهم أشد النهى ويقول عليكم بالأثر وإياكم والكلام فى ذات الله ، وكان أحمد بن حنبل يقول : أئمة الكلام زنادقة . ثم ساق جملة من كلام السلف فى النهى عن النظر فى الكلام وقد أيد هذا كله الحديث الذى حدثنا أبو صالح فذكر بسنده عن أبى هريرة قال قال رسول الله «صم»: تفكروا فى خلق الله ولا تفكروا فى الله. ثم قال وإنما ترد البدعة بالأثر لا ببدعة مثلها. فانه روى عن عبد الرحمن بن مهدى الإمام المقدم قال إنما يرد على أهل البدع بآثار رسول الله «صم» وآثار الصالحين

فأما من رد عليهم بالمعقول فقد رد باطلا بباطلا . ثم قال فهؤلاء الأئمة هم المرجوع اليهم فى أمر الدين وبيان الشرع ومن سلك طريقا فى الاسلام بعدهم فإياهم يتبع وبهم يقتدى وموافقتهم تتحرى ، فلا يجوز لمسلم أن يظن بهم ظن السوء وإنهم قالوا ذلك عن جهل وقلة علم وخبرة فى الدين وما هذا إلا من الغل الذى أمر الله بالاستعاذة منه فقال (ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا)(١) فتبين لنا أن الطريق عند الأئمة الهادية اتباع السلف والاقتداء بهم دون الرجوع الى الآراء . ومن هنا قال بعضهم: العلم علمان علم نبوى، وعلم نظرى، والعلم النظرى محتاج الى العلم النبوى لأن العلم النبوى جاء من الله وهو مقرون بالصواب على كل حال والعلم النظرى ما يستنبط، ويجوز أن يكون صوابا، ويجوز أن يكون خطأ. ومثال ذلك ما قيل الماء ماء إن ماء نزل من السماء وماء نبع من الأرض ، فالماء النازل من السماء على طعم واحد من اللذة والطيب وعلى لون واحد من الصفاء والنقاء وعلى جوهر واحد من الطهارة والنظافة كذلك العلم النازل من السماء كالوحى والماء النابع من الأرض ، فعلى أنواع منه صاف طاهر على موافقة وحى الله ومنه خبيث كدر لمخالفته وحى الله . وقال بعضهم الحديث أصل والرأى فرع ولا يجوز أن يكون الأصل والفرع سواء ، ولا حالهما فى الرتبة والتقدمة واحدة ألا ترى، إلى قوله «صم» لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن بم تحكم قال بكتاب الله . فإن لم تجد قال بسنة رسول الله قال فإن لم تجد . قال أجتهد رأيى . قال الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله فكان المصير إلى الحديث بمنزلة الماء فى الطهارات والقياس والرأى بمنزلة التراب وإنما يصار إلى التراب عند عدم الماء . كذلك لا يصار إلى الرأى الا عند عدم الحديث . فكان مثل من آثر الرأى والقياس وقدمهما على الحديث والأثر مثل من يعدل عن الطهارة بالماء فى وقت السعة

---

(١) ٥٩ الحشر ١٠

ويؤثر التيمم بالتراب الذى وضع للضرورة والعدم . ولقد أحسن سعيد بن حميد (١) حين يقول :

فإنك حين تطرحنى لقوم ... هم عدم وفى صور الوجود
كمن هو تارك ماء طهورا ... وراض بالتيمم بالصعيد

وأنشدوا أيضا :

دين النبى محمد آثار ... نعم المطية للفتى الأخبار
لاتغفلن عن الحديث وأهله ... فالرأى ليل والحديث نهار
ولربما غلط الفتى سبل الهدى ... والشمس بازغة لها أنوار

وأنشدوا أيضا ،

أهل الكلام وأهل الرأى قد جهلوا ... علم الحديث الذى ينجو به الرجل
لو أنهم عرفوا الآثار ما انحرفوا ... عنها إلى غيرها لكنهم جهلوا

وأنشدوا ايضا

أهل الكلام دعونا من تعسفكم ... كم تبتغون لدين الله تبديلا
ما أحدث الناس فى أديانهم حدثا ... إلا جعلتم له وجها وتأويلا

ولأبى بكر بن أبى داود السجستانى :

تمسك بحبل الله واتبع الهدى ... ولاتك بدعيا لعلك تفلح
ولذ بكتاب الله والسنن التى ... أتت عن رسول الله تنجو وترجح
ودع عنك آراء الرجال وقولهم ... فقول رسول الله أزكى وأشرح

وأنشد أيضا

---

(١) لم أعثر على سعيد بن حميد هذا فى كتب طبقات المحدثين ولكن وجدت فى وفيات الاعيان : سعيد بن حميد أبو عثمان . كان كاتبا شاعرا مترسلا عذب اللفظ حـ ١ ص ٣٦٥

خذ ما أتاك به الأخبار من أثر شبها بشبه وأمثالا بأمثال
ولا تميلن يا هذا إلى بدع تضل أصحابها بالقيل والقال

ثم قال « فصل » فيما روى عنهم من ذم الجدال والخصومات فى الدين . وما كرهوا من ذلك . وأورد فيه جملة من الأحاديث والآثار السابقة من ذم الكلام للهروى . ومما لم يتقدم ، أخرج عن ابن مسعود قال : قال رسول الله « صم » « هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون ، هلك المتنطعون » . وأخرج عن على بن الحسين قال : قال رسول الله « صم » : من حسن إسلام المرء ، تركه مالا يعنيه . وعن الحسن البصرى أنه كان ينهى عن الخصومة ، ويقول إنما يخاصم الشاك فى دينه ، وعن ابن سيرين قال : إنى لأدع المراء وإنى لأعلمكم به . وقد جاء فى تفسير قوله (فأما الذين فى قلوبهم زيغ(١)) يعنى حب الجدل وقال الأوزاعى : المنازعة والجدال فى الدين محدث .

ثم قال : واعلم أنك متى تدبرت سيرة الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح وجدتهم ينهون عن جدال أهل البدعة بأبلغ النهى ، ولا يرون رد كلامهم بدلائل العقل ، وإنما كانوا إذا سمعوا بواحد من أهل البدعة أظهروا التبرى منه ونهوا الناس عن مجالسته ومحاورته والكلام معه ، وربما نهوا عن النظر اليه . وقد قالوا : إذا رأيت مبتدعا فى طريق فخذ فى طريق آخر . ولقد ظهرت هذه الأهواء الأربع التى هى رأس الأهواء ، أعنى القدر والارجاء ، ورأى الحرورية والرافضة فى آخر زمان الصحابة . فكان إذا بلغهم أمرهم أمروا بما ذكرنا ولم يبلغنا عن أحد منهم أنه جادلهم بدلائل العقل ، أو أمر بذلك ، وقد كانوا إلى عهد رسول الله « صم » أقرب . وقد شاهدوا الوحى

---

(١) ٣ آل عمران ٧

والتنزيل وعدلهم الله فى القرآن وشهد لهم بالصدق وشهد لهم النبى «صم» بالخيرية فى الدين . وكانت طاعتهم (١) أجل ، وقلوبهم أسلم ، وصدورهم أطهر ، وعلمهم أوفر . وكانوا من الهوى والبدع أبعد . ولو كان طريق الرد على المبتدعة هو الكلام ودلائل العقل والجدال معهم لاشتغلوا به وأمروا بذلك وندبوا اليه وإنما ظهرت المجادلات فى الدين والخصومات بعد مضى قرن التابعين ومن يليهم ، حين ظهر الكذب ، وفشت شهادات الزور ، وشاع الجهل ، واندرس أمر السنة بعض الاندراس . وأتى على الناس زمان حذر منه النبى « صم » والصحابة من بعده . ولقد صدق إبراهيم النخعى حيث يقول : إن القوم لم يؤخر عنهم شىء خبى لكم لفضل عندكم ، وإنما كان غايتهم التبرى ، وإظهار المجانبة ، والأمر بالتباعد . والمشهور عن ابن عمر أنه لما بلغه قول أهل القدر قال أبلغوهم أنى منهم برىء ، ولو وجدت أعوانا لجاهدتهم ، وقال ابن عباس لو رأيت بعضهم لضربت رأسه . وأتى رجل على بن أبى طالب ، فقال : أخبرنى عن القدر ، قال طريق مظلم فلا تسلكه ، قال أخبرنى عن القدر . قال بحر عميق فلا تلجه . قال أخبرنى عن القدر ، قال سر الله فلا تكلفه . وعن القاسم بن محمد بن أبى بكر قال يستتاب القدرى ، فإن تاب وإلا نفى من بلاد المسلمين . وقال عمر بن عبد العزيز : ينبغى أن نتقدم اليهم فيما أحدثوا من القدر ، فان كفوا وإلا استلت ألسنتهم من أقفيتهم إستلالا . فهذا طريق القوم فى أمر البدع وأهلها . قال رجل من أهل البدع لأيوب السختيانى: ياأبا بكر أسألك عن كلمة ، فولى وهو يقول ولا نصف كلمة . وقال ابن طاووس لابن له ، وتكلم رجل من أهل البدع : يا بنى أدخل أصبعيك فى أذنيك ، ثم قال اشدد

---

(١) فى الاصل طعمتهم . والصواب طاعتهم .

اشدد ، وقال عمر بن عبد العزيز : من جعل دينه غرضا للخصومات ، أكثر التنقل . وقال رجل للحكم بن عتيبة : ما حمل أهل الأهواء على هواهم . قال الخصومات . وقال معاوية بن قرة ، وكان أبوه من أصحاب النبي « صم » « إياكم وهذه الخصومات فانها تحبط الأعمال» وقال أبو قلابة وكان قد أدرك غير واحد من أصحاب النبي « صم » لا تجالسوا أصحاب الأهواء ، أو قال أصحاب الخصومات ، ولا تكلموهم فإني لا آمن أن يغمسوكم فى ضلالتهم أو يلبسوا عليكم بعض ما تعرفون . ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على محمد بن سيرين ، فقالا : يا أبا بكر نحدثك بحديث . قال لا . قالا نقرأ عليك آية من كتاب الله . قال لا لتقومان أو لأقومن . وكانوا يقولون إن القلب ضعيف ، وإنا نخاف إن استعمت منهم شيئا أن يميل قلبك إلى قولهم . وقال إسحق بن ابراهيم الحنظلى : اعلموا أن اتباع الكتاب والسنة أسلم ، والخوض فى أمر الدين بالمنازعة والرد حرام . والاجتناب عنه سلامة . وأرجو أن يجوز القياس على الأصل الثابت من العالم الفطن المتيقظ . ولا تكاد تجد شيئا من تأويل الكتاب مخالفا لسنة النبي « صم » إذا صحت الرواية وعامة تاركى العلم والسنة وأصحاب الأهواء والرأى والمقاييس لثقل السنة عليهم ولا اعرف حديثين يخالف أحدهما الآخر ، ولكل ماروى من الأحاديث المختلفة معان يعلمها أهل العلم بها . فهذا الذى نقلناه طريقة السلف وما كانوا عليه . واعلم أن الأئمة الماضين وأولى العلم من المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام وهذا النوع من النظر عجزا عنه ، ولا انقطاعا دونه . وقد كانوا ذوى عقول وافرة وأفهام ثاقبة . وقد كانت هذه الفتن قد وقعت فى زمانهم ، وظهرت . وإنما تركوا هذه الطريقة ، واضربوا عنها لما تخوفوه من فتنتها وعلموه من سوء عاقبتها وسيىء مغبتها ، وقد كانوا على بينة من أمورهم وعلى

بصيرة من دينهم ، لما هداهم الله بنوره ، وشرح صدورهم بضياء معرفته ، فرأوا أن فيما عندهم من علم الكتاب وحكمته ، وتوقيف السنة وبيانها غناء ومندوحة مما سواها ، وأن الحجة قد وقعت وتمت بهما ، وأن العلة والشبهة قد أزيحت بمكانهما ، فلما تأخر الزمان بأهله وفترت عزائمهم فى طلب حقائق علوم الكتاب والسنة ، وقلت عنايتهم بها ، واعترضهم الملحدون بشبههم ، والطاعنون فى الدين بجدلهم ، حسبوا أنهم إن لم يردوهم عن أنفسهم بهذا النمط من الكلام ودلائل العقل ، لم يقووا عليهم ، ولم يظهروا فى الحجاج عليهم فكان ذلك ضلة من الرأى ، وخدعة من الشيطان . فلو سلكوا سبيل القصد ، ووقفوا عند ما انتهى بهم التوقيف (١) لوجدوا برد اليقين ، وروح القلوب ، ولكثرت البركة ، وتضاعف النماء ، وانشرحت الصدور ؛ وأضاءت فيها مصابيح النور ، وإنما وقعوا فيما وقعوا فيه عند أهل الحق بعد ما تدبروا . وظهر لهم بتوفيق الله سبب ذلك ، وهو أن الشيطان صار اليوم بلطيف حيلته يسول لكل من أحس من نفسه زيادة فهم ، وفضل ذكاء وذهن يوهمه أنه إن رضى فى عمله ومذهبه بظاهر من السنة . واقتصر على واضح بيان منها ، كان أسوة العامة ، وعد واحدا من الجمهور والكافة . وانه قد ضل فهمه ، واضمحل عقله وذهنه ، فحركهم بذلك على التنطع فى النظر والتبدع لمخالفة السنة والأثر ، ليمتازوا بذلك عن طبقة الدهماء ، ويتبينوا فى الرتبة عمن يرونه دونهم فى الفهم والذكاء . فاختدعهم بهذه المقدمة حتى استزلهم عن واضح المحجة ، وأورطهم فى شبهات تعلقوا بزخارفها ، وتاهوا عن حقائقها ، ولم يخلصوا منها إلى شفا نفس ولاقبلوه بيقين علم . ولما رأوا كتاب الله (٢)

---

(١) فى الاصل التوفيق . وفى الهامش التوقيف — وهو الصواب .

(٢) فى الهامش عز وجل

ينطق بخلاف ما انتحلوه ، ويشهد عليهم بباطل ما اعتقدوه ، ضربوا بعض آياته ببعض ، وتأولوها على مايسنح لهم فى عقولهم . واستوى عندهم على ما وضعوه من أصولهم . ونصبوا العداوة لأخبار رسول الله «صم» ولسنته المأثورة عنه ، وردوها على وجوهها . وأساؤا فى نقلتها القالة ، ووجهوا عليهم الظنون ، ورموهم بالتزيد ، ونسبوهم إلى ضعف المنة ، وسوء المعرفة بمعانى ما يرونه من الحديث . ولو أنهم أحسنوا الظن بسلفهم ، وآثروا متابعتهم ، وسلموا حيث سلموا ، وطلبوا المعانى حيث طلبوا ، واجتهدوا فى رد الهوى وخداع الشيطان لانشرحت صدورهم ، وظهر لهم من برد اليقين وروح المعرفة ، وضياء التسليم ما ظهر لسلفهم ، وبرز لهم من أعلام الحق ما كان مكشوفا لهم غير أن الحق عزيز ، والدين غريب والزمان مفتن (ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) (١) .

هذا الفصل من كلام بعض أئمة السلف والسنة ، نقلته مع بعض إيجاز ، والله الموفق .

سؤال من أهل الكلام :

قالوا : إن قولكم إن السلف من الصحابة والتابعين لم يشتغلوا بايراد دلائل العقل والرجوع اليه فى علم الدين ، وعدوا هذا النمط من الكلام بدعة فكما أنهم لم يشتغلوا بهذا ، كذلك لم يشتغلوا بالإجتهاد فى الفروع ، وطلب أحكام الحوادث ، ولم يرو عنهم شىء من هذه المقايسات والآراء والعلل التى وضعها الفقهاء فيما بينهم ، وإنما ظهر هذا بعد زمان أتباع التابعين ؛ وقد استحسنه جميع الأمة ، ودونوه فى كتبهم ، فلا ينكر أن يكون علم الكلام

---

(١) ٢٤ نور ٤٠

على هذا الوجه . وقد قال النبي « صم » : ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون قبيحا فهو عند الله قبيح . وهذا مما رآه المسلمون حسنا فهو مستحسن عند الله . والبدعة على وجهين : بدعة قبيحة ، وبدعة حسنة ، قال الحسن البصرى : القصص بدعة ، ونعمت البدعة . كم من أخ يستفاد ، ودعوة مجابة ، وسؤل معطى . وعن بعضهم : أنه سئل عن الدعاء عند ختم القرآن كما يفعله الناس اليوم . قال : بدعة حسنة ؛ وكيف لا يكون هذا النوع من العلم حسنا ، وهو يتضمن الرد على الملحدين ، والزنادقة ، والقائلين بقدم العالم ، وكذلك أهل سائر الأهواء من هذه الأمة . ولو لا النظر والاعتبار ما عرف الحق من الباطل ، والحسن من القبيح . وبهذا العلم : انزاحت الشبهة عن قلوب أهل الزيغ وثبت قدم اليقين للموحدين . وإذا منعتم أدلة العقول فما الذى تعتقدون فى صحة أصول دينكم . ومن أى طريق تتوصلون إلى معرفة حقائقها . وقد علم الكل أن الكتاب لم يعلم حقه والنبي « صم » لم يثبت صدقه إلا بأدلة العقول وقد نفيتم ذلك . وإذا ذهب الدليل لم يبق المدلول أيضا . وفى هذا الكلام هدم الدين ورفعه ونقضه ، فلا يجوز الاشتغال بمسائله .

الجواب : والله الموفق للصواب ، أنا قد دللنا فيما سبق بالكتاب الناطق من الله عز وجل ، ومن قول النبي « صم » ، ومن أقوال الصحابة رضى الله عنهم أنا أمرنا بالاتباع ، وندبنا اليه ، ونهينا عن الابتداع ، وزجرنا عنه . وشعار أهل السنة اتباعهم للسلف الصالح ، وتركهم كل ماهو مبتدع محدث .

وقد روينا عن سلفهم : أنهم نهوا عن هذا النوع من العلم ، وهو علم الكلام ، وزجروا عنه ، وعدوا ذلك ذريعة للبدع والأهواء . وحمل بعضهم قوله « صم » : اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع على

هذا ، وقوله « صم » إن من العلم لجهلا . فأما قولهم : إن السلف من الصحابة والتابعين لم ينقل عنهم أنهم اشتغلوا بالاجتهاد فى الفروع . فالجواب من وجهين : أحدهما أنه لم ينقل عنهم النهى عن ذلك والزجر عنه ، بل من تدبر إختلاف الصحابة رضى الله عنهم فى المسائل ، واحتجاجهم فى ذلك ، عرف أنهم كانوا يرون القياس والاجتهاد فى الفروع . وقد روى أهل الحديث والنقل عنهم ذلك ، واحتجاج بعضهم على بعض ، وطلب الأشباه ، وردّ الفروع إلى الأصول . وأما من كره ذلك : فيحتمل أنه انما كره ذلك إذا كان مع وجود النص ، من الكتاب والسنة على ما سبق بيانه . وأما الكلام فى أمور الدين ، وما يرجع الى الاعتقاد من طريق المعقول ، فلم ينقل عن أحد منهم ، بل عدوه من البدع والمحدثات ، وزجروا عنه غاية الزجر ونهوا عنه .

جواب آخر : إن الحوادث للناس ، والفتاوى فى المعلومات ، ليست لها حصر ولا نهايه ، وبالناس اليها حاجة عامة ، فلو لم يجز الاجتهاد فى الفروع ، وطلب الأشبه بالنظر والاعتبار ، ورد المسكوت عنه الى المنصوص عليه بالأقيسة ، لتعطلت الأحكام ، وفسدت على الناس أمورهم ، والتبس أمر المعاملات على الناس . ولا بد للعامى من مفت ؛ فاذا لم نجد حكم الحادث فى الكتاب والسنة ، فلا بد من الرجوع إلى المستنبطات منها ؛ فوسع الله هذا الأمر على هذه الأمة . وجوز الاجتهاد ، وردالفروع الى الأصول ، لهذا النوع من الضرورة ؛ ومثل هذا لا يوجد فى المعتقدات ، لأنها محصورة محدودة . قد وردت النصوص فيها من الكتاب والسنة ، فإن الله تعالى أمر فى كتابه ، وعلى لسان رسوله ، باعتقاد أشياء معلومة لا مزيد عليها ولا نقصان عنها .

وقد أكملها بقوله (اليوم أكملت لكم دينكم) (١). فإذا كان قد أكمله وأتمه وهذا المسلم قداعتقده وسكن اليه، ووجد قرار القلب عليه، فبماذا يحتاج إلى الرجوع إلى دلائل العقل وقضاياها، والله أغناه عنه بفضله، وجعل له المندوحة عنه، ولم يدخل فى أمر يدخل عليه منه الشبهة والاشكالات ويوقعه فى المهالك والورطات، وهل زاغ من زاغ، وهلك من من هلك، وألحد من ألحد إلا بالرجوع الى الخواطر والمعقولات، واتباع الآراء فى قديم الدهر وحديثه. وهل نجا من نجا إلا باتباع سنن المرسلين. والأئمة الهادية من الأسلاف المتقدمين. واذ كان هذا النوع من العلم لطلب زيادة فى الدين، فهل تكون الزيادة بعد الكمال إلا نقصانا عائدا على الكمال، مثل زيادة الأعضاء والأصابع فى اليدين والرجلين. فليتق امرؤ ربه عز وجل، ولا يدخلن فى دينه ما ليس منه، وليتمسك بآثار السلف والأئمة المرضية، وليكونن على هديهم وطريقهم، وليعض عليها بنواجذه، ولا يوقعن نفسه فى مهلكة يضل فيها الدين، ويشتبه عليه الحق، والله حسيب أئمة الضلال الداعين إلى النار، ويوم القيامة لا ينصرون.

فصل: ونشتغل الآن بالجواب عن قولهم فيما سبق أن أخبار الآحاد لاتقبل فيما طريقه العلم، وهذا رأس شعب المبتدعة فى رد الأخبار، وطلب الدليل من النظر والاعتبار؛ فنقول وبالله التوفيق.

إن الخبر إذا صح عن رسول الله «صم» ورواه الثقات والأئمة، وأسنده خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله «صم»، وتلقته الأمة بالقبول فانه يوجب

---

(١) ٥ المائدة ٣ .

العلم فيما سبيله العلم . هذا عامة قول أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة وإنما هذا القول الذى يذكر أن خبر الواحد لا يفيد العلم بحال ولابد من نقله بطريق التواتر لوقوع العلم به . شىء اخترعته القدريه والمعتزلة وكان قصدهم منه رد الأخبار وتلقفه منهم بعض الفقهاء الذين لم يكن لهم فى العلم قدم ثابت ولم يقفوا على مقصودهم من هذا القول . ولو أنصف الفرق من الأمة لأقروا بان خبر الواحد يوجب العلم فإنك تراهم مع اختلافهم فى طرائقهم وعقائدهم يستدل كل فريق منهم على صحة ما يذهب اليه بالخبر الواحد . ترى أصحاب القدر يستدلون بقول النبى « صم » كل مولود يولد على الفطرة وبقوله « صم » خلقت عبادى حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم . وترى أهـــل الارجاء يستدلون بقوله « صم » من قال لا اله إلا الله دخل الجنة قالوا وإن زنى وإن سرق قال نعم وإن زنى وإن سرق . وترى الرافضة يستدلون بقـوله « صم » يجاء بقوم من أصحابى فيسلك بهم ذات الشمال . فأقول أصيحابى أصيحابى ، فيقال إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك انهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم .. الخبر . وترى الخوارج يستدلون بقوله « صم » سباب المسلم فسق وقتاله كفر ، وبقوله « صم » لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، إلى غير هذا من الأحاديث التى يستدل بها أهل الفرق . ومشهور معلوم استدلال أهل السنة بالأحاديث ورجوعهم اليها فهذا إجمـاع منهم على القول بأخبار الآحاد وكذلك أجمع أهل الاسلام متقدموهم ومتأخروهم على رواية الأحاديث فى صفات الله عز وجـل وفى مسائل القدر والرؤية وأصل الإيمان ، والشفاعة ، والحوض ، وإخراج الموحدين المذنبين من النار ، وفى صفة

الجنة والنار وفى الترغيب والترهيب والوعد والوعيد وفى فضائل النبى « صم » ومناقب أصحابه وأخبار الأنبياء المتقدمين عليه وكذلك أخبار الرقائق والعظات ، وما أشبه ذلك مما يكثر عده وذكره . وهذه الأشياء كلها علمية لا عملية وإنما تروى لوقوع علم السامع بها . فإذا قلنا إن خبر الواحد بها لا يجوز أن يوجب العلم حملنا أمر الأمة فى نقل هذه الأخبار على الخطأ . وجعلناهم لاغين هاذين مشتغلين بما لا يفيد أحدا شيئا ولا ينفعه ويصير كأنهم قد دونوا فى أمور الدين مالا يجوز الرجوع اليه والاعتماد عليه . وربما يترقى هذا القول إلى أعظم من هذا . فإن النبى « صم » أدى هذا الدين إلى الواحد فالواحد من أصحابه ليؤدوه إلى الأمة وينقلوا عنه ، فإذا لم يقبل قول الراوى لأنه واحد رجع هذا العيب إلى المؤدى ، نعوذ بالله من هذا القول الشنيع والاعتقاد القبيح ويدل عليه أن الأمر مشتهر فى أن النبى « صم » بعث الرسل إلى الملوك إلى كسرى وقيصر وملك الاسكندرية وإلى أكيدر دومه وغيرهم من ملوك الأطراف وكتب اليهم كتبا على ما عرف ونقل واشتهر . وإنما بعث واحدا واحدا ودعاهم إلى الله تعالى والى التصديق برسالته لالتزام الحجة وقطع العذر لقوله عز وجل (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (١)) وهذه المعانى لا تحصل إلا بعد وقوع العلم لمن أرسل اليه بالإرسال والمرسل وأن الكتاب من قبله والدعوة منه وقد كان نبينا « صم » بعث إلى الناس كافة وكثير من الأنبياء بعثوا إلى قوم دون قوم وإنما قصد بإرسال الرسل إلى هؤلاء الملوك والكتاب اليهم بث الدعوة فى جميع الممالك ودعاء الناس عامة إلى دينه على حسب ما أمره الله تعالى بذلك فلو لم يقع

---

(١) ٤ النساء ١٦٥

العلم بخبر الواحد فى أمور الدين لم يقتصر « صم » على إرسال الواحد من أصحابه فى هذا الأمر ، وكذلك فى أمور كثيرة اكتفى « صم » بإرسال الواحد من أصحابه ، منها أنه « صم » بعث عليا رضى الله عنه لينادى فى الموسم بمنى : ألا لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ومن كان بينه وبين النبى (١) « صم » عهد فمدته إلى أربعة أشهر ولا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ولابد فى هذه الاشياء من وقوع العلم للقوم الذين كان يناديهم حتى إن أقدموا على شىء من هذا بعد سماع هذا القول كان رسول الله « صم » مبسوط العذر فى قتالهم . وكذلك بعث معاذا رضى الله عنه إلى اليمن ليدعوهم إلى الاسلام (٢) ويعلمهم إذا أجابوا شرائعه (٣) . وبعث إلى أهل خيبر فى أمر القتيل واحدا يقول لهم : إما أن تدوا أو تؤذنوا بحرب من الله ورسوله . وبعث إلى قريظة أبا لبابه بن عبد المنذر يستنزلهم على حكمه وجاء أهل قباء واحد وهم فى مسجدهم يصلون فأخبرهم بصرف القبلة إلى المسجد الحرام فانصرفوا اليه فى صلاتهم واكتفوا بقوله . ولابد فى مثل هذا من وقوع العلم به وكان النبى « صم » يرسل الطلائع والجواسيس فى ديار الكفر ويقتصر على الواحد فى ذلك ويقبل قوله إذا رجع وربما أقدم عليهم بالقتل والنهب بقوله وحده . ومن تدبر أمور النبى « صم » وسيره وسيرته لم يخف عليه ما ذكرنا وما يرد هذ إلا معاند مكابر ولو أنك وضعت فى قلبك أنك سمعت الصديق أو الفاروق أو غيرهما من وجوه الصحابة رضى الله عنهم يروى لك حديثا عن النبى « صم »

---

(١) فى الهامش رسول الله

(٢) فى الاصل الايمان . وفى الهامش صوابه الاسلام . ولعل فى هذا إشارة إلى التمييز المشهور بين مدلول الاسلام والايمان

(٣) فى الاصل شرائعهم ولعلها شرائعه .

فى أمر من الاعتقاد مثل جواز الرؤية على الله تعالى ، أو اثبات القدر ، أو غير ذلك ، لوجدت قلبك مطمئنا الى قوله : لا يتداخلك شك فى صدقه ، وثبوت قوله . وفى زماننا هذا : ترى الرجل يسمع من أستاذه الذى يختلف اليه ويعتقد فيه التقدمة والصدق أنه سمع أستاذه يخبر عن شىء من عقيدته التى يريد أن يلقى الله تعالى بها ويرى نجاته فيها ، فيحصل للسامع علم بمذهب من نقل عنه أستاذه ذلك ، بحيث لا يختلجه شبهة ، ولا يعتريه شك ، وكذلك فى كثير من الأخبار التى قضيتها العلم يوجد بين الناس فيحصل لهم العلم بذلك الخبر . ومن رجع إلى نفسه علم ذلك .

واعلم أن الخبر وإن كان يحتمل الصدق والكذب ، وللظن والتجوز فيه مدخل ، ولكن هذا الذى قلناه لا يناله أحد إلا بعد أن يكون معظم أوقاته وأيامه مشتغلا بعلم الحديث ، والبحث عن سيرة النقلة والرواة ، ليقف على رسوخهم فى هذا العلم ، وكنه معرفتهم به ، وصدق ورعهم فى أحوالهم ، وأقوالهم ، وشدة حذرهم من الطغيان والزلل ، وما بذلوه من شدة العناية فى تمهيد هذا الأمر ، والبحث عن أحوال الرواة ، والوقوف على صحيح الأخبار وسقيمها ، ولقد كانوا رحمهم الله ، وأنزل رضوانه عليهم ، بحيث لو قتلوا لم يسامحوا أحدا فى كلمة يتقولها على رسول الله « صم » ، ولا فعلوا هم بأنفسهم ذلك ، وقد نقلوا هذا الدين إلينا كما نقل اليهم ، وأدوا على ما أدى اليهم ، وكانوا فى صدق العناية والاهتمام بهذا الشأن بما يجل عن الوصف ، ويقصر دونه الذكر ، وإذا وقف المرء على هذا من شأنهم ، وعرف حالهم ، وخبر صدقهم وورعهم ، وأمانتهم ، ظهر له العلم فيما نقلوه ، ورووه ، ولم يحتج إلى شىء من هذا الذى قلناه ، والله ولى التوفيق والمعونة .

والذى يزيد ما قلناه إيضاحا : أن النبى « صم » حين سئل عن الفرقة الناجية . قال : ما أنا عليه وأصحابى ، بمعنى من كان على ما أنا عليه وأصحابى ، فلا بد من تعرف ما كان عليه رسول الله « صم » وأصحابه ، وليس طريق معرفتنا إلا النقل ، فيجب الرجوع الى ذلك . وقد قال النبى « صم » : « لا تنازعوا الأمر أهله » فكما يرجع فى معرفة مذاهب الفقهاء ، الذين صاروا قدوة فى هذه الأمة إلى أهل الفقه ، ويرجع فى معرفة اللغة إلى أهل اللغة ، ويرجع فى معرفة النحو إلى أهل النحو ، فكذلك يجب أن يرجع فى معرفة ما كان عليه رسول الله « صم » وأصحابه إلى أهل النقل والرواية ، لأنهم عنوا بهذا الشأن ، واشتغلوا بحفظه والتفحص عنه ونقله ، ولولاهم لاندرس علم النبى « صم » ، ولم يقف أحد على سنته وطريقته . فإن قال قائل : إن أهل الفقه مجمعون على قول الفقهاء ، وطريق كل واحد منهم فى الفروع . وأهل النحو مجمعون على طريق البصريين والكوفيين فى النحو وكذلك أهل الكلام مجمعون على طريق كل واحد منهم : من متقدميهم وسلفهم . فأما مايرجع إلى العقائد فلم يجتمع أهل الاسلام على ما كان رسول الله «صم» عليه وأصحابه ، بل كل فريق يدعى دينه وينتسب إلى ملته ويقول (١) نحن الذين تمسكنا بملة رسول الله « صم » واتبعنا طريقته ، ومن كان على غير ما نحن عليه ، فهو مبتدع صاحب هوى ، فلم يجز اعتبار الذى تنازعنا فيه بما قلتم .

الجواب : أن كل فريق من المبتدعة إنما يدعى أن الذى يعتقده هو ما كان عليه رسول الله « صم » ، لأنهم كلهم يدعون شريعة الاسلام ،

---

(١) فى الاصل — ويقولوا — ولعلها ويقول .